

العارف بالله تعالى

الشيخ فوزي محمد أبو زيد

دار الإيمان والحياة

الكتاب الثالث والستون

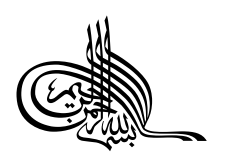
مِنْهَاجُ الوَاصِلين

العارف باللَّه
الشيخ فوزى محمد أبوزيد

دار الإيمان والحياة



إسم الكتاب	منهاج الواصلين
المؤلف	العارف بالله الشيخ فوزى محمد
الطبعة	الأولى
تاريخ الطبعة	٢٤ ديسمبر ٢٠١٠م، ١٨ محرم
رقم الكتاب	الثالث والستون
عدد	٢٥٦ صفحة
المقاس	١٧ سم * ٢٤ سم
الورق	٨٠ جم
طباعة	١ لون
الغلاف	كوشيه لميع ، ٣٠٠ جرام
طباعة	٤ لون، سلوفان لميع
إشراف	دار الإيمان والحياة، ١١٤ش ١٠٥، المعادى،
طباعة	مطابع النوبار
رقم إيداع	٢٠١٠/٢٤٤٨٥



مقدمة

الحمد لله خفى الألطاف، سريع الإسعاف لكل عبد إلى حضرته مواف، والصلاة والسلام على بحر الوصال وسدرة الكمال، سيدنا محمد الذى جمَّله مولاه بشريف الخصال وحميد الفعال، وآله وصحبه وكل من تبعهم على هذا الجمال.

وبعد..... فإن لله رجال رغبوا فى وصاله، وتاهوا فى جماله بعد أن هاموا عشقاً فى كماله، هؤلاء القوم أهل الكمال، لا يرون أنفسهم أبداً، بل لا يرون إلا الله، فيعيشون بالله ولله، ويأنسون فى قبورهم بالله! لا بعملهم، ويُحشرون إلى الله! لا إلى الجنة، ويُنعمهم الله بنفسه! لا بغيره، وفرقٌ كبيرٌ بين من يُنعمه الله بنفسه! وبين من يُنعمه بغيره.

ولا غرو .. فهم قوم خرجوا عن الكون إلى المكوِّن، وعن الذكر إلى المذكور، خرجوا عن التقييد إلى الإطلاق، وخرجوا عن البعد إلى القرب، ومن القرب إلى الذات، فمن قام فى هذا المقام شرب من عين الحياة، فعاش بالحقيقة، فلا يتعذبون بالحجاب لا فى الدنيا ولا فى الآخرة.

وقد وضحنا فى هذا الكتاب الذى سميناه **" منهاج الواصلين "** طريق هؤلاء القوم المُوَصِّل إلى تلك المنازل، وألمعنا إلى جهادهم المُتمم لهم ذلك، ووصفنا أحوالهم وأوصافهم التى أهَّلتهم لبلوغ هذه المراقى، وبيَّنا أيضاً الإكرامات التى يُبشرهم الله تعالى بها.

ولمَّا كان موضوع إكرامات الصالحين موضع لبسٍ كبيرٍ عند كثير من المنتسبين لطريق القوم، فقد بيَّناه بأجلى بيان وأوضح تبيان، ونؤكد ذلك فنقول:

اعلم ياأخى أن المريد الصادق إذا اشتغل بالذكر على وجه الإخلاص يظهر عليه أحوال عجيبة وخوارق غريبة، وهى ثمرات أعماله من فضل الله تعالى عليه، إما تطميناً لقلبه وتأنيساً، وإما ابتلاءاً من الله تعالى وامتحاناً له، فالواجب عليه ألا يلتفت إليها ولا يغتر بها لئلا ينقطع بها عن مقصوده، ولهذا قال العارفون: أكثر من انقطع من المريدين بسبب وقوعهم فى باب الكرامات، بل الكرامة العظمى الوقوف على حدود الشريعة الغراء، واتباع السُنة الواضحة البيضاء.

قال سيدى الشيخ محى الدين بن العربى قدَّس سره كما نقله العارف الجيلى رضي الله عنه فى الأسفار عنه:

الكرامة من الحق من اسمه البر، ولا تكون إلا للأبرار من عباده جزاءاً وفاقاً، فإن المناسبة تطلبها وإن لم يقم طلب ممن ظهرت عليه، وهى على قسمين: حسِّيَّة ومعنويّة، فالعامة ما تعرف إلا الكرامة الحسّيَّة، مثل الكلام على الخاطر، والأخبار بالمغيبات الماضية والكائنة والآتية، والأخذ من الكون، والمشى على الماء، واختراق الهواء، وطى الأرض، والاحتجاب عن الأبصار، وإجابة الدعوة فى الحال.... فالعامة لا تعرف الكرامة إلا مثل هذا.

وأما الكرامة المعنويَّة فلا يعرفها إلا الخواص من عباد الله تعالى، والعامة لا تعرف ذلك، وهى أن يحفظ عليه أدب الشريعة، وأن يوفّق لإتيان مكارم الأخلاق، واجتناب سفاسفها، والمحافظة على أداء الواجبات مطلقاً فى أوقاتها، والمسارعة إلى الخيرات، وإزالة الغلِّ للناس من صدره والحسد والحقد، وطهارة القلب من الصفات المذمومة، وتحليته بالمراقبة مع الأنفاس، ومراعاة حقوق الله تعالى فى نفسه وفى الأشياء، وتفقد آثار ربه فى قلبه ومراعاة أنفاسه فى دخولها وخروجها، فيتلقاها بالأدب ويخرجها وعليها خلعة الحضور ... فهذه كلها عندنا هى كرامات الأولياء المعنويَّة التى لا يدخلها مكرٌ ولا استدراج، فإن ذلك كله دليل على الوفاء بالعهد، وصحة القصد، والرضا بالقضاء فى الموجود، ولا يشاركك فى هذه الكرامات إلا الملائكة المقربون، وأهل الله المصطفون الأخيار.

وأما الكرامات التى ذكرنا أن العامة تعرفها؛ فكلها يمكن أن يدخلها المكر!، ثم إذا فرضناها كرامة .. فلابد أن تكون نتيجة عن استقامة، لابد من ذلك! وإلا فليست بكرامة، وإذا كانت الكرامة نتيجة استقامة .. فقد يمكن أن يجعلها الله تعالى حظ عملك وجزاء فعلك، فإذا قدمت عليه .. يمكن أن يحاسبك بها.

وما ذكرناه من الكرامات المعنوية فلا يدخلها شئ مما ذكرناه، فإن العلم يصحبها، وقوة العلم وشرفه يعطيك أن المكر لا يدخلها، فإن الحدود الشرعية لا تنصب حبالة -أى مصيدة- للمكر الإلهى، فإنها عين الطريق الواضحة إلى نيل السعادة، والعلم يعصمك من العُجب بعملك، فإن العلم من شرفه أنه يستعملك، وما استعملك جرَّدك منه وأضاف ذلك إلى الله تعالى، وأعلمك أنه بتوفيقه وهدايته ظهر منك ما ظهر من طاعته والحفظ لحدوده، فإذا ظهر عليه شئ من كرامات العامة ضجَّ إلى الله تعالى منها، وسأل الله ستره بالعوائد –أى بالعادات-، وألا يتميز عن العامة بأمر يشار إليه فيه، ما عدا العلم! ،فإن العلم هو المطلوب، وبه تقع المنفعة، ولو لم يعمل به! فإنه لا يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون، فالعلماء هم الآمنون من التلبيس.

فالكرامة من الله تعالى بعباده إنما تكون للوافدين عليه (للقادمين إليه) من الأكوان ومن نفوسهم، لم يروا وجه الحق فيهما، فأسنى ما أكرمهم به من الكرامات العلم خاصة لأن الدنيا موطنه، وأما غير ذلك من خرق العادات فليست الدنيا بموطن لها، ولا يصحُّ كون ذلك كرامة إلا بتعريف إلهى لا بمجرد خرق العادة، وإذا لم يصح إلا بتعريف إلهى، فذلك هو العلم، فالكرامة الإلهية إنما هى ما يهبهم من العلم به سبحانه.

سُئل أبو يزيد ﷺ عن طيِّ الأرض فقال قدِّس سرُّه: ليس بشئ فإن إبليس يقطع من المشرق إلى المغرب فى لحظة واحدة وما هو عند الله بمكان، وسُئل عن اختراق الهواء فقال قدِّس سرُّه: إن الطير يخترق الهواء، والمؤمن عند الله أفضل من الطير، فكيف يحسب كرامة من شاركه فيها طائر؟! وهكذا علل جميع ما ذكر له، ثم قال: إلهى إن قوماً طلبوك لما ذكروه فشغلتهم به، وأهلتهم له، اللهم مهما أهلتنى لشئ فأهلنى لشئ من أشيائك، أى من أسرارك، فما طلب إلا العلم لأنه أسنى تحفة وأعظم كرامة.

وختاماً إخوانى الكرام، لا يفوتنى أن أذكر لكم أن كتابنا هذا يعتبر مكمِّلاً لما صدر لنا سابقاً فى هذا المضمار مثل كتبنا: المجاهدة للصفاء والمشاهدة، الولاية والأولياء، الفتح العرفانى، النفس وصفها وتزكيتها، وغيره من مؤلفاتنا ....

أسأل الله ﷻ أن يجعل هذا الكتاب نوراً لأهل الطريق، وميزاناً لأهل التحقيق، وأن يجعله جلاءاً لأحوال وأنوار هذا الفريق ... وصلى الله على سيدنا محمد نور أهل الطريق، وإمام أهل التحقيق، وآله وصحبه وسلم

الجميزة، فى يوم الخميس: الثانى من شهر رمضان المعظم ١٤٣١هـ، الثانى عشر من أغسطس ٢٠١٠م

فوزي محمد أبو زيد
✉: الجميزة ، محافظة الغربية ، جمهورية مصر العربية
☏: ٠٠٢٠-٤٠-٥٣٤٠٥١٩ ، ٠٠٢٠-٤٠-٥٣٤٤٤٦٠ :🖷

WWW.fawzyabuzeid.com :

fawzy@fawzyabuzeid.com :

fawzyabuzeid@hotmail.com

fawzyabuzeid@yahoo.com

هذا فضل الله

علامات على الطريق من سيرة العارف بالله

الشيخ فوزى محمد أبوزيد

-البداية - البحث عن العارف

-معرفة الإمام أبى العزائم ﷺ

-البحث عن المعرفة- العثور على الرجل الحي

- البداية الصحيحة للسير إلى الله

-فى صحبة الشيخ ﷺ - استلام الراية

-إكمال المسيرة والفتح الوهبى فى الدعوة - من بعض علامات تأييد الله تعالى وتوفيقه:

-التأييد بالرؤيا الصالحة

-التأييد بإجابة مكنون الصدور

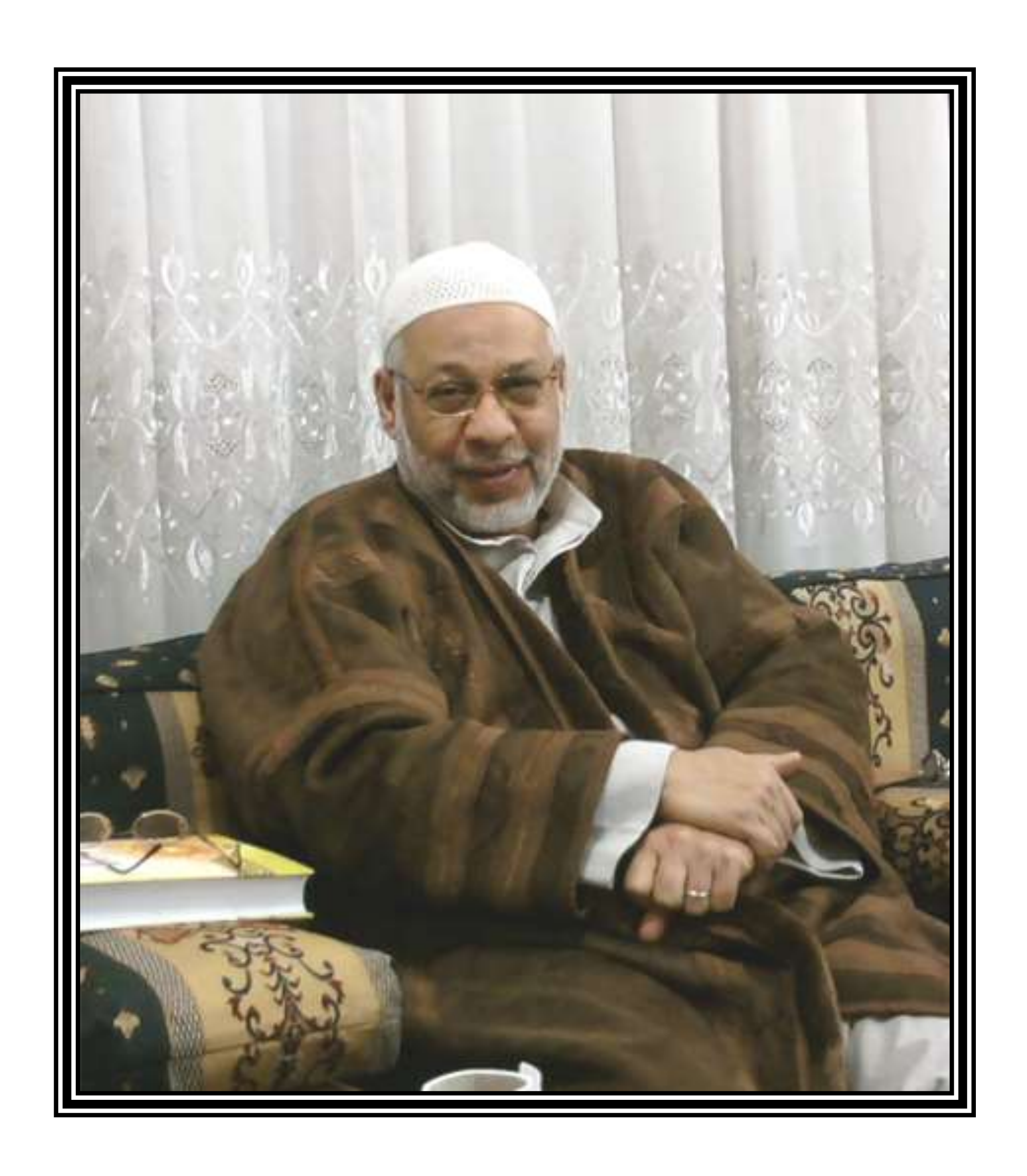
-التأييد فى الإستشارة والتوجيه

-التأييد بإستجابة الدعاء وبلوغ الرجاء

-تأييد الله باستجابة الأفراد لنا وتبديل السير والسلوك.

-الدعوة والهدف

سماحة العارف بالله
فضيلة الشيخ فوزى محمد أبوزيد ﷺ



وأما بنعمة ربك فحدث

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين .. أيها الأخوة الكرام! أحباب النبى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، فامتثالاً لأمر الله فى كتابه الكريم فى قوله ﷻ:

﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾(١١الضحى)

ونزولاً على رغبة الكثيرين من الإخوان والمحبين والمسلمين؛ أكتب شيئاً من سيرتى السلوكية فى طريق القوم تحدثاً بفضل الله تعالى علىَّ ومنته، فكل هذا من فضل الله ﷻ علىَّ وإنعامه وإكرامه، ولذا أسميت هذا الباب **" هذا فضل الله"**.

وأنا فى هذا يا إخوانى الكرام؛ إنما اتَّبع نهج الصالحين لأن أكثرهم خطوا سيرة حياتهم بأيديهم لمن بعدهم، فكشفوا عما عايشوه عياناً بياناً، ولم يتركوا غيرهم يحكي عنهم نقلاً ولا سماعاً، فأبانوا للقاصدين عن دقائق سيرهم ومجاهداتهم وأنوار أفعالهم وأحوالهم التى بلغهم الله تعالى بسرها المنازل؛ فلا تكون سيرتهم من بعدهم نهباً لتآليف المنتفعين! ولا مرتعاً لأدعياء المتصوفين! ولا مبالغات المحبين!! وهم فى هذا كله قد تجرَّدوا عن رؤية ذواتهم ومدح أفعالهم، لأنهم لم يشهدوا إلا بالحق القاطع تنفيذاً لأمر الله المانع فى الكتاب الجامع فى قوله تعالى فى (٢٨٣البقرة):

﴿ وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ ﴾

فكانوا فى سردهم لمجاهداتهم وأحوالهم ومشاهداتهم ومنازلاتهم ومكافحاتهم مسترشدين فى كل لمحة ونفس وأقل بقول الحق تبارك وتعالى فى كتابه الكريم :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ (٢-٣ الصف)

ومهما عجبت مما يقولون! أو صعب عليك استيعابه أوعسر فهمه أو هضمه فاعلم أنهم جعلوا قول المصطفى ﷺ نصب أعينهم ولم يحيدوا عنه قيد أنملة:

{ إِنَّ أَفْرَى الْفِرَى مَنْ قَوَّلَنِي مَا لَمْ أَقُلْ، وَمَنْ أَرَى عَيْنَيْهِ فِي الْمَنَامِ مَا لَمْ تَرَيَا }[1]

فلولا أنه حق صراح ما قالوه ولولا الحاجة لكشفه ما حكوه، وما خفى كان أعظم!، فإن عجبت من شيىء ذكروه فلا تعجل بنقدهم ولا انتقاصهم! ولكن عد باللوم على نفسك ولا تقدح فى حقهم، فإنهم لم يصدر عنهم قول إلا عن نور حق بيِّنٍ شهدوه؛ لا مجال فيه للنفس ولا للوهم أو التوهم ولا الخيال.

---

[1] الشَّافعي (هق) في المعرفة عن واثلة ﷺ، جامع المسانيد والمراسيل.

وممن نهجوا هذا النهج فكتبوا سيرهم بأنفسهم للذكر لا للحصر:

الإمام المحاسبى فى كتابه: "النصائح الدينية"، والإمام الغزالى فى كتابه: "المنقذ من الضلال"، و إبن الجوزى فى كتابه: "لفتة الكبد إلى نصيحة الولد"، والإمام ابن حجر العسقلانى فى كتابه: "رفع الإصر عن قضاة مصر"، و محمد بن طولون الدمشقى فى كتابه: "الفلك المشحون فى أحوال محمد بن طولون"، والإمام الشعرانى فى كتابه الشهير :" لطائف المنن والأخلاق فى التحدث بنعمة الله على الإطلاق"، وغيرهم وغيرهم ... رضى الله عنهم أجمعين، فأنا على نهجهم ﵃ أكتب هذه الشذرات المختصرة ليكون فيها بفضل الله بعض العون والعبرة لمن يرغبون سلوك طريق القوم ويريدون أمثلة حديثة أمامهم!.

ويعلم الله منى أنِّى أرى نفسى أقلَّ من أن أكون نموذجا أو قدوة للسالكين! أو أن أقف بجوار من ذكرت من السابقين المفلحين! ولكنه إلحاح الإخوة المحبين! وإصرار الأحباب الكرام أجمعين! أسأله سبحانه وتعالى أن يغفر لى مالا يعلمون، وأن يجعلنى أحسن مما يظنون فهكذا علمنا الحبيب الأعظم أن نكون، كما أنِّى أسأله ﷻ أن يقيمنى دائماً وأبداً على خير حال يحبُّه الله ورسوله والمؤمنون.

مع وعد بعود حميد إن شاء الله لإكمال هذه السيرة وإخراجها فى كتاب منفصل كما يرغب إخوانى، وكما تقضى أمانة العلم والشهادة على ما ربَّانا عليه ساداتنا ومشايخنا، والله المستعان وبه بلوغ الإخلاص والتوفيق فى كل شان.

إبدأ بسم الله الرحمن الرحيم، فاقول ولدت ببلدة الجميزة مركز السنطة بمحافظة الغربية بجمهورية مصر العربية، يوم الإثنين الثامن عشر من أكتوبر ١٩٤٨م، الموافق للخامس عشر من ذى الحجة ١٣٦٧هـ، وتلقيت تعليمى ببلدتى وبالمركز حتى حصلت على الثانوية العامة، ثم التحقت بكلية دار العلوم بالقاهرة سنة ١٩٦٦م، ومنها حصلت على ليسانس دار العلوم سنة١٩٧٠ م.

ثمَّ عملت بالتربية والتعليم بصعيد مصر أولاً، ثم تنقَّلت وترقَّيت حتى وصلت إلى منصب مدير عام بمديرية طنطا التعليمية، ثم تقاعدت سنة ٢٠٠٩م، وما زلت أقيم حتى الآن ببلدتى بالجميزة، وقد منَّ الله تعالى على بفضله واستعملنى فى مجال الدعوة إليه سبحانه بالحكمة والموعظة الحسنة منذ ما يقرب من الأربعين عاماً والحمدلله على فضل الله وتوفيقه وبركة رسوله ﷺ.

البداية

وأنا فى السنة الثانية من كلية دار العلوم – جامعة القاهرة -وكان ذلك فى عام١٩٦٧م، حبِّبت إلى العبادة، وخاصة الصيام وتلاوة القرآن والصلاة على النبى ﷺ، وأكرمن الله بالمحافظة على الفرائض فى أوقاتها فى جماعة.

واستأنست فى تلك الفترة ببعض الكتب الدينية محاولا جهدى أن أقرأها لأعمل بها، وكانت البداية هى كتاب (تنبيه الغافلين) لأبى الليث السمرقندى ، ثم كتاب (بداية الهداية) للإمام الغزالى وهو مطبوع على هامش كتابه (منهاج العابدين) والذى وضع فيه ﷺ.منهاجا كاملا للفرد من وقت يقظته من نومه حتى نومه ثانية بعد صلاة العشاء .

وقد أكرمنى الله ﷻ بتنفيذ ما فى هذا الكتاب، بالإضافة الى صيام يومى الاثنين والخميس من كل أسبوع والأيام الفاضلة كأيام العشر من ذى الحجة ويوم عاشوراء وغيرها، وكذا حبِّبت إلى الصلاة على النبى ، فكنت أواظب على قراءة كتاب (دلائل الخيرات) للإمام الجزولى وكتاب (أنوار الحق فى الصلاة على سيد الخلق) للشيخ عبدالمقصود سالم .

وكنت أجد لذة عظيمة فى الصلاة علي النبى ﷺ فى طريقى بصيغ كان يلهمنى الله ﷻ بها، حتى كنت أفرُّ ممن أعرفهم فى الطريق لكى لا يشغلونى عن تلك اللذة العظيمة، كما جعلت لى حزبا من الصلوات والتسليمات عليه ﷺ أقرأه فى منتصف الليل قبل النوم، فكنت أقرأه فى سكون الليل ووحشته وأحسُّ بأنس عظيم يجعلنى أستحضر أنه ﷺ سيحضرنى ويمكننى من رؤيته،وأنام على هذه الكيفية وأنا منتظرٌ ومترقِّبٌ لمجئ حضرته، فأكرمنى الله ﷻ برؤيته ﷺ مرات عديدة.

وقرأت وقتها كلاماً منسوباً للإمام الغزالى ومقتضاه: أن العبد إذا واظب على الصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ حتى يأنس به ويراه، ثم تعلو همته بكثرة الصلاة عليه فإنه ﷺ يصير شيخه ويوجِّهه في منامه أو في يقظته إن كان من الأقوياء وأن مثل هذا لا يحتاج إلى شيخ آخر، وصادف هذا الكلام هوى في نفسي وعزمت على السير في هذا المنهج إلى منتهاه.

البحث عن العارف

وفي ذلك الوقت كان الصالحون ومحبوهم يتجمعون حول العارفين المنتقلين، وخاصة في موالدهم وكنت أتردَّد على تلك الموالد بحثاً عن الصالحين للتعرف عليهم وزيارتهم، وأيضاً كنت أتردَّد على الأضرحة المباركة بدعوة من أصحابها، فكنت أرى نفسي في ضريح أحد العارفين ربما لا أعرفه من قبل فأذهب إلى زيارته.

وفي مرة إلتقيت برجل من الصالحين هو الشيخ حسن شعبان [٢]، وأثناء تجاذبنا الحديث سألني: هل لك شيخ؟، فقلت: نعم، شيخي رسول الله ﷺ، فقال: هذا لا ينفع عندنا (أي عند أهل الطريق) من لا شيخ له فالشيطان شيخه!!

فكانت هذه الكلمات بمثابة الشرارة التى حركت ما كمن في نفسي من حبِّ الإتصال بالعارفين تحقيقاً لقوله تعالى (١١٩ التوبة) :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾

وهكذا انتقلت بفضل الله تعالى إلى المرحلة التالية فأصبحت كلما سمعت عن عارف أو صالح ذهبت إليه وعرضت نفسي عليه، فمنهم الشيخ "أحمد حجاب" رضي الله عنه [٣] الذي قال لي: "هو أنا شلت نفسي لمَّا ها شيل غيري"!!

فخرجت من عنده حزيناً، ولم أكن أعلم وقتها أن الأولياء قسمان، وليٌّ مرشدٌ وهو الذي يقيمه الله عز وجل لدلالة الخلق عليه، ووليٌّ لنفسه وهو الذي يقيمه الله لعبادته وطاعته.

٢ الشيخ حسن شعبان : وهو من قرية تاج العجم مركز السنطة غربية، وقد فرغ نفسه لتحفيظ القرآن، ورفض العمل بالشهادة الأزهرية رغم حصوله عليها عملاً بالحديث الشريف الذي روي عن سيدنا عثمان عن رسول الله ﷺ قال: {خيركم من تعلم القرآن وعلمه } .. رواه البخارى، وقد توفي في الخامس من فبراير عام ١٩٧٥م.

٣ الشيخ أحمد حجاب : وهو رجل صالح حصل على العالمية من الأزهر الشريف، وتفرغ للعبادة في خلوة بمسجد سيدي أحمد البدوي، على نهج شيخه الشيخ محمد شريف وهو من كبار أقطاب الطريقة الإدريسية، وظل على عبادته ولم يتزوج النساء حتى لقى ربه عز وجل عن عمر يناهز المائة وخمسة أعوام، وله ضريح يزار بمسجد سيدي أحمد البدوي وله كتاب مطبوع هو "العظة والإعتبار آراء في حياة سيدي أحمد البدوي الدنيوية والبرزخية"، وتوفي في ١٣ يوليو سنة ١٩٧٨ م الموافق ٩ من شعبان سنة ١٣٩٨هـ.

ولما كانت الكلية بحي المنيرة بالقاهرة في ذلك الوقت بالقرب من السيدة زينب رضي الله عنها، فكنت أتردد على السيدة زينب كثيراً وأسأل عن الصالحين، فذهبت إلى الشيخ عبدالمقصود سالم[٤]، وعرضت عليه صحبته، فقال لي: هل تزوجت؟ ، فقلت: لا، فقال: عندما تنهي دراستك وتتزوج إئتني !!

فتعجبت لأني كنت في حال لا أحسُّ فيه بأن هذا الأمر عائق عن السير إلى الله، فقلت على الفور: وهل سيدنا عيسى تزوَّج؟ فأجابنى: لسنا كسيدنا عيسى.

وبعد بحث جهيد مع الصادقين من رجال الله تارة، ومع البطالين في طريق القوم، والذين هم في نظرنا قطاع طريق للخلق، ولذا لا نجد داعياً لذكرهم ..

ذهبت في المولد الرجبى لسيدي أحمد البدوي بطنطا لزيارة الشيخ إبراهيم حسين عمّار[٥] بعد ما سمعته عنه، وعندما صافحته وجلست أمامه، أخذ يتأملني ثم أثني عليَّ وطلب مني أن أكرر زيارته، ففعلت وتوثقت عرى المحبة بيننا ومكثت معه سنتين كانت فيهما التربية الروحية الأولى لي.

---

٤ الشيخ عبد المقصود سالم: كان يعمل عسكرى شرطة تدرج فى الوظيفة حتى وصل إلى رتبة ضابط، وكان يكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ، وله في ذلك كتاب "أنوار الحق في الصلوات على سيد الخلق" ولما فتح الله ﷻ عليه أسَّس جماعة تلاوة القرآن الكريم في السيدة زينب وتفرغ لجمع الخلق على الله، وله من الكتب أيضاً في ملكوت الله مع أسماء الله والحضرة في رحاب سيدنا رسول الله ﷺ وقد توفي في ليلة الجمعة ٢٦ من شعبان سنة ١٣٩٧هـ الموافق ١١ من أغسطس سنة ١٩٧٧م.

٥ الشيخ إبراهيم حسن عمار: هو رجل أمي لا يقرأ ولا يكتب، نزح من محافظة أسيوط واستقر بطنطا، واشتغل بالتجارة، وتعرف على الشيخ صديق، وكان من المجاذيب مدفون الآن بقرية ميت يزيد مركز السنطة غربية، ولما تعرف عليه انتقل إليه حاله، فترك تجارته وزوجته وولده وأقام في جبل بقرية الأمبوطين مركز السـنطة غربية لمدة سـبع سـنين، منقطعاً عن الخلق، كان فيها يجد أحياناً من حرارة الذكر ما يدفعه إلى إلقاء نفسـه في الترعة وسـط الماء في البرد القارص ليلطف من حرارة داخله، ولما اسـتقرت به الأحوال، انتقل إلى عزبة شعير وأقام بها يهدي الناس إلى الله ﷻ حتى توفي بها عن خمسة وتسعين عاماً، وأقيم له مسجد وضريح بها وكانت وفاته في سبتمبر سنة ١٩٧٨م.

وكان الشيخ إبراهيم حسين ﷺ رجلاً صاحب حال، وهو قطبٌ للمقام العيسوي، فكان يضع يده على ظهري ويربِّت بها فأحسُّ بحرارة الحال تنتقل إليَّ، وقد ورثني الله ﷻ ببركته أحوالاً باطنية حتى كنت لا أطيق أن أحرك لساني لإستماعى بوضوح إلى الذكر الذي ينشغل به جناني! إلى درجة أني كنت عندما أركب المواصلات في طريقي إلى الكلية، لا أحسُّ بأجساد من حولي رغم شدة الزحام ولصوقها بي لما أنا مشغول به.

وكان هذا حال طيبٌ، ولكنه كان سيؤثر عليَّ تأثيراً سلبيَّاً لولا أن تداركتني عناية الله ﷻ، فقد قوَّى هذا الحال عزمي على التفرغ للعبادة، ونويت فعلاً ترك الدراسة والبحث عن مكان منقطع أتفرغ فيه لعبادة الله ﷻ لما أجده من لذة في العبادة، لولا أن تداركتني عناية الله بمعرفة الإمام أبي العزائم ﷺ.

معرفة الإمام أبى العزائم ﷺ

وفي غضون ذلك كنت لا أكفُّ عن قراءة كتب الصالحين وآثارهم... وبينما أنا في جلسة مع نفر من محبي الصالحين، ذكروا لي نبذة عن طيبة عن الإمام أبي العزائم [٦] وعن خليفته القائم في ذلك الوقت، وهو ابنه السيد أحمد ماضي أبو العزائم، وبعد انصرافي نمت في تلك الليلة فرأيت السيد أحمد ماضي أبو العزائم جالساً على كرسيه الخاص به، ولم أكن رأيته من قبل.

٦ راجع كتابنا " الإمام أبو العزائم المجدد الصوفى " دار الإيمان والحياة: ط١: ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، أو ط٢: ١٤٣٠، ٢٠٠٩م

وعندها استخرت الله ﷻ في زيارته، فرأيت سيدنا رسول الله ﷺ وقد أخذ بيدي وطاف بي العوالم العلوية ثم هبط بي على الأرض، وأدخلني على الإمام أبى العزائم وقال لي: تعرف من هذا؟، فسكت تأدباً معه ﷺ فقال صلوات الله وسلامه عليه: هذا شيخك، فعلمت أن هذا إذن منه ﷺ بالانتقال، فتوجهت إلى السيد أحمد وكان عنده نفر من الإخوان فانصرفوا سريعاً، وبقيت أنا وهو، فبايعته ولزمت طريق أبيه رضي الله عنه.

البحث عن المعرفة

ولما كان الشيء الذي يؤرقني ويدفعني إلى البحث عن الصالحين هو كيفية معرفة الله ﷻ المعرفة الشهودية، وذلك لا يتأتى إلا بانكشاف أنوار البصيرة النورانية، فكان أول سؤال أطرحه على كل عارف ألتقي به هو: كيف تنفتح البصيرة؟ وكان كل واحد منهم يجيبني على حسب منهجه ومشربه.

ولما دخلت رياض المدرسة العزمية وجدت فيها طريقة التربية تختلف من فرد إلى فرد، فقد ربَّى الإمام أفراداً على نهج الدعوة الصوفية الحقة، وأذن لهم في الإرشاد، فكانوا يجوبون البلاد ويلتف حولهم الصادقون ويحيط بهم المطلوبون، ولكل واحد منهم نهج خاص به؛ وفي ذلك يقول الإمام رضي الله عنه: { الوسعة تقتضي التفاوت }، فوسعة المرشد تقتضي تفاوت مشارب ومشاهد السالكين، فكان أن أقبلت على بعض هؤلاء الهداة أطلب الحصول على بغيتي، وهي فتح باب البصيرة.

وكان أول من تلقَّيت منهم الشيخ طاهر محمد مخاريطة [٧] فتعلقت به لأن الله وهبه لسان بيان الإمام أبي العزائم، ومن شدة تعلقي به وقد كنت مواظباً على حضور دروسه في أى مكان، أنى كنت أحفظ الدرس من أوله إلى آخره وأعيده على إخواني بعد رجوعي بقاله وحاله، وكأنه شريط مسجل.

وكان له الفضل علىَّ إذ حثَّني على الإقبال على دراستي حتى الإنتهاء منها ثم بعد ذلك يكون الإقبال بالكلية على طريق الله، ولما كاشفته برغبتي ومنيتي، دلَّنى على الأوراد العزمية من الأحزاب والفتوحات الخمسين في الصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ واللطائف البرزخية وغيرها حتى أنه لما وجد نهمي في ذلك وأن كل ما وظَّفه لي لا يشبع رغبتي، قال لي: كل الأوراد مفتوحة لك ومعك الإذن فيها.

ولما كان من شروط السلوك الصحيح الذي يعقبه الفتح عند الصوفية أن المريد لا يفعل ورداً إلا بإذن من شيخه؛ حيث أن الإذن يفتح له باب الإمداد ويجعل روح الشيخ تلاحظه فتحفظه من العقبات الخفية والوساوس النفسانية، فقد فرحت بهذا الإذن وأقبلت على الأوراد بهمَّة لا تكلُّ، غير أن هذا لم يشف غليل نفسي، وكان قول الإمام أبي العزائم:

٧ الشيخ طاهر محمد مخاريطة: وكان أبوه الشيخ محمد مخاريطة من دمياط وكان من أهل بورسعيد، وهو رجل من الصادقين في صحبة الإمام أبي العزائم وقد ربَّاه أبوه هو وبنيه الآخرين على هذا الحب الصادق مما جعله يترك عمله في التجارة ويتفرغ للدعوة إلى الله ﷻ، وله لسان بيان يجذب القلوب إلى الله ﷻ، مع الصدق في الحال والنورانية والشفافية، وتدهورت صحته قبل وفاته لكبر **سنه، فلم يعد يستطيع القيام بأعباء الدعوة، وأقام سنواته الأخيرة فى الإسماعيلية وتوفى إلى رحمة الله تعالى ودفن بها منذ سنوات قليلة.**

أبداً إلى هذا الجناب حنيني ... لا صبر لي حتى تراه عيوني

يرنُّ في أذني دائماً مما حدا بي أن أكشف هذا الأمر للشيخ محمد شحاته هنداوي [٨]، فقال لي: الذي يفتح البصيرة هو ذكر الله ﷻ، ولكنه لم يبين لي كيفية هذا الذكر ولا طريقته، فعرضت الأمر على رجل آخر من الدعاة وهو الشيخ قطب زيد [٩]، فأجابني إجابة فهمت منها أنه يريد صرفي عن هذا الأمر، وأن يكون كلُّ همي هو الإقبال على مجالس الإخوان وتبادل الزيارات وقراءة الصلوات في الجماعة.

هذا ولم يكن يعجبني بعض مفاهيم راجت وسط جموع الإخوان في ذلك الوقت ... حيث أنهم كانوا يروِّجون فيما بينهم أن هذه الأذواق العالية ... والأحوال الراقية ... والمشاهد السامية ... إنما هى أذواق وأحوال ومشاهد قاصرة على الإمام أبي العزائم ﷺ فقط!!، أما الباقون .. فيكفيهم أن يحبُّوه ويقبلوا على الأوراد والمجالس! ولا يكلفون أنفسهم هذا الأمر! .. ويؤيدون دعواهم أن هذه الأشياء تنال بفضل الله فقط! وليس للمجاهدات فيها شأن.

وكنت أرد عليهم بما سمعته منهم من أحوال الإمام أبي العزائم وغيره من الصالحين ومجاهداتهم الفادحة في ذات الله ﷻ، وفي أن اصطفاء الله ﷻ لم يتوقف وفضله سبحانه وتعالى واسع وغير محصور ورحمته ﷻ واسعة تسع كل من اهتدى وأناب، وقد قال سبحانه وتعالى فى (٧٥ الحج):

٨ الشيخ محمد شحاته هنداوي: من بلدة الخادمية محافظة كفر الشيخ، تعرف على الإمام أبي العزائم في صباه وقد كان طالب علم بالمعهد الأزهرى، فترك دراسته ومشى خلف الإمام أبي العزائم حتى فتح الله عليه وصار من كبار الدعاة إلى الله ﷻ وإن كانت تعتريه حدة أحياناً، وقد توفي بكفر الشيخ في رمضان سنة ١٤١٣هـ ١٩٩٣م عن عمر يناهز التسعين عاماً، رحمه الله رحمة واسعة.

٩ الشيخ قطب زيد: هو رجل من بلدة القنّ مركز سيدي سالم محافظة كفر الشيخ، وقد دعا له الإمام أبو العزائم بما دعا به سيدنا رسول الله ﷺ لسيدنا عبدالله بن عباس رضي الله عنهما في قوله: {اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل} فكان يتجلى على قلبه حقائق صادقة في معاني الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وظل مجاهداً في الله طوال حياته حتى لقى ربه ودفن ببلدته سنة ١٩٨٣م.

﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ ﴾

فكلمة يصطفي بصيغة المضارع تدل على دوام هذا الأمر إلى يوم القيامة.

العثور على الرجل الحي

وظللت على هذا الحال فترة من الزمن وأنا مشغول بالرجل الحي الذي يأخذ بيدي إلى الله وإن كنت تيقنت أنه من بين أفراد آل العزائم للرؤيا التى ذكرتها قبل لكم.

وانتهيت من دراستي فى الجامعة وحصلت على درجة الليسانس من كلية دار العلوم – جامعة القاهرة سنة ١٩٧٠م، ثم صدر قرار تعييني بوزارة التربية والتعليم بمحافظة قنا، وذهبت إلى قنا واستلمت العمل بأرمنت مدرساً إعدادياً للغة العربية، فتعرفت على ثلة قليلة مباركة تعرف الإمام أبى العزائم معرفة يقينية، ولما سألتهم عن سبب معرفتهم بالإمام أبي العزائم قالوا: الشيخ محمد على سلامه.

ولا أنس تلك الليلة المشهودة حيث دعوني لأحضر معهم احتفالاً بميلاد سيدنا رسول الله ﷺ في منزل الشيخ عبداللطيف محمد على التاجر بأرمنت، وبعد تناول العشاء تجاذبنا أطراف الحديث

فأذهلني ما رأيته منهم من الأحوال العالية والأخلاق والكمالات السامية مع أنهم كانوا قوماً غير معروفين في هذا الشأن سواء بين إخوانهم من آل العزائم الظاهرين أو بين ذويهم والمحيطين بهم لأنهم شعارهم قول الإمام أبي العزائم:

اخفوا علومكم صوناً لها عمن ... مالوا إلى الحظ من زور وبهتان

فمنهم الشيخ أبو العدب [١٠] الذي قال لي: عرفتم أبو العزائم بالقول وعرفناه بالعين، وأما الذي كان له الفضل الأكبر عليَّ في معرفة شيخي وإمامي فهو الشيخ أحمد حسن غرباوي [١١]، وهو الباب الذي دخلت منه على الرجل الحيّ فعندما أصابتني الدهشة من جمال هذه الأحوال التي كنت أبحث عنها، وسألتهم عن سرِّ تجملهم بها، ألمح إلى فضيلة الشيخ محمد على سلامه، وكان قد انتقل في ذلك الوقت إلى بلدة ههيا محافظة الشرقية، ولم أكن قد حظيت بمقابلته رغم ذهابي إليها مراراً لشدة تكتمه وخفاءه.

وبعد انتهاء السهرة، ذهبت إلى غرفتي فنمت مأخوذاً بهذه الأحوال ... وفى نومى رأيت الشيخ رضي الله عنه في المنام وهو ينظر إليَّ، وأخذ ينظر إليّ ويطيل النظر، وكلما نظر إليّ أحسست بأني اغيب عن كياني وأرتفع إلى الملكوت وأشاهد أشياءاً لا أذكرها الآن، فتعجبت مما رأيت وشاهدت وهممت أن أسأل عن سرِّ ذلك، فسمعت صوتاً يجيبني عما جاس في خاطري قبل أن أتكلم به ويقول:

١٠ الشيخ أبو العدب: رجل أخذته الجذبة الإلهية عندما وُوجه بالأنوار الحقية في صحبة الشيخ محمد على سلامه، وإن كان مع شدة جذبه شديد التمسك بالأوامر الشرعية، وقد توفي ودفن الآن ببلدته حاجر الرزيقات قبلي مركز أرمنت في ١١ مارس ١٩٨٦م وكان يتميز بالكشف الصريح والمعرفة بما يدور في الخواطر وإن كان يستر ذلك بظهوره في حالة الجذب.

١١ الشيخ أحمد حسن غرباوي: وهو رجل من خاصة أولياء الله ومن كمّل ورثة أنبياء الله تعرفه بقاع السماء وتجهله بقاع الأرض، يدعو إلى الله بسرّه وبحاله، وهو الآن قائم ببلدته الرزيقات قبلي مركز أرمنت يجمع حوله الصادقين، ويوجه بإشاراته المقربين، ويرفع بأحواله العالية السالكين.

" لكل أمة نبي وهذا الرجل نبي هذه الأمة "

فاستيقظت وقد علمت أنه الرجل الحي الذي يحيي به الله القلوب والذي يقول فيه الإمام أبو العزائم:

{ الله حي قائم ولا يصل إليه واصل إلا بحي قائم }، ويقول فيه أيضاً:

{ نفسٌ مع الحي حياةٌ للقلب ونفسٌ في حياة القلب خيرٌ من حياة الفردوس }

ويقول أيضاً ﷺ وأرضاه للمشغولين بالعبادة والظانين أنها تغني في مقام الوصول عن معرفة العبد الموصول:

{ إنما حرموا الوصول بتضييع الأصول }

وأول أصل من هذه الأصول أن يجمعك الله على عبد موصول لقوله تعالى:

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٤٣النحل)

ويقول لهم أيضاً:

ألف عام بغير باب التهامى ... هى نَفَس بشرى لأهل السماح

ويعرفهم فضل الجلوس مع العارف الحي فيقول:

{ نَفَسٌ مع العارف خيرٌ من عمل العباد والزهاد لسنين طوال }.

وشاءت إرادة الله أن أعثر بعد ذلك على الحديث الذي يوضح ما رأيته في المنام وهو قوله ﷺ :

{ الشيخ في قومه كالنبي في أمته }[12]

فعلمت أنه رضي الله عنه شيخ هؤلاء القوم الذين كنت معهم ومن على شاكلتهم، وهو الباب الذي تفاض منه علوم النبوة وأحوالها لهم، وعلمت أيضاً أن الله ﷻ تفضل عليّ وجعلنى معهم وأسأله سبحانه وتعالى أن يزيد عليَّ هذا الفضل ويجعلنى منهم لقول الإمام أبي العزائم رضي الله عنه.:

{ من كان معنا فقه المعنى ومن كان منا نال المنى }

اللهم أنلنا المنى ومتع عيوننا بمشاهدة أنوار نبينا وأسرارنا بشهود محبوبنا ونفخة قدسنا بمعاينة الكمالات الربانية والأنوار الذاتية.

وصلى الله على سيدنا محمد سرّ الخصوصية وفرد الحضرة الذاتية وكاشف كل الكمالات لأهل النفوس الذكية وآله ورّاث تلك الحضرات النورانية ..

آمين آمين يا رب العالمين.

---

١٢ رواه الديلمي في مسند الفردوس وأبو نعيم في الحلية والسيوطي في الجامع الكبير من حديث أبي رافع رضي الله عنه، كما أخرجه ابن حبان **فى الضعفاء من حديث ابن عمر.**

البداية الصحيحة للسير إلى الله

وكان من فضل الله ﷻ عليّ أن أكرمنى بصحبة أخي الشيخ أحمد حسن غرباوي الذي أخذ بيدي إلى الطريقة الصحيحة لتهذيب النفس وصقلها وتكميلها بالآداب العالية الواجب اتباعها عند الدخول على الشيخ أو مصاحبته، وفي ذلك يقول الإمام أبو العزائم:

{ على السالك في طريقنا أن يصطفي له أخاً صادقاً سبقه في صحبة الشيخ يتأدب بأقواله، ويتهذب بأفعاله، ويأنس بأحواله، حتى يُدخله على حضرة المرشد ويكشف له عن جمالات وكمالات المرشد، لأن المرشد في ذاته عبد ولا يتحدث عن نفسه }

وكنت وأنا في غمرة تلك الأحوال أتطور سريعاً في الأحوال الروحانية وأشعر بشوق شديد إلى لقاء الشيخ رضي الله عنه، إلى أن حانت الفرصة ونزلنا لقضاء إجازة العيد، فذهبت تواً للقاء الشيخ ثاني أيام عيد الفطر المبارك.

وكان هذا أول لقاء بيني وبين الشيخ، واستهله رضي الله عنه بعد سؤاله عن الإخوان بأن حكى لي قصة الرجل الذي عزم على زيارة الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه، وأثناء سيره إليه وجد عابداً يسكن في كوخ صغير بالقرب من ساحل البحر، فعرّج عليه ليتعرف عليه وعرف منه أنه يصوم النهار أبداً ويقوم الليل أبداً!!

فلما سأله العابد عن وجهته؟ عرفه أنه متجه لزيارة الشاذلي فطلب منه أن يسأله الهاء له، فسار الرجل في طريقه حتى وصل إلى الإسكندرية، ونزل على القطب أبي الحسن فوجد من خيرات الله الحسّية والمعنوية، مالا يحيط به الوصف.

وبعد قضاء مدة الضيافة، استأذن الشيخ في السفر فسأله الشيخ: ألم يكلفك أحد بشيء؟، فحكى له ما دار بينه وبين العابد، فرفع يديه وقال لأصحابه: إني داع فأمّنوا: اللهم إنزع حبَّ الدنيا من قلبه؛ فتعجب الرجل! من دعوته.

ثم سافر الرجل راجعاً حتى وصل إلى كوخ العابد، فسأله عن رحلته، فأخبره بها وكتم عنه حياءاً منه ما دعا به الشيخ له، لما يراه من عبادته، ولكن العابد ألّح عليه في معرفة الدعوة التى دعا بها الشيخ له، فذكرها له، فقال: الحمد لله! لقد تعرفت الإجابة وأحسست بها في نفسي منذ ذلك الوقت، فقال الرجل مندهشاً: وما الدنيا التى عندك؟ ، فقال: أنا أصوم النهار، فإذا دنا المغرب ذهبت إلى البحر لأصطاد شيئاً أفطر عليه، فكان الله ﷻ يخرج لي كل يوم سمكة واحدة، كأنها بعينها التى أتحصّل عليها كل يوم، ومهما اجتهدت في الحصول على غيرها لا أستطيع!!، فكنت كل يوم وأنا ذاهب إلى البحر أتمنى بقلبي أن يرزقنى الله بسمكة أكبر أو بأخرى معها؛ فلما دعا لي الشيخ لم أعد أجد ذلك الخاطر في نفسي.

فزادت دهشة الرجل من أحوال الصالحين وعزم على زيارة الشيخ أبا الحسن في السنة التالية، وعندما ذهب إليه فوجئ بأن الأكل غير ما اعتاده فهو صنف واحد في كل يوم في الفطور والغداء والعشاء، وتعجب من ذلك وظن في نفسه أن الشيخ لا يريد إكرامه، مع أنه كان يأكل معه، وأدرك الشيخ ببصيرته النورانية ما يختلج بصدره فقال: "نحن قوم نجود بالموجود، ولا نتكلف المفقود".

فكانت هذه الحكمة هي المفتاح الذي فتح قفل قلبه ووضعه على أول طريق الفلاح، الذي نهايته لقاء الكريم الفتاح.

وقد أثمر هذا اللقاء مع الشيخ ﷺ عندي عدة أشياء منها: أني فهمت أنى أنا على شاكلة هذا العابد لشغلى في ذلك الوقت بالعبادة...؛ لأن المريد الصادق يأخذ كل حديث للشيخ في الخلوة أو في الجلوة على أنه هو المقصود به!، ولا شأن له في ذلك بغيره،.

ومنها أنى علمت أن المريد لا يصح له وضع قدم في طريق الله ﷻ حتى يخلع الدنيا بالكلية من قلبه، ومنها أنى أدركت أن دعوة الشيخ وقد كررها أمامي ثلاثاً هي لي والحمد لله شعرت بالإجابة من وقتها، فصارت الدنيا لا تساوي عندي قليلاً ولا كثيراً بجانب رضا الله ﷻ.

أما الدنيا التى كانت عندي، فهى أني كنت أعبد الله ﷻ لأنال آمالاً وقصوداً في نفسي وهى وإن كانت قصوداً راقية لأنها تتعلق بالدار الآخرة والوصول إلى الله ﷻ، إلا أنها لا تليق بآداب أهل الحضرة الذين يعبدون الله ﷻ لا لنوال عطاء ولا خوفاً من جزاء، وإنما لأنه سبحانه أهلاً لهذه العبادة وهذه طريقة العارفين، حيث يرمزون إلى السالكين بما يصحح أحوالهم في سياق حديثهم حتى ولو كان حديثاً عادياً، وفي ذلك يقول الإمام أبو العزائم ﷺ:

عنّي اسمعوا ما تعقلون من ... فالعلم بالرحمن من صافي
والعلم بالله العلي غوامضٌ ... لا يُفْقهن إلا لصبٍ في
خذ ما صفا لك من إشارة ... فالعارفون كلامهم يشفي

وهكذا بدأت السلوك الحقيقي إلى الله ﷻ على القدم الثابت المحمدي في حظوة هذا الولي، وما دار بيننا سأذكر نذراً يسيرا منها فى هذه السيرة تنشيطاً لهمم الأحباب ورفعاً لعزائم الطلاب وإن كان أغلب ذلك لا يليق أن نذكره لقوله ﷺ:

{ المجالس بالأمانات }[13]

وقانون أهل الحضرة في مجالسهم: نحن قوم نجلس مع الله، فإذا قمنا من المجلس فكأنما لم نجلس كتماناً للسر، وهذا لأن هذه العلوم والأسرار تحتاج إلى أذواق خاصة فالطريق إليها الحكمة القائلة: "ذُق تعرف".، والإشارة إليها في قول الإمام الغزالي:

فكان ما كان مما لست أذكره ... فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

وهي المعنية بقول الإمام أبي العزائم ﷺ.:

احفظن سري فسري لا يباح ... من يبح بالســـر بعد العلم
علمنــا فوق العقول مكــانــة ... كيف لا وهو الضـــيا الغيب
خصَّـــنا بالفضـــل فيه ربنا ... ذاك ســـرٌ غـامض كيف

[13] رواه أبو داود عن جابر

فى صحبة الشيخ رضي الله عنه

وبدأت صحبتى مع الشيخ رضي الله عنه، وأذكر باختصار شديد أنه عندما أمرنى بالإرشاد وكنت أتوجه بأمره إلى الجهات المختلفة للقيام بوعظ أهلها وإرشادهم، كان يتولى بعد عودتى وفى درسه تصحيح بعض المفاهيم التى ذكرتها، ويعيد توضيحها بما يلائم العصر مع اليسر فقد كنت أنقل عن السابقين آرائهم واستشهد بها فى دروسى، وربما لاأفطن أنها لاتلائم العصر أو أنها تشدد على الناس.

فكان يقول لى منبِّها وهو فى الدرس العام: بعض الناس يقولون كذا، و الصواب الذى يجب أن نقوله للناس هو كذا، ويذكر الأسباب، ومثال ذلك موضوع الموت، فقد كنت أركز فى حديثى عنه عن شدته ورهبته كدأب السابقين، حتى سمعته رضي الله عنه يقول:

يذكر الناس الموت وشدته ورهبته ولا يفرقون فى ذلك بين المؤمنين وغير المؤمنين، وما قالوه حق وواقع ولكن بالنسبة للكافرين والمشركين والجاحدين، أما بالنسبة للمؤمنين فالأمر يتغير، فهو بالنسبة لهم فرح بلقاء الله وسرور بتكريم الله، وجعل يذكر من ضروب التكريم وألوان النعيم التى يتلقاها المؤمن عند موته حتى جعل الحاضرين يحبُّون الموت ويتمنونه.[١٤]

١٤ أكرمنى الله تعالى بعد تلك الواقعة بسنوات لما قدَّر لى حمل أمانة الدعوة بعد رحيل الشيخ؛ أن نخرج للناس كتابين فى هذا الشأن وعلى ذلك المنوال من دعوة التبشير وهما : بشائر المؤمن عند الموت، والثانى: بشريات المؤمن فى الآخرة.

وأذكر أنه مما أثار دهشة الكثير من الأخوان أننا كنا ذات مرة فى زيارة فى بلدة الرزيقات قبلى بأرمنت بمحافظة قنا، وقد ذهب ﷺ.لزيارة مريض وذهبت مع الإخوان للمسجد الصلاة ، وبعد الصلاة طلبوا أن ألقى درسا ، فتحدثت معهم شارحا حكمة للإمام أبى العزائم: (الورثة أربعة، ورثة أقوال: وهم حملة الشريعة الممنوحين، وورثة أعمال؛ وهم العباد الورعون، وورثة أحوال؛ وهم أهل المواجيد الصادقة المحدثين، والرابع الوارث الفرد الجامع)

وشرحت للإخوان الحاضرين الثلاثة الأولى بحسب ماتيسَّر، وهممت بشرح الرابعة، وإذا بأخ يدخل علينا ويقول الشيخ يدعوكم، فقمنا وذهبنا وجلسنا حيث كان الشيخ وبدأ درسه قائلا: الورثة أربعة وسردهم ثم بدأ بشرح الرابع وهو الوارث الفرد الجامع أى من حيث أنتهيت أنا ﷺ.وأرضاه.

واستمرت بنا السنوات، وتوالت الأحداث، ووقع فيها ماشاء الله له أن يحدث، وظهر فيها من الأنوار والأسرار والإفاضات والتأييدات مما لايسعه الذكر أو لا تطيقه العبارة ولاتحمله الإشارة.

وفى أثناء تلك السنين أسس الشيخ ﷺ جمعية الدعوة إلى الله بمصر الجديدة لتكون واجهة رسمية للدعوة الصادقة، وقد أنضم إليها أبناؤه وتلامذته وكنت واحدا منهم واستمرت المسيرة.

وقد كلفنى ﷺ بما شاء فى هذا السبيل من الأمور والمهام ومن شئون الدعوة، وكنت أصحبه ﷺ فى غالب رحلاته الدعوية، وكان الشيخ ﷺ يحيل إلى الكثير من شئون الإخوان واستشاراتهم، وكان ﷺ إذا ما استشاره أحد فى شيىء وسأله: هل سألت أخانا فوزى فى هذا؟ فإن قال نعم ، قال له أعمل ما أشار عليك به !! وربما سأل الشيخ بعضهم: بماذا أشار عليك فوزى؟ فيقول له: كذا، فيقول: نعم هو الصواب، وأخبرنى البعض ممن كان يلازم الشيخ أثناء إقامته ببورسعيد أنه سمعه فى غير موقف يقول لمن يسأله: إذهب لفوزى ففوزى أنا وأنا فوزى.

استلام الراية

ومرت السنون وكان لى مع الشيخ من الشئون ما لا يسعه المجال، وما قد لا يسطر بحال مما ليس له وعاء إلا صدور الرجال......

حتى جاء أمر الله وكان العام ١٤١١هـ، ١٩٩١م ، وذهب الشيخ للحج هذا العام وكان على موعد للقاء الله تعالى، وقد صحبته بعد أن أمرنى بالحج حيث كنت لاأنوى الحج هذا العام وقال لى: ومن الذى يثبت الإخوان عند إنتقالى، فكان مأراد ﷺ.

ولما جاء الأوان الموعود .... .. وفى آخر ليلة قبل انتقال الشيخ وقد مرَّ ﷺ على جميع الإخوان يسلم عليهم فرداً فرداً وكانوا يعجبون لذلك، جاءنا حيث نقيم بفندق أم القرى الحادية عشرة مساءاً، فأحببنا أن يخلد إلى النوم لينال قسطاً من الراحة، ولكنه قال: أحبُّ أن أجلس معكم لحظات، وبدأ ﷺ يسرد ماحدث فى محاضراته التى ألقاها اليوم للحجيج، ويوضح أن هناك أخطاء كثيرة يقعون فيها للجهل بالمناسك، ثم توجَّه إلى وقال: عندما تنزل مصر إن شاء الله اجمع هذه الأخطاء تحت عنوان "أخطاء شائعة فى الحج " وأضفها إلى كتاب حكمة الحج وأحكامه فى طبعة جديدة.[١٥]

وفى اليوم التالى كان ما قدر الله، وانتقل الشيخ ﷺ إلى رحاب الله[١٦]، ودفناه بمقبرة المعلا بمكة المكرمة.

وهنا عجيبة من ترتيبات القدر أحببت أن أقصها عليكم ، فقد عرفنا لاحقاً أن مقبرة المعلا تقع فى عطفة أو حارة الجميزة بمكة المكرمة ووجدنا يافطة كبيرة بذلك على مدخل المقبرة للقادم من ناحية الحرم واليافطة مازالت موجودة بجوار المدخل، والعجيبة هنا أن اسم حارة "الجميزة" إسم غير مشهور لا بالسعودية ولا بمصر، وهو نفس اسم بلدتى التى ولدت فيها وأعيش بها فى الوقت الراهن وهى بلدة "الجميزة" مركز السنطة بمحافظة الغربية بمصر.

---

١٥ وقد أعاننى الله فقمت والحمدلله بعد رجوعنا بجمع هذه الأخطاء مع شرح مبسط ووافى للمناسك وطبعناه فى كتاب أسميناه **"زادالحاج والمعتمر" وقد طبع طبعتان، و طبع مؤخراً طبعة صغيرةالحجم للحمل بالجيب أثناء أداء المناسك.**

١٦ لمراجعة سيرة الشيخ محمد على سلامه راجع كتابنا " العارف بالله تعالى الشيخ محمد على سلامه سيرة وسريرة "

إكمال المسيرة والفتح الوهبى فى الدعوة

وبعد العودة من الحج استكملنا مسيرة الدعوة المباركة كما بدأها ﷺ.، وأسسنا الجمعية العامة للدعوة إلى الله وهى جمعية مركزية، وأصبح لها ما يزيدعن العشرين فرعاً بجميع المحافظات.

وأكرمنا الله بإخوان صدق أعانونا فى شئون الدعوة، واكملنا المسيرة على نهج الشيخ بعقد لقائين جامعين فى السنة، اللقاء الأول إحتفالاً بالمولد النبوى الشريف، والثانى إحتفالاً بذكرى الإسراء والمعراج، وأضفنا إليه لقاءاً ثالثاً وهو لقاء الإحتفاء بذكرى الشيخ محمد على سلامة ﷺ.

وكنت أسافر بانتظام إسبوعياً تقريباً من بلدتى إلى بلدة أخرى للقاء إخواننا بأهل هذه البلدة يوم الجمعة أو ليلة الجمعة ويومها، كما واظبت أيضاً على اللقاءات السنوية بالصعيد فى أسوان والأقصر وإسنا وسوهاج، وكذا بالمنيا ومغاغة وأيضاً الإسكندرية وبورسعيد وبنها والمنصورة وكفر الشيخ وغيرها، وكل ذلك على نفقتى الخاصة بفضل الله، ومع استمرارى فى العمل بالتربية والتعليم وترقيتى فى عملى واجتهادى لأكون صورة صادقة جامعة فى هذا الزمان بإذن الله.

وكان لهذه اللقاءات المطولة بالصعيد والأسبوعية بالبلاد الأثر الأكبر فى ترسيخ الدعوة وطرح أساليب التربية الصادقة على المريدين ... وتفريخ الرجال الصادقين، وقد أظهر الله تعالى لنا فيها من التأييد وافاض علينا من بحور الإلهام مما تعجز عن تسطيره الأقلام، وجمع علينا بفضله من خيرة الأتباع الصادقين المقبلين على ربِّ العالمين مما جدد روح الدعوة وأشاع فيها روح المحبة والصدق والأخوة.

ثم ألهمنى الله تعالى لما ظهرت لى حاجة الدعوة للقاءات المتتالية المنتظمة المنهجية إضافة إلى ما كان يجرى بالفعل، أن نعقد لقاءاً شهرياً جامعا، فكان لقاء المعادى بالقاهرة يومى الخميس والجمعة الأولى[١٧] من الشهر، يبدأ اللقاء من بعد صلاة العشاء يوم الخميس، ثم صباح الجمعة فالخطبة ويستمر إلى صلاة العصر، وقد أكرم الله الدعوة بهذه اللقاءات المنتظمة والتى استمرت من يومها فى منتصف التسعينات حتى اليوم فى أن تكون منبرا راسخاً فى التربية الصوفية المنهجية المنتظمة، وترسيخ الدعوة الصادقة إلى جهاد النفس وغيرها من الكثير مما فتح الله تعالى به علينا، فكانت هذه اللقاءات الشهرية على مدار السنوات بمثابة معاهد علمية صوفية شرعية راسخة، بل واصبحت لقاءاتنا الشهرية اليوم منبراً عالميا يتابعه آلاف المسلمين على الهواء على الشبكة الدولية للمعلومات.

١٧ كانت اللقاءات الشهرية بالمعادى فى الخميس والجمعة الثانية من كل شهر ميلادى بانتظام حتى شهر أبريل ٢٠١٠.

وانتشرت الدعوة وأكرمنى الله ببركة حبيبه ﷺ فأفاض على من الحكمة وفصل الخطاب مما دعا الكثيرين لإستضافتى بكثير من البرامج المسجلة أو على الهواء بالإذاعة والتليفزيون والقنوات الفضائية[١٨]، وقد عرض علينا ومازال الكثير من ذلك ومن البرامج ولكنى كنت ومازلت أصرُّ دائما على ألا أقبل إلا دعوات البرامج التى تدعو للمِّ الشمل، ومحاربة البدع والخرافات، وعدم التجريج أو بلبلة الرأى العام بالأقوال المهجورة، وعدم شن الحروب الدعائية والبعد عن الإثارة وعدم افتعال أو إشعال الخلاف، وتجنب ما يحدث الفتن ويشيع روح التباغض أو الفرقة والتشدد فى المجتمع.

كما أكرمنى الله بالتأكيد على الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة لإحياء روح الإسلام الحقيقية وإعطاء الشكليات وزنها الحقيقى بلا مبالغة ولا تسيب، وبأن تكون دعوتنا وسطية لا تفريط فيها فى شرع الله ولاإفراط ولا مغالاة، وفى المقابل فقد جعلنى الله تعالى أنا محب الصوفية الحقة والمتصوفين الصادقين حرباً على كل أدعياء التصوف ومحبى الدروشة والشعوذة والكسل والإختلاط والخزعبلات ومرتزقى أو أرزاقية التصوف، لنعود بالتصوف إلى رحاب الدين الحق وإلى طريق الصدق والإخلاص والإقبال على الله بالعمل والجد ونفع المجتمع أفراداً وجماعات.

١٨ من القناة الأولى والسادسة والثامنة والفضائية المصرية بالتلفزيون المصرى وغيرها من الفضائيات، وإذاعة القاهرة الكبرى والقرآن الكريم، وشمال الصعيد ووسط الدلتا وإذاعة القناة وغيرها.

وقد منَّ الله علينا بأخوان صدق فى جميع البلاد يسجلون دروسنا منذ أيام الشيخ وفى حياته وبعد ذلك، حتى جمعوا لنا من ذلك حتى الآن ما يزيد عن الأربعة ألاف شريط من التسجيلات والعشرات من شرائط الفيديو ثم التسجيلات الرقمية والإسطوانات المدمجة فانضم من ذلك المئات إلى ماسبق، ومازال الكثير لم يجمع بعد مما سجِّل بحقبة السبعينات والثمانينات وأوائل التسعينات.

وقام من بينهم جماعة من أهل الإخلاص والصدق أفرغوا ما يقرب من الأربعمائة وخمسين شريطاً وكتبت وخرجت أحاديثها وآياتها وأكرمنا الله حتى الآن بطباعة ثلاثة وستين كتاباً فى جميع شئون الدين والحياة والتصوف والطريق إلى الله والحقيقة المحمدية وأكثرها من هذه الشرائط المفرغة؛ نسأل الله تعالى أن يعيننا على إخراج ماتبقى للنور لنفع المسلمين والمسلمات إنشاء الله رب العالمين.

وقد أعان الله إخواننا أهل الصدق فأنشأوا لنا موقعاً على شبكة الإنترنت منذ ما يقرب من العشر سنوات، وكان موقعا بسيطا بقدر تطور الشبكة وقتها، ثم أكرمنا الله منذ أقل من سنة وبجهود المخلصين أن طوَّرنا الموقع ليصبح مرجعا عالمياً علميا تسجيلياً لجميع رحلاتنا ولقاءاتنا وكتبنا، والقائمون عليه فى الطريق لتفريغ هذا التراث الضخم بالكامل من التسجيلات مع تبويبها تاريخياً باللقاءات وأماكنها، وفهرستها موضوعيا أيضاً ليسهل الوصل إلى موادها بأي طريق،

ونهاية فالموقع يعرض جميع محاضراتنا صوتا، وصوتاً وصورة، وكتابة، ويمكن للمتصفح السماع فقط أو المشاهدة والسماع أو القراءة على الشبكة مباشرة، أو التنزيل كتابة أو صوتا أو صوتا وصورة بامتدادات الشبكة المختلفة، وطبعا يتوقف توفر الصورة مع الصوت على التسجيلات المتاحة لدينا وجودتها بعد هذه السنوات، ويزاد على هذا بتخريج الآية والحديث وغيره لإتمام العمل.

كما يحتوى الموقع على كم هائل من الإستشارات والأسئلة والفتاوى التى تجمعت عبر هذه السنين، وإضيف مؤخرا واجهة للموقع كمرآة باللغة الإنجليزية وجارى رفع المواد التى تمت ترجمتها والأمل فى الله كبير أن يعين القائمين على هذا المشروع وأن يجمع عليهم المزيد من أهل الصدق والإخلاص والمتخصصين ليكون هذا الموقع شاملا وبكل اللغات خاصة وأنه تمت ترجمة بعض الكتب ونشرها بأندونسيا فعلاً باللغة الأندونسية والله المستعان وبه التوفيق.

من علامات تأييد الله وتوفيقه سبحانه

إخوانى أكرمنى الله تعالى فى أطوار الدعوة إليه سبحانه بالقال والمقال والسياحات وغيرها مما منَّ به علىَّ؛ بتوفيقه وتأييده وإمداده وعونه، ولولا فضل الله ﷻ ونظرات رسوله ﷺ ما استطعت النطق أو الكتابة لأى حرف أو كلم مما ينسب إلىَّ، فالأمر كما قال الله ﷻ فى كتابه الكريم (٢١النور):

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾

وكذلك بالنسبة لإمدادات ونظرات رسول الله ﷺ فأتمثل فى ذلك بقول إمامنا أبى العزائم ﷺ :

كل الذى أنا فيه فضل محمد منه بدا وإليه كان وصوليا
وأنا الظلوم أنا الجهول أنا الذى لولا عنايته هلكت بحاليا

ولذا كان لزاما علىَّ أن أذكر بعض ما منَّ به الله ﷻ علىَّ من التوفيق والتأييد لنسبة هذا الفضل إلى الله أولاً، وتحفيزاً وترغيباً للصادقين فى المعاملة مع الله ﷻ ثانياً، وتحقيقاً لرغبة الكثير من الإخوان فى معرفة ذلك ثالثاً، ويعلم الله أنه قد إجتمع لنا المئات من تلك الإكرامات مما كتبه إخواننا فيما وقع لهم أو رأوه، وأرسلوها لنا لتكون سجلا حيًّا لما شهدوه وعاصروه من ذلك، ولكنا سنكتفى هنا بذكر بعض نماذج منوَّعة مابين رؤيا صالحة أو مشورة ناصحة، أو مقولة موفقة على غير معرفة مسبقة، أو إجابة خواطر خفية بإجابات بينة جلية.

وحتى لا تختلط المفاهيم لدى بعض قرائنا الكرام، فإنى وإضافة إلى ما اوردت فى مقدمة هذا الكتاب عن الكرامة ومفهومها لدى الصالحين، فإنى أزيد الأمر جلاءاً بأن أقول أن الله تعالى يسوق الكرامات فى الكثير من المواقف بمثابة إشارات تثبيت أو وسائل تأييد يظهرها الله تعالى على أيدى العارفين بلا طلب منهم لذواتها لأنهم يفرون من سوى مولاهم ولا يطلبون شهرة فى دنياهم ولا عطية فى أخراهم،

إنما كدهم وسعيهم فى توصيل الرسالة التى كلِّفهم بها مولاهم من دلالة الخلق عليه والأخذ بإيديهم إليه، وعليه فقد يظهر الله تلك التأييدات أو الكرامات فيهم أو عليهم، أو فى أتباعهم أو معارضيهم، لتأييد الصالحين أو تثبيتاً للأحباب أو للمؤانسة أو فصل الخطاب.

ومن جملة تلك الكرامات:

الرؤيا الصالحة التى يراها المؤمن أو ترى له، والرؤيا الصالحة هى التى قال فيها ﷺ لسيدنا عُبادةَ بنِ الصامتِ ، عندما سأله عن قولُ اللَّهِ تعالى { لهمُ البشرَى في الحياةِ الدنيَا وفي الآخرةِ } فقالَ ﷺ:

{ سألتَني عنْ شيءٍ ما سألني عنهُ أحدٌ قبلَكَ أوْ أحدٌ منْ أُمتي، قالَ: هِيَ الرؤيَا الصالحةُ يراهَا المسلمُ أوْ تُرَى لَهُ }[19]

وهى التى قال فيها أيضاً ﷺ فى موقف شديد الخصوصية فى تاريخ الأمة المحمدية صادراً عن بصيرته النوارنية واستلهاماً لما تحتاجه الأمة بعد رحيله ﷺ من استمرار فيض البشريات الربانية لأفرادها – بعد إنقطاع الوحى المباشر- وذلك عندما صلى الناس وراء سيدنا أبى بكر ﷺ فى مرض إنتقاله ﷺ وقلوبهم وجلة خوفا على نبيهم؛ إذ روى ابنِ عَبَّاسٍ عن تلك اللحظات العصيبة التى سبقت العاصفة الهائلة التى ألقت بظلالها الكثيفة عليهم فقال:

---

١٩ اسم الكتاب: سنن الدارمي عن عبادة بن الصامت

{ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كَشَفَ السِّتَارَةَ وَالنَّاسُ صُفُوفٌ خَلْفَ أبي بَكْرٍ فقال: ياأَيُّهَا النَّاسُ إنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مَبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إلاَّ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا المُسْلِمُ أوْ تُرَى لَهُ }[٢٠]

إذ كان ﷺ فى رؤيته لأمته يصلون خلف من سيخلفه فيهم يستشعر حاجتهم بعده لاستمرار مثل هذه المبشرات التى كان يواليها بهم وهو بين ظهرانيهم فتشد من أزرهم وترسم لهم علامات على حسن سيرهم أو تأييد السماء لهم، بل وكانت تظهر على الكثيرين فيؤيدها ﷺ أو يعبرها (يفسرها) لهم، ولذا فكثيراً ما كان يسأل أصحابه بعد صلاة الصبح:

{ أَيّكُمْ رَأَى اللّيْلَةَ رُؤْيا؟ }[٢١]

وكان عبد الرحمن بن أبى بكرة يقول:

{كان رسول الله ﷺ يعجبه الرؤيا الحسنة ويسأل عنها .. أيكم رأى رؤيا؟ }[٢٢].

التأييد بالرؤيا الصالحة

وحتى لايتطرق الشك إلى بعض القلوب أن مثل هذه المبشرات من الرؤيا الصالحة كانت مقصورة على زمن مضى أو أناس بعينهم، نقول أنه من الثابت لأهل العلم ومما لا يقبل الشك، أن مثل هذه الأمور المباركات قد استمرت من بعده ﷺ فى الأمة وعلى نفس المنوال الشريف من البشرى والتأييد

---

٢٠ سنن أبي داوود عن ابن عباس
٢١ المستدرك على الصحيحين، عن سيدنا سفينة مولى أم سلمة رضي الله عنها
٢٢ مسند الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن أبى بكرة رضي الله عنه.

أو فصل القول والتشريف، ونحن لا نبيح سراً أذا أمطنا اللثام عن أنه قد وقع لنا الكثير من ذلك بفضل الله وبركة رسوله ﷺ فى طريقنا إلى الله وسلوكنا لنهج الصالحين؛ سواء ما رأيناه بأنفسنا من رؤي التوجيه أو التأييد من الله ورسوله ومن ذلك ما ذكرت طرفاً منه مما حدث لى فى طريق سلوكى إلى الله بالصفحات القليلة السابقة.

ومنه ما أيد الله تعالى به أخواننا السالكين للطريق على أيدينا فرأى أكثرهم من ذلك الشيىء الكثير والجم الوفير، وأذكر من ذلك ...

قصة وقعت لنا فى زيارة سابقة إلى سوهاج بتاريخ ٢٠١٠/٦/٣ والتى استمرت عدة أيام ففى الليلة الأولى قام الشيخ أكرم سعد الدين على، واعظ مركز جرجا بتقديمى لإلقاء الدرس بعد أن صلينا العشاء بالمسجد وكانت السهرة فى حفل كبير أقيم بمنزل د. أحمد حسين بسفلاق، كعادة إخواننا أكابر القوم بالصعيد عند استضافة العلماء، فأثناء تقديم فضيلته لى قال على لسانه أنه قبل الحفل جاء أحد الحاضرين الذين صلوا معنا ممن لا يعرفنا وطلب من الشيخ أكرم على أن يصافحنى، فسأله الشيخ أكرم: هل أعجبك شيء من علم الشيخ فوزى فى كتبه؟ قال: ليس ذلك!، فقال له: هل أعجبك شيء سمعته فى دروسه المسجلة على الشرائط أو الإسطوانات؟ قال: ليس الأمر كذلك، فقال له الشيخ أكرم متعجباً: فما السبب الذي دفعك لطلب هذه المصافحة؟

فقال: رأيت بالأمس رؤيا كأني ذاهب إلى صلاة الجمعة في مسجد سيدي أبو عمرة (بجرجا) وإذا بصفين من الرتب العالية مصطفين خارج المسجد، فلما سألت عن السبب؟ قيل: نحن جئنا لاستقبال خطيب الجمعة ففوجئ بخطيب الجمعة (المعتاد) وقد تغير، وإذا هو فضيلة مولانا الشيخ فوزي محمد أبوزيد ﷺ، فلما سمعت أن الشيخ هو بنفسه هنا حضرت للسلام عليه ومصافحته.

ثم أضاف الشيخ أكرم أيضاً وفى نفس التقديم:

وكذلك حدثنى الأخ الصادق الأستاذ/ أحمد عبدالرحيم، أنه أيضاً رأى فى المنام البارحة أنه ومعه أخوه الأستاذ/أحمد ربيع وقد صُعِدَ بهما إلى السماء، فوجدا قوماً كراماً بيض الوجوه يذكرون الله تعالى، فلما دعوهما قالا: إنما جئنا نسأل عن الفرد الوارث!، فأخذوهما إلى حجرة طيبة بالسماوات بها رسول الله ﷺ وقيل لهما أن معه الفرد الوارث الذى جاءوا لمعرفته.

ولما دخلا الحجرة إذا بالجالس بداخلها مع رسول الله ﷺ هو فضيلة مولانا الشيخ فوزي محمد أبوزيد، وقد قال الشيخ أكرم ذلك فى تقديمنا للدرس وسمعه جميع الحاضرين؛ فكان تأييدا من الله لتعريف الناس بنا إذ كانت هذه هى زيارتنا الثالثة لسوهاج وقد اجتمع علينا فيها جمع غفير يطلبون الله تعالى ويسألون عن السبيل الموصلة إليه.

ورواية ثانية أذكرها لرؤيا حدثت لأخينا الشيخ عبداللطيف محمود من ترعة ناصر، وكنت فى سياحة دعوية لإخواننا بمحافظة قنا وكانت ليلة فى عزبة الحامى تابع البصيلية – مركز ادفو- وكنت ألقى درساً فى شمائل حضرة النبي ﷺ، وكان فتحا إلهامياً عليَّاً فى شمائله وأنواره تعجب له الحاضرون.

وفى صبيحة اليوم التالى حدثنا أخونا الشيخ عبد اللطيف محمود وقص حكايته على الحاضرين، فقال أنه رأى ليلة البارحة وبعد الإنصراف من درس الشمائل الذى عجب فيه للمعانى العالية التى ألهمنا الله بذكرها! فقال أنه لما نام رأى نفسه داخلاً على الروضة النبوية الشريفة، وكان حضرة النبي ﷺ يتكلم مع فرد آخر بالداخل وباب الروضة مقفول، فقال: قلت فى نفسى أنتظر حتى ينصرف الرجل لأحظى بالإنفراد بحضرة النبي.

وحدث ذلك، فلما جلست فى حضرته ﷺ وانفردت به قلت لرسول الله ﷺ: يا سيدي قال فيك الشيخ فوزى كذا وكذا من الشمائل ويقصد التى ذكرتها فى الدرس ليلة البارحة، فرد ﷺ قائلاً: حقاً حقاً ياعبد اللطيف!، قال: فأخذت أقبل ساقيه الشريفتين بأدب وخجل، فنادنى ﷺ باسمى وقال: كفاياك يا عبداللطيف حيث كنت أتبرك بالساقين وأمسح وجهي.

وأختم برؤيا ثالثة لأخينا المهندس نبيل إبراهيم وهو رجل صادق محبٌّ للصالحين جمعه الله تعالى علينا منذ سنوات قليلة بعد أن اجتهد السنين الطوال فى مصر وخارجها فى البحث عن العبد القائم، وقد أكرم بالكثير من الرؤيات لسيدنا رسول الله ﷺ ومنها ما قصَّه علىَّ أنه كان يقرأ القرآن فى رمضان قبل الماضى وذلك بعد أن تعرف بنا بمدة قصيرة، وهو يحكى بنفسه ويقول: .. فى رؤية خالصة أثناء تلاوة القرآن الكريم فى رمضان وفى لحظة وأنا أقرأ المصحف، رأيت على دفتى المصحف اليمنى حضرة النبى ﷺ وعلى الدفة اليسرى حضرتكم جالساً أمام رسول الله، ثم قام ﷺ بإخراج الآيات من داخل المصحف وآيات من فمه الشريف ثم يتفل بها فى فمك وأنا أرى الآيات تدخل فى داخلك وأنت جالس أمام حضرته ﷺ.

وهذه الرؤيات التى وقعتا لمريدينا أو من يسلكون الطريق على أيدينا لا تعدُّ ولا تحصى، ولكنا هنا نكتفى بذكر ما سبق للتدليل على أن باب الرؤيا الصادقة التى يؤيد الله بها أحبابه والمقبلين على رحابه مفتوحاً دائماً وإلى ما شاء الله.

التأييد بإجابة مكنون الصدور

وهذا أيضا له سنده من السنة المشرفة فقد قال ﷺ:

{ احذَرُوا فِرَاسَةَ المؤمِنِ فإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ الله وَيَنْطِقُ بِتَوْفِيقِ الله }[٢٣]

[٢٣] (ابن جرير) عن ثوبان، الفتح الكبير.

فكذلك مما منَّ الله به علىَّ من إلهامه وتوفيقه أنى فى معظم الأحاديث التى أتوجه بها إلى الحاضرين يلهمنى الله ﷻ بالإجابة عن الأسئلة والإستفسارات التى تجول بخواطرهم بإجابات تشفى صدورهم ووقع لنا مع إخواننا ممن يعرفوننا الشيىء الكثير،بل وأكثر من ذلك وقع لنا مع من لا يعرفوننا أو أتوا ليتعرفوا بنا.

وأذكر منهم أخاً من أشراف السعودية جاء مع والده للعلاج وأحب فى آخر يوم فى زيارته أن يتعرف بنا لأن علاج والده استغرق المدة كلها ولابد أن يسافر غداً، وكان قد قرأ كتبنا من قبل وقد وقع فى قلبه أنه ربما وجد من يبحث عنه، فقال فى نفسه لو كان هو فسَيُيَسِّر الله لقاءه، فاتصل بالدار التى تشرف على كتبنا بالتليفون الموجود بالكتب وتكلم مع أحد مسؤلي الكتب، فحدثنى هذا الأخ وأخبرنى عنه وعن رغبته؛ فطلبت منه أن يصحبه لزيارتنا بالجميزة فى سيارته وكان اليوم الإثنين وهو يوم الدرس الإسبوعى.

وكان أخونا الزائر قد استأجر سيارة بالقاهرة وذهب ليقابل أخانا الذى سيصحبه فى سيارته الخاصة ولكنه ضلَّ الطريق أكثر من ساعة ونصف لأنه أصرَّ على القيادة بنفسه فى القاهرة، وعندما لم يعرف كيف يسير وقد ضاع الطريق منه وتأخر الوقت، نصحه الأخ أن ينزل من أول منزل بالكوبرى الذى هو فوقه الآن وينتظر هنالك ويعطى الموبايل لأى مصرى ليصف المكان ليذهب إليه! والإثنان على ثقة أنهما على طرفين بعيدين بالقاهرة فهذا بالدقى والثانى بالهايكستب!.

فوافق على مضض لأنه يصر أن يستدل على الطريق بنفسه ولم يوافق إلا لأن الوقت تأخر! فلما نزل من الكوبرى ووصف أحدهم المكان لأخينا .. فإذا به أمامه على الجانب الآخر من الطريق بشارع البحر الأعظم بالجيزة! والسيارتان أمام بعضهما فتعجب زائرنا أشد العجب، وقال للأخ الذى صحبه إلينا فى سيارته هذه ثانى كرامة لى مع الشيخ اليوم لأنى مسافر غداً وأتفقت أن آتيى معك ولكن ظهرت لى أمور عديدة تعيقنى مؤكداً عن السفر للشيخ؛ ولكنها كلها تيسَّرت فى وقت قصير فتعجبت أشدَّ العجب وعددتها كرامة للشيخ، وهذه هى الثانية فيبدو أننى فى الطريق الصحيح! ولكنى سأنتظر لقائي بالشيخ!

ولما جاءنا وكان الدرس قد بدأ فبعد أن انتهى الدرس ورحبنا به سألته: هل لك من أسئلة؟ فقال ياسيدى كنت قد أتيتكم وعندى ثلاثة أسئلة متنوعة تحيِّرنى أحببت أن أسئلكم عنها، ولكنكم أجبتموها بنفس الترتيب الذى فى نفسى بإجابات شافية لم تخطر ببالى! فقلت له إن هذا من توفيق الله وبركة رسوله ﷺ.

وقصة أخرى يرويها أخونا الحاج مصطفى عبد الموجود من ديرب نجم شرقية، فيقول حدثت لى مع الشيخ كرامات عديدة فمن هذا الصنف مرتين وكان لهما أبلغ الأثر فى تثبيت عقيدتى بالصالحين؛ فبعد أن تعرفت على الشيخ للمرة الأولى وأعطانى بعض إخوانى كتبا عن الإمام أبى العزائم وعن الصالحين قرأت فيها عما اعتبرته مصطلحات لم أفهمها كالقطب والوتد والنجيب وألفاظ كهذه،

وفى يوم أخبرنى أخى الأستاذ جمال عبد الحميد المدرس أن الشيخ فى زيارة للقاهرة فذهبت معه وسألته فى الطريق عن معانى هذه الألفاظ فلم يجب، فوصلنا على العشاء ثم بدأ الشيخ الدرس وكان الدرس بالكامل فى الإجابة عن كل الألفاظ التى حيرتنى واحداً بعد الآخر! فعقدت الدهشة ألسنتنا أنا وأخى جمال الذى لم يفارقنى لحظة واحدة منذ سألته عنها!! فكانت أول ماثبَّتتنى فى الطريق مع الشيخ.

ويحكى ايضا عن مرة أخرى ويقول لما حدث لى ذلك قلت فى نفسى أنا أحبُّ الشيخ حبَّاً عظيماً ولكنى أريد كرامة أخرى وانشغلت بهذا الأمر! وبعد ذلك وفى زيارة لإخواننا بقنا بالصعيد حدَّثتُ بذلك كله أخانا الحاج سعيد الغنام من الزقازيق قبل المغرب، فقال لى لا تتعجل الأمور! فسألته: فما الفرق بين مولانا الشيخ محمد على سلامه الذى انتقل إلى رحمة الله ولم أقابله وبين شيخنا الشيخ فوزى؟ فلم يجبنى إجابة شافية!.

فصلَّينا المغرب والعشاء معاً وهو بجانبى لم يفارقنى لحظة، ثم بدأ الدرس وكان هذا بإجازة يناير سنة ٢٠٠٢م، وبعد حوالى منتصف الدرس وهو درس مسجل يمكن لأى أحد الرجوع إليه! قال الشيخ فجأة: ويسألون عن الكرامة؟ ثم أفاض فى بيان الكرامة وأن الكرامة الحقيقية فى تغيير الأخلاق وليست فى الأشياء الظاهرة! ثم قال وعموماً من يريد فسأقول له حتى لايفرَّ من الله! وهنا مادت بى الأرض من هول المفاجأة وانعقد لسانى وأنا أنتظر ماذا سيقول الشيخ! فقال: ويسألون عن الشيخ السابق والشيخ اللاحق! وأنا أكاد لا أسمع من هول المفاجأة وأخذ يشرح ويستشهد بالكتاب والسنة حتى انتهى الدرس.

ثم يكمل الحاج مصطفى عبد الموجود ويقول: ثم قابلت الحاج سعيد الغنام بعد الدرس الذى كان مذهولاً هو الآخر من هول المفاجأة، وقال لى: لا تسألنى عن شيىء بعد اليوم! فكانت تلك الحادثة نقطة فارقة لى فى طريق الله!.

وأنا اقول إخوانى الكرام أشهدنا الله وإياكم أنوار نبينا عليه الصلاة وأتم السلام؛أن هذا من توفيق الله وإلهامات ونظرات حبيبه المصطفى ﷺ وبركاته علينا أجمعين وليس لنا فيه لا كثير ولا قليل والفضل لله العلى الجليل.

ويلحق بهذا الشأن أيضاً توفيق الله وتأييده فى المواضيع التى نتناولها فى خطب الجمعة فى البلاد، ذلك أننِى أتكلم فى أغلب خطب الجمعة عن تفسير آية من كتاب الله من الآيات التى يقرأ القارىء قبل الخطبة، وفى أغلب الأحيان يدير الله تعالى محور الخطبة فتتركز حول مشكلة ملحَّة تتعلق بأهل البلد أو بشأن عاجل لدى أحدهم، فيأتى الناس بعد الصلاة ويعجبون كيف عرفت بأمر مشكلتهم؟ أو يسألنى صاحب الشأن من أخبرنى بأمره حتى تناولت موضوعه على المنبر؟ فأقول لهم جميعاً: إنما ذلك إلهام الله وفضله علىَّ وعليكم! ولا أريد ذكر أمثلة فى ذلك لأنها أكثر من أن تحصى أو تعد لأننى منذ السبعينات نَدُر أن أحضر الخطبة إلا خطيباً!! فقد تكرر هذا الأمر عشرات بل مئات المرات والحمد لله على فضل الله.

ونفس الأمر أيضاً عندما أدعى لمحاضرة بجامعة أو نادى أو لقاء للشباب أو النساء؛ فغالباً ما يدور موضوع المحاضرة الرئيسى حول الأمر الأكثر شغلاً للحاضرين! وكثيرا ما يسألوننى كيف عرفت ذلك؟ فأقول إنه فضل الله وإلهامه وبركة حبيبه ﷺ الذى بشّرنا فى حديثه الشريف أن فى أمته من يفعلون ذلك:

{ إنَّ لِلَّهِ تَعَالَى عِبَاداً يَعْرِفُونَ النَّاسَ بِالتَّوَسُّمِ } [٢٤].

تأييد الله تعالى فى الإستشارة أو التوجيه

وأيضاً مما منَّ الله به على ﷻ أننى لا أشير على أحد من إخوانى بأمر إلا وأجد عناية الله تلحقه وتحيط به حتى يتم الأمر على مراد الله ويكون موافقاً لمرادنا بفضله تعالى وبركة إلهام حبيبه ﷺ، ومن ذلك يقصُّ الكثيرون من إخواننا الكثير والكثير فإنى والحمد لله ربِّ العالمين لا يكاد تليفونى الأرضي والمحمول يتوقف عن الرنين ليلاً ولا نهاراً، وكذا البريد الإليكترونى والعادى! وسبحان من يقوينى على الرد على كل تلك الإستشارات والتساؤلات الدينية والشرعية والسلوكية والفتاوى بالعشرات يومياً من مصر والخارج مهما كانت ظروفى! ولله الفضل من قبل ومن بعد ولا حول ولا قوة إلا به سبحانه.

---

٢٤ الْحكيم والْبزار، عن أنسٍ رضيَ اللَّهُ عنهُ، جامع المسانيد والمراسيل

وإننا فى هذا الباب ما أجبنا إخواننا ولا أشرنا على سائلينا ونصحناهم إلا لقوله ﷺ فى الأحاديث الحاكمة لهذا الأمر بعد أن خوَّف من إثم كتمان العلم فزاد:

{ إِذَا اسْتَشَارَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُشِرْ عَلَيْهِ }[25] ، وقوله:{ دَعُو عِبَادَ اللَّهِ يَرْزُقُ اللَّهُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ وَإِذَا اسْتَشَارَ أَحَدَكُمْ أَخُوهُ فَلْيَنْصَحْهُ }[26]

وفى منهج الإستشارة يقول عليه أفضل الصلاة وأتم السلام:

{ المستشار مؤتمن، فإذا استشير فليشر بما هو صانع لنفسه.}[27]

فالنبى ﷺ فتح باب الإستخارة أولاً، ولكن الكثيرون يستشيرون فالحديث:

{ مَا خَابَ مَنِ اسْتَخَارَ، وَلاَ نَدِمَ مَنِ اسْتَشَارَ }[28]

ومن نماذج توفيق الله لنا فى تلك الإستشارات وحسن تأييده ما يحكيه أخونا الحاج عاطف سيد محمود من مغاغة بالمنيا فيقول: ... كانت والدتى تعانى من حصوة، فأجرينا لها بالقاهرة عملية جراحية لتفتيت الحصوة باستخدام المنظار، ولكن العملية لم تنجح فرجعنا مغاغة، وبعد أيام كان مولانا الشيخ فوزى فى زيارة لنا فسألنى عن صحة الوالدة؟ فأخبرته أن العملية لم تنجح وأن حالتها أسوأ، فأمرنى أن أذهب الليلة إلى جراح آخر أعرفه بالقاهرة! فقلت: بعد أن تنتهى زيارتكم لنا سوف أذهب! فقال الشيخ: لا! لابد أن تذهب الليلة فوراً ولا تتأخر للصباح!!..

---

٢٥ عَنْ جَابِرٍ ، سنن ابن ماجه
٢٦ الْخرائطي في مكارم الأَخْلَاقِ عن حكيم عن أَبِيه.، جامع المسانيد والمراسيل
٢٧ (طس) عن علي. كنز العمال
٢٨ (طس) عن أَنسٍ رضَيَ اللَّهُ عنهُ، جامع المسانيد والمراسيل

وعليها سافرنا فى الليل للقاهرة وقابلنا الجراح، فأجرى الكشف وقال لابد من التجهيز للعملية فوراً وأجراها عند الفجر! وفى الصباح أخبرنا أن المنظار سبب ثقباً منذ العملية السابقة من أيام مما سبب رشح البول داخل الجسم ولو انتظرنا للغد لتسمَّم الجسم ولم يمكن تدارك الأمر، والحمد لله شفيت والدتى ببركة إشارة الشيخ ﷺ وأرضاه.

ويحكى أخ لنا وكانت إبنته تزوجت مبكرا وطلقت بعدها بإسبوعين لظروف خارجة عنهم، أنه تقدم لها رجل يعمل ببلد بعيدة عن بلدهم ولا يعرفونه، فقال لزوجته سنذهب اللقاء القادم للقاهرة ومعى إبنتى ونستشير الشيخ.

ويكمل: وكنت سألت عن الرجل ببلده فقالوا أنه من عائلة طيبة، ولكنهم لا يعرفونه لأنه يعمل بعيداً منذ سنوات، وفى اليوم السابق للسفر للقاء الشيخ بالقاهرة أخبرتنى إبنتى أنها رأت الشيخ سلامه فى الرؤيا وقد بشَّرها بأن هذا الرجل المتقدم لزواجها رجلٌ صالحٌ وعلى بركة الله، فسافرنا مستبشرين.

وعندما وصلنا وقابلت إبنتى زوجة الشيخ، أخبرت زوجته أنه تقَّدم لها عريس، فقالت لها زوجة الشيخ : نعم أعرف ذلك! واسمه فلان، فتعجبت إبنتى وسألتها كيف عرفت؟ فقالت إن الشيخ أخبرها قبل العمرة أن رجلاً اسمه كذا سيتقدم لخطبة إبنة أخينا فلان أى أنت!، فزاد استبشارنا بالأمر، وعندها ونحن نتحدث جاء الشيخ فقصت عليه إبنتى موضوع الرجل المتقدم لها؛

وسألته عن رأى فضيلته فى هذا الأمر؟، فقال ﷺ لها على الفور: وماذا تريدين بعد أن بشرك مولانا الشيخ سلامه! فارتجفت أنا وإبنتى من المفاجأة! لأن أحدا لم يعرف أمر تلك الرؤيا غيرنا!! بل ولم نقصها على أى أحد!!، وعندما عدنا إلى بلدنا بعد اللقاء ... أتممنا الزواج بحمد الله وعاشت إبنتى فى سعادة بفضله تعالى وبركة الشيخ ﷺ .

وهذا كله ليس إلا من فضله تعالى ومنته علىَّ وعلى إخواننا، فالشكر والحمد والمنة لله له سبحانه أن جعل الخير على لساننا والتوفيق حليف مشورتنا ورأينا ببركة ونظرات نبينا لنا، حيث لم يغلق ﷺ باب الفضل أو يقصره على أحد أو زمان أو مكان، بل فتحه لأمته إلى ما شاء الله بقوله ﷺ:

{ إنَّ فِي أُمَّتِي مُحَدَّثِينَ – وفى رواية ومُكَلَّمِين- وإنَّ عُمَرَ مِنْهُمْ }[29]

ونحن فى هذا كله نسأل الله تعالى فى كله لحظة أن يوفقنا للصواب والرشد، بل ونتمنى لو أننا أعفينا من ذلك التكليف فالمسئولية جسيمة والخطر عظيم ونصب أعيينا تحذير الحبيب ﷺ لكل من أقامه الله تعالى ملاذاً لإخوانه، فقد قال:

{ مَنْ قَالَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنِ اسْتَشَارَهُ أَخُوهُ فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِغَيْرِ رُشْدِهِ فَقَدْ خَانَهُ، وَمَنْ أُفْتِىَ بِفُتْيَا غَيْرِ ثَبْتٍ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى مَنْ أَفْتَاهُ }[30]

٢٩ إحياء علوم الدين، وطرح التثريب وغيرها
٣٠ (ك هق) عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضَيَ اللَّهُ عنهُ، جامع المسانيد والمراسيل

التأييد بإجابة الدعاء وتحقيق الرجاء

وأنا يا إخوانى الكرام؛ ومع أننى عبد فقير لا أملك لنفسى ولا لغيرى ضراً ولا نفعاً إلا أنه من عناية الله ﷻ بى ورحمته أنه يستجيب لنا الدعاء ويحقق لنا الرجاءتحسيناً لظن إخوانى المؤمنين بى تأييداً لشريعة الله ونبوة حبيبه ومصطفاه لأن تأييد الله تعالى لأحبابه واستجابته لدعائهم لأكبر دليل على صدق هذا الدين وعلى علو قدر سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

ومن هذا ما يحكيه أخونا المهندس محمد جمال الدين أبوبكر من بورسعيد وكان قد أصيب بمشكلة كبيرة فى القلب وحضر للقاهرة لإجراء جراحة عاجلة ودخل أحد كبرى مستشفيات القلب المعروفة حيث يمكن إجراء مثل تلك الجراحة لخطورتها البالغة، وبعد أن تم عمل الإشاعات اللازمة والتجهيز للعملية وحجز غرفة العمليات لعملها بالصباح لتقدم الحالة ... وأترك أخانا يحكى لكم فيقول:

كلمت فضيلة مولانا متأخراً ليلاً لأخبره أن العملية فى الصباح ليدعو لى، وكان الشيخ قد زارنى من قبل فى المستشفى وبشرنى بالشفاء مع السير فى طريق العملية لآخره!، وإذا به يقول لى فى التليفون إنك لن تعمل العملية! فتعجبت إذ العملية صباحا لا مفر! فكرر ذلك لزوجتى أيضاً! فقلنا الله أعلم بمقصوده! ولكننا فرحنا ببشراه! ولكن لم يدر بخاطرنا أن كلمته لنا كانت دعوة مستجابة!..

وفى الصباح كان لابد من عمل آشعة قبل الدخول للعملية مباشرة، وللعجب فعندما فحص الطبيب الآشعة وهم يجهزوننى للعملية، صاح مندهشاً: هذا عجيب! كيف حدث هذا!! الآشعة اليوم غير التى كانت بالأمس وحالتك الآن لا تستدعى العملية!! وهذه من العجائب النادرة! وألغيت العملية!! وخرجت من المستشفى، ونصحنى الطبيب بالراحة وتناول أدوية أخرى ففعلت؛ وأنا الآن فى خير حال بحمد الله وبركة دعوة الرجل المستجابة! رضي الله عنه.

ويحكى أخٌ آخر أن زوجته أصيبت بمرض خبيث فى الصدر وتم استئصال جزء منه بالجراحة، ولكن المرض عاودها وأخذوا فترة طويلة فى العلاج الكميائى والحالة تسوء، ثم جاء الحج وحججت عامها وطلب منى أخى أن أدعو لزوجته بالشفاء وأنا عند الكعبة فى الحج.

ففعلت وتضرعت إلى الله أن يمنَّ عليها بالشفاء العاجل، ولما عدنا كلمنى أخى فى التليفون فطلبت منه أن يستبشر بفضل الله وبالشفاء إنشاء الله، فحادثنى ثانية بعد أيام وقال لى أنه رأى مولانا الشيخ محمد على سلامه فى الرؤيا وقد سأله عن زوجته وعلاجها فأخبره وقال له : مولانا الشيخ فوزى بشرنا بالشفاء فقد دعا لها فى الحج عند الكعبة!، فقال له : أبشر يابنى واطمئن!.

ويسترسل أخونا ويقول: بعدها بفترة قصيرة ذهبنا للمراجعة حيث أن الآثار الجانبية للعلاج أثرت على صحة زوجتى للغاية، وللعجب العجاب جاءت التحاليل والآشعة سلبية تماما فلم نصدق لا نحن ولا الأطباء!! فكررناها وذهبنا من مكان لآخر للتأكد!!... وكانت النتيجة المذهلة فيها كلها .. أن المرض العضال قد اختفى على التمام والكمال بفضل الله تعالى واستجابته لدعوة الشيخ رضي الله عنه.

التأييد باستجابة الأفراد لنا وتبديل السير والسلوك

وكم من مرة منَّ الله تعالى علينا بأن جعلنا فى كلامنا القبول والإستجابة لدى من يقبلون علينا ممن لا يعرفوننا فإذا بالقلوب تتفتح بفضل الله تعالى وبركة رسوله لنور الهدى وإذا بالحجارة تلين لذكر الله وكم من عشرات استجابوا لكلمات قليلة سمعوها منا وافقت بفضل الله وبركة رسوله قابلاً فى نفوسهم فتغيرت حياتهم وصدقوا فى إتباعهم ففتح الله تعالى عليهم بالخير والرشاد.

ومن ذلك ما يحكى أخونا الحاج أمين عسكر من الزقازيق عن قصته معى فيقول: دعانى زميل لى بالعمل وكنا ضباطاً بالجيش أنذاك، لأحضر زيارة للشيخ ببورسعيد ولم أكن قد حضرت مثل هذه القاءات من قبل، فحضرت معهم وصليت المغرب والعشاء لأول مرة فى حياتى بالمسجد.

ثم حضرت الدرس مع الشيخ فى الصباح وكان الدرس تحويلاً كاملاً لحياتى فقد تغيرت بعده إلى شخص آخر تماماً حيث حكى الشيخ فى الدرس قصة حياتى كاملة بمخالفاتها وكأنه يقرأ ما بداخلى ككتاب مفتوح إلا أنه لم يسمنى، وخرجنا من الدرس وأنا مذهول أو مغيَّب، وفى الطريق لصلاة الجمعة عاتبت صديقى بشدة حيث ظننت أنه حدث الشيخ عنى ولكننى تأكدت أنه لم يفعل!! .. وعندها أحسست أن الله تعالى صبَّ فى قلبى حباً جارفاً للشيخ فى لحظات حتى صار عندى أغلى من نفسى ومن الدنيا وما فيها وأنا لا أعرف شيئاً بعد!. ثم كانت خطبة الجمعة عن سلوك طريق الله فكانت تتمة لدرس الصباح، وبعد الزيارة ذهبت لحضور المجلس الأسبوعى بالجميزة بلد الشيخ، وتمنيت أن أجلس معه وحدنا! فحدث وجلسنا وحدنا بين المغرب والعشاء! وكانت جلسة علاج كاملة لى من الأمراض الذهنية والنفسية والسلوكية وسبحان من ألقى فى قلبى الإستجابة لكل ما نصحنى به من العمل الصالح، وكان أول بركات الرجل ﵁ علىَّ بعد تلك الجلسة مباشرة وبعد المحافظة على الصلوات والسير بصدق فى الطريق أن منَّ الله علىَّ بالإقلاع عن التدخين فوراً بعد أن كنت مدخنا لمدة أربعة وعشرين عاماً.

وسرت مع الشيخ ﷺ فى طريق الله وكم من شأن وقع لى بعد أو مع أهلى فكنت لا أذهب إلى الشيخ إلا وأجابنى عما جئت له قبل أن أسأل، ومامن مشورة أشار بها علىَّ إلا وجعل الله فيها الخير العميم ولو بعد حين فالحمدلله على فضله ومنته علينا بالصالحين.- إنتهى.

وكم من حالات مشابهات كثيرة، بل إن من الغريب أن الكثيرين والكثيرين ممن يستجيبون لنا فيحسن سلوكهم ويرقى إلى الله إتباعهم لم يلتقوا بنا ظاهراً، فقد استجابوا لنا من كتبنا التى قرأوها أو محاضراتنا التى سمعوها فى شريط أو حضروها على شبكة النت، ثم راسلونا بعده بانتظام أو عند الحاجة.

وأذكر من هؤلاء أخا سودانياً ولد وعاش مع أسرته خارج السودان بدولة عربية، وتربَّى تربية سلفية متشددة منذ بداية تعليمه حتى حصل على ليسانس فى الشريعة، وقد نشأ على رفض الصوفية، ثم سافر إلى بريطانيا بعد تخرُّجه وعمل هناك، وتصادف أن اشترى هذا الأخ كتباً لنا فى التصوف من مكتبة بلندن، فقرأ تلك الكتب؛ فعاد واشترى باقى كتبنا فى الدراسات الصوفية الحديثة من تلك المكتبة بلندن، وإذا به يراسلنا ويخبرنا أنه قد تغيَّر فكره وسلوكه ومشربه بعد تلك السنين الطوال، وأصبح الآن شخصاً آخر بعد أن قرأ كتبنا فى التصوف !!! وهو الآن يتابعنا على النت ويسلك سبيلنا وإن كنا لم نلتق به.

وكثيرون وكثيرون شبابا ورجالاً ونساءاً سالكين وسالكات يتابعوننا بانتظام بالخطابات البريدية المكتوبة أو على البريد الإليكترونى الخاص بنا أو بريد الموقع أو بالتليفون؛ ويسير الكثيرون منهم معنا خطوة خطوة من حال إلى حال ومن مرحلة إلى أخرى .. وقد ألقى الله فى قلوب الكثيرين منهم القبول وفى نفوسهم الإستجابة وصدق المتابعة! وبلغ بعضهم مقامات عالية من القرب من الله ورسوله ولم يلتقوا بنا ظاهراً ... فكل هذا من فضل الله علينا وتأييده لنا والحمدلله ربِّ العالمين.

وإذا استرسلنا فى ذكر نماذج التأييد والأمثلة من فضل الله علينا فهى أكثر من أن تحصى أو تعد فنكتفى بما سبق، ونحن ما ذكرنا هذه الإكرامات من الله ﷻ فخراً ولا زهواً إو إعجاباً بالنفس؛ وإنما ليقيننا أنه ما أكرم الله ﷻ أحداً من أتباع رسله؛ فإنما هو إكرام للرسول الذى يتبعه هذا الولى.. فكل كرامة لولى فإنما هى معجزة للنبى الذى يتبعه الولى، فكلٌّ هذه الإكرامات من فضل الله تأييدٌ لحبيبه ومصطفاه، وهى بمثابة إعلان أن تأييد الله ﷻ لهذا الدين وهذا النبى دائمٌ ومستمرُ إلى يوم القيامة، والأمر كما يقول إمامنا أبو العزائم ﵁:

كلٌّ الذى أنا فيه فضل محمدٍ منه بدا وإليه كان وصوليا

والكرامة فى ذاتها لا يطلبها الولىُّ ولا يلتفت إليها ولا يهتم بها بعد وقوعها و لا يتحدث بشأنها؛ لأنها فى حقيقتها إجابة من الله لدعاءٍ دعاه العبد فى حالة إضطرار وفاقة إلى الله ﷻ بعد استعانته بالأسباب وعجز الأسباب عن تحقيق المراد، فليجأ إلى مسبِّب الأسباب ﷻ ويدعوه – وهو لا يدعو إلا بخير- لتأييد الدين وتثبيت اليقين أو كشف كرب المكروبين وتلبية المحتاجين وهى من باب قوله تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾(٦٢النمل)، ومن سر كنزه للمتَّقين: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾(٢-٣الطلاق).

وإذا ذكرت ما ذكرت للمريدين فإنما على سبيل إعلاء عزائمهم وتقوية هممهم، وتشويقهم لبلوغ هذا المقام، كما بيَّن الله ﷻ سرَّ قصصه للأنبياء والمرسلين فى كتابه على حبيبه حيث قال له :﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٌ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾(١٢٠هود).

والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل.

الدعوة والهدف

وأنا أعمل الآن رئيسا للجمعية العامة للدعوة إلى الله بجمهورية مصر العربية، والمشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسى ١١٤ شارع ١٠٥ حدائق المعادى بالقاهرة، ولها فروع فى جميع أنحاء الجمهورية.

كما أتجول فى جميع الجمهورية والدول العربية وغيرها، لنشر الدعوة الإسلامية وإحياء المُثل والأخلاق الإيمانية بالحكمة والموعظة الحسنة، بالإضافة إلى الكتابات الهادفة إلى إعادة مجد الإسلام ، والتسجيلات الصوتية و الوسائط المتعددة للمحاضرات والدروس واللقاءات على الشرائط و الأقراص المدمجة، وأيضا من خلال موقع الإنترنت: WWW.Fawzyabuzeid.com

أما الدعوة فأدعو بحمد الله تعالى إلى نبذ التعصب والخلافات بين المسلمين والعمل على جمع الصف الإسلامى وإحياء روح الإخوة الإسلامية، والتخلص من الأحقاد والأحساد والأثرة والأنانية وغيرها من أمراض النفس، كما أحرص على تربية أحبابى على التربية الروحية الصافية بعد تهذيب نفوسهم وتصفية قلوبهم

وأعمل جاهداً على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين، وإحياء التصوف السلوكى المبنى على القرآن وعمل الرسول والأصحاب.

وهدفى من وراء ذلك هو إعادة المجد الإسلامى ببعث الروح الإيمانية، ونشر الأخلاق الإسلامية وترسيخ المبادئ القرآنية.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أسأل الله تعالى أن ينفع بهذه السيرة كل من قرأها ، وأن تكون له عونا على تلمس سبيل الحق، فماكان فيها من خير فمن الله، وما كان من غير ذلك فمن سوء طبعى، أسأله سبحانه أن يغفر لى ويتولنى وأحبابى والمسلمين أجمعين.

الباب الأول

تصحيح النيةَّ[٣١]

- حكمة العـــــارفين
- تصحيح النيَّــــــة
- صفاء الطويَّـــــة
- إصلاح القلوب
- علامة الصلاح
- أسرار الرُقِى فى الدرجات
- مفتاح الصلاح

[٣١] محاضرة بالجمعية العامة للدعوة إلى الله بالمعادى، الخميس ١٦ ربيع الثانى ١٤٣١هـ ١من أبريل ٢٠١٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾

- [١٦٢-١٦٣الأنعام]

الباب الأول

تصحيـــــح النيَّـــــة

حكمة العارفين

إخوانى وأحبابى بارك الله ﷻ فيكم أجمعين: .... اتَّبع الناس منذ عهد الحبيب الأعظم ﷺ العارفين والصالحين لأنهم حكماء فى كل أمورهم، فى أفعالهم وأعمالهم وأقوالهم وجميع أحوالهم، والحكمة فضل من الله يمُن بها على من يشاء من عباده بفضله وجوده ورحمته، ولذلك نجد الحكماء الربانيين يُلَخِّصون لنا الكثير فى قليل من اللفظ وفى قليل من العمل أو الحال مما يَعْظم به الأجر! ويُرفع به شأن العبد عند ربه ﷻ بهذا القليل الذى قدَّمه لمولاه ﷻ، قال حبيبى وقرة عينى ﷺ:

{ قَلِيلُ التَّوْفِيقِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرِ الْعَقْلِ } [٣٢]

ربما يُحصِّل المرء أمثال الجبال من العقل أى العلم لكنه لا يُوفَق للعمل ببعضها، فلا ينال فى الدنيا ما يرجوه ولا فى الآخرة ما يتمناه عند مولاه جل فى علاه، وربما يُحصِّل المرء حكمة واحدة ويوفقه الموفق ﷻ للعمل بها فينال بسببها بركات الدنيا وسعادة الآخرة والمقام العظيم الذى يهواه ويتمناه فؤاده عند مولاه،

٣٢ رواه ابن عساكر عن أبى الدرداء برواية " قَلِيلُ التَّوْفِيقِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرِ الْعَقْلِ "

ولذلك اتبع الناس الصالحين والعارفين والحكماء الربانيين من أجل هذا المراد، فقد اختصر الله ﷻ لهم الكلام اختصاراً!! واختصر لهم الفعال!! واختصر لهم الأحوال!! ... اقتداءاً بسيدنا رسول الله ﷺ سيد أهل الكمال .. حيث قال:

{ أُوتِيتُ جَوامِعَ الكَلِمِ وخَواتِمَهُ، واخْتُصِرَ لي اخْتِصَاراً }[33]

❁ تصحيح النيَّة

ومن هذه الكلمات القليلة التى أسَّس عليها الصالحون والعارفون والحكماء الربانيون أمور الفتح الإلهى والفتح الربانى والفتح النورانى من الله ما قالوه:

{ أول أصل من الأصول تنال به الفتح والوصول، والرفعة عند حضرة الرسول ﷺ هو تصحيح النيَّة وصفاء الطويَّة وإخلاص العمل لربِّ البريَّة }

هذا الأصل لو عمل به الإنسان سعد فى دنياه وأُخراه، فإن أصل الأصول فى كل الأقوال والأعمال والأحوال هو النيَّة المصاحبة له.

والأصل فى النيَّة أن تكون سابقة للعمل؛ لكن من فضل الله ﷻ علينا أنه جعل لمن يسهو وبدأ فى العمل أن يصحح النيَّة أثناء العمل، بل تفضل الله ﷻ علينا وجعل حتى لمن سها عن النيَّة حتى انتهى من العمل أن ينوى ويجدد النيَّة،

---

٣٣ رواه أبو يعلى عن عمر بن الخطاب.

وهذا فى غير الفرائض؛ لأنه لابد من تصحيح النيَّة قبل بدء الفرائض، فشرط الصلاة أن يصحح النيَّة قبل تكبيرة الإحرام، واستحسن بعض السادة المالكية أن يُطيل الإنسان تكبيرة الإحرام الأولى ليستجمع فيها النيَّة القلبيَّة، وبعضهم استحسن التعجيل بتكبيرة الإحرام لأنه حضَّر النيَّة قبل أن يتدخل الشيطان والنفس فيحبطا عليه ما استحضره من النيَّة.

إذاً العمل الذى يليق بالإنسان هو الذى حدَّده فى قلبه وبدأ فى فعله متوجهاً لربه ﷻ، وصيام الفريضة كذلك، فلابد من جمع النيَّة قبل آذان الفجر لقوله ﷺ:

{ مَنْ لَمْ يُجْمِعِ الصيامَ من الليلِ، فلا صيامَ لَهُ }[٣٤]

لكن صيام النافلة كان ﷺ يصبح فيطلب منهم الطعام فإذا قالوا ليس عندنا شئٌ؛ يقول نويت الصيام لله ﷻ، فيصحُّ أن ينوى صيام النافلة أثناء النهار مادام لم يأكل ولم يشرب ولم يصنع ما يبطل الصيام، فالنيَّة فى النافلة والقربات غير النيَّة فى الفرائض، واستندوا فى ذلك إلى قوله ﷺ:

{ إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعاماً فَلْيَذْكُرْ اسْمَ الله، فَإِنْ نَسِيَ أَنْ يَذْكُرَ اسْمَ الله فِي أَوَّلِهِ فَلْيَقُلْ: بِسْمِ الله أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ }[٣٥]، وفى رواية:

{ مَا زَالَ الشَّيْطَانُ يَأْكُلُ مَعَهُ، فلَمَّا ذَكَرَ اسْمَ الله اسْتَقَاءَ مَا في بَطْنِهِ }[٣٦]

---

٣٤ سنن البيهقى الكبرى عن حفصة رضى الله عنها.
٣٥ رواه أحمد والترمذي وأبو داوود عن عائشة.
٣٦ سنن أبى داوود عن أمية بن مخشي.

لأنه أفسد على الشيطان بنيَّته التى نواها.

هذا الكلام بالنسبة للنوافل والقربات والسنن لكن الفرائض لابد من النيَّة قبلها، وهذا حكمٌ شرعى، لكن ما أريد أن أصل إليه أن الأعمال كما قيل فى الحكمة: { كل الأعمال نَيَّةٌ لا تنضجها إلا النِيَّة } أساس الأرباح والفتح والنجاح فى أى عمل يتوقف على النيَّة، نحن صلينا فى جماعة واحدة والركوع واحد والسجود واحد والقراءة واحدة لكن هل أجر الجميع يتساوى عند الواحد ﷻ؟ لا، قال ﷺ وقد رأى رجلين يصليان فى مسجده المبارك فقال:

{ قَدْ يَتَوَجَّهُ الرَّجُلاَنِ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَنْصَرِفُ أَحَدُهُمَا وَصَلاَتُهُ أَفْضَلُ مِنَ الآخَرِ إِذَا كَانَ أَفْضَلَهما عَقْلاً، وَيَنْصَرِفُ الآخَرُ وَصَلاَتُهُ لاَ تَعْدِلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ } [٣٧]

ما سر الفارق بينهما فى الأجر؟ النيَّة ...

فتصحيح النيَّة وصفاء الطوية ودرجة الإخلاص لربِّ البرية، فهذه هى الأسس المرعيَّة التى يتوقف عليها درجات وعظيم الأجر والثواب من ربِّ البرية ﷻ، ولذلك أسس العارفون والصالحون والحكماء الربانيون السير إلى الله والطريق إلى الله وأى عمل صالح يتوجه به العبد إلى مولاه على تصحيح النيَّة قبل أى عمل أو قول أو حكمة أو حال ...

وهذا هو الجهاد الأعظم.

---

٣٧ (طب كر) عن أَبي أَيُّوبٍ رضيَ اللَّهُ عنهُ

❁ صفاء الطوية

وتصحيح النيَّة يقتضى صفاء الطوية حتى تكون النيَّة خالصة لربِّ البريَّة، لأنه قد يعمل الإنسان أعمال الصالحين ولكن يرجو فى باطنه من وراء هذه الأعمال دنيا دنيَّة أو حب الظهور أو الشهرة أو الجاه، والعمل ظاهره صلاح وتقوى! لكن هل يُرفع بهذا العمل درجات أم يهبط به دركات؟ تعرفون الإجابة! سيهبط به عمله دركات! لماذا؟ لأنه قصد به الخلق ولم يقصد به الخالق سبحانه، والفارق بين هذا وذاك هو فى صلاح القلب، ولذلك قال ﷺ:

{ ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسدُ كلُّه، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجسَدُ كله، أَلا وهِيَ الْقَلْبُ }[38]

ولذلك كان موطن الجهاد الأول لمن أراد الوصول إلى مراد الله أو الوصول إلى فتح الله أو الوصول إلى الدرجات الوهبية التى يتفضل بها الله على الصالحين من عباد الله ... كل ذلك يتأسس على صلاح القلوب، ولذلك أول ورشة يُعرض عليها المرء إذا أراد رضاء الله وقرب الله وفتح الله وعطاء الله ... أن يُدخل قلبه داخل دائرة الإصلاح المحمدية حتى يُصلحوا نواياه وطواياه، ولذا يُحذر الحبيب ﷺ من أمر خطير يدور حول النوايا وخفيِّ الطوايا فيقول فى شأنه:

---

٣٨ الصحيحين البخارى ومسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنه ونص الحديث لعظيم فائدته، قال ﷺ: { الحَلالُ بَيِّنٌ، وَالحَرامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهما مُشَبَّهاتٌ لا يَعْلَمُها كثيرٌ منَ الناسِ. فمنِ اتَّقَىٰ المُشَبَّهاتِ اسْتَبْرَأَ لِدينِه وعِرْضِه، ومَنْ وَقَعَ في الشُّبُهاتِ: كراعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمىٰ يُوشِكُ أنْ يُواقِعَه. ألا وإنَّ لِكلِّ مَلكٍ حِمى، ألا إنَّ حِمَى اللهِ فِي أرضِهِ مَحارِمُه. ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً: إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسدُ كلُّه، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجسَدُ كله، أَلا وهِيَ الْقَلْبُ }.

{ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلاً سِرّاً فَيَكْتُبُهُ اللَّهُ عِنْدَهُ سَرّاً، فَلاَ يَزَالُ بِهِ الشَّيْطَانُ حَتَّى يَتَكَلَّمَ بِهِ فَيُمْحَىٰ مِنَ السر وَيُكْتَبُ عَلاَنِيَةً، فَإِنْ عَادَ فَتَكَلَّمَ الثَّانِيَةَ مُحِيَ مِنَ السر وَالْعَلاَنِيَةِ وَكُتِبَ رِيَاءً }[39]

مع أن عمله فى الأصل كان لله وبإخلاص، ولكن لأنه ربما لا ينتبه لوساوس الشيطان الخفيَّة! ربما فى يوم من الأيام يستفزُّه الهوى أو تضحك عليه النفس فيتحدَّث بما عمله فى الأمس! وللأسف ربما يكون قد وقع فى شرك النفس! ويكون هدف حديثه الشهرة أو الظهور أو السمعة لمن يحدثهم! وهنا الواقعة! فيحبط عمله الذى عمله لمولاه لأنه حدَّث به خلق الله بنيَّة هابطة مذمومة عند مولاه!.

❁ إصلاح القلوب

إذاً تحتاج الأمور لإصلاح القلوب، وإصلاح القلوب هو أول جهاد يجاهد فيه العبد المطلوب، والتوفيق من الله ﷻ لهذا العبد إذا كان محبوباً أن يوفقه لأول خطوة فى الطريق فيصلح قلبه .. ويجعل عمله خالصاً لوجهه الكريم، وحتى يكون من القوم الذين يقول فيهم الله لحبيبه ومصطفاه:

﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [٢٨ الكهف]

[39] رواه الديلمي عن أبى الدرداء ﷺ.

لا يريدون دنيا ولا خلقاً ولا رياءاً ولا سمعة ولا يريدون لا أجراً ولا جنَّة ولا ثواباً وإنما يريدون وجه الله، ولا يبغون من العمل إلا رضاه جلَّ فى علاه، وهذه هى المرتبة العليا ... وهى التى إذا وقف الإنسان على عتبتها المقدسة يكفيه قليل العمل، اسمعوا لقول النبى ﷺ فى شأن سيدنا أبى ذر ﷺ وكان من عُبَّاد الصحابة:

{ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إلى المَسِيْحِ عِيْسَى بنِ مَرْيَمَ، إلى بِرِّهِ وصِدْقِهِ وجِدِّهِ، فَلْيَنْظُرْ إلى أَبي ذرٍّ }[٤٠]

شبيه عيسى بن مريم فى زهده وورعه وتقواه وعبادته لله ﷻ، وقال له ﷺ:

{ أَخْلِصْ دِينَكَ يَكْفِكَ الْقَلِيلُ مِنَ الْعَمَلِ }[٤١]

وهذه هى المحكات التى يجاهد الصالحون والصالحات فيها المريدين ليوقفوهم على بداية السير والإنطلاق إلى فتح ربِّ العالمين ﷻ، فمن استمع وجاهد فى هذا المجال شاهد من فتح الله ومن عطاءات الله ومن إكرامات الله ما لا عدَّ له ولا حدَّ له ويدخل فى قول الله: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [٣٤ الزمر] ويدخل فى كرم الله فى قوله:

﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [٣٥ق] أى لهم زيادة عن النعيم المقيم فى جنَّة القرب والتكريم عند العزيز الحكيم ﷻ.

---

٤٠ رواه الطبراني عن ابن مسعود ﷺ.
٤١ ابن أبى الدنيا فى الإخلاص.

إذاً الأصل الأول الذى عليه المعول لمن أراد إصلاح أحواله فى دنياه، ورفعة شأنه عند الله، وأن يكون من أهل الدرجات العلى، وأن يحظى بمقامات الفتح كأن يفتح الله عليه أى باب من أبواب قوله تعالى فى محكم كتابه:

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [٢٨٢ البقرة]

﴿ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [٦٥الكهف]

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾[١٠٨ يوسف]

﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [٢٦٩ البقرة]

كل هذه المنح الإلهية والعطايا الربانية المبثوثة فى الآيات القرآنية بابها ولبُّها ومفتاحها وسرها إصلاح القلب والفؤاد، وإصلاح النوايا التى يتزود منها المرء عند قيامه بأى عمل أو قول سواء للخلق أو للحق، فقد يكون العمل فى ظاهره عمل يسير لكنه فى باطنه له عند الله ﷻ أجرٌ كبيرٌ وله فى المقامات العالية سرٌّ خطير.

إذا جاهد السالك والمريد لتصحيح النيَّة - ولا يتم تصحيح النيَّة إلا بعد صفاء الطوية وتطهير القلب بالكلية لربِّ البرية ووضع الإخلاص فى كل عمل وفى كل قول وفى كل حركة وفى كل سكنة لمولاه ﷻ - فتصبح أعماله وأقواله حتى ما كان ظاهره عملٌ دنيوى فله فيها أجر وثواب وقربة عند الله ﷻ، فالنيَّة قبل أى عمل! كأن أنوى قبل الطعام مثلاً أن أتقوى به على طاعة الله أو يكون فيه شفاءٌ أو أتعرف فيه وأنظر فيه إلى عناية الله بى ورعايتها لى مثل قوله فى (٢٤-٣٢عبس):

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَآئِقَ غُلْبًا وَفَـٰكِهَةً وَأَبًّا مَّتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَـٰمِكُمْ ﴾

فإذا نوى الإنسان قبل طعامه فيكون وقت تناول الطعام عبادة لله ﷻ، وإذا فكَّر ليتعرف على نعمة الله عليه كما ذكرنا فى الطعام كان وقت الطعام فتحٌ عليه من علوم الإلهام لأنه سيفكر فى الآية .. وتأتيه العناية ويرزقه الله ﷻ بأسرار من هذه الآية ..، فيرى أسرار الله فى الطعام وهو يتناول هذا الطعام.

حتى النوم، فلو نام الإنسان حتى ولو ليستجم فإنه ينوى بذلك التأهب والاستعداد للمداومة على طاعة الله، لأن الله يعلم أنى لا أستطيع الدوام على حال واحد فدوام الحال لنا من المحال، فتستجم الأعضاء حتى تستعيد النشاط فى طاعة الله وعبادة الله، فيكون النوم هنا عبادة وهذا هو الذى يقول فيه سيدنا رسول الله:

{ مَنْ نَامَ عَلَى تَسْبِيحٍ أَوْ تَكْبِيرٍ أَوْ تَهْلِيلٍ أَوْ تَحْمِيدٍ بُعِثَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ نَامَ عَلَى غَفْلَةٍ بُعِثَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَعَودُوا أَنْفُسَكُمْ الذكْرَ عِنْدَ الْنَّوْمِ }[٤٢]

فالنيَّة عليها المدار! فلو نام وهو ينوى القيام لحزبه من القرآن أو الذكر أو الصلاة فغلبه النوم أو التعب فلم يقم بما نوى، حصَّل الأجر بالنيَّة وانعقاد الطوية:

{مَنْ أَتَى فِرَاشَهُ وَهُوَ يَنْوِي أَنْ يَقُومَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ فَغَلَبَتْهُ عينه حَتَّى يصْبَحَ كُتِبَ لَهُ مَا نَوَى وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ}[٤٣]

لو صفَّى الإنسان القلب والجَنان فإن الله ﷻ سيدبر له النوايا فى صفاء الطوايا فى كل حركة وسكنة، لأننا عاجزون عن تدبير هذه النوايا، لكن إذا صُفى القلب لله فإن الله يتولاه ويقذف فيه النوايا الطيبة التى ترفعه عند مولاه (١٧٠الأنفال):

٤٢ الدَّيلمي عن الْحكم بن عمير، جامع المسانيد والمراسيل.
٤٣ سنن النسائي الكبرى عن أبي الدرداء.

﴿ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ ﴾

لو وجد القلوب فيها صفاءً ونقاءً يقذف فيها من إلهامه، وهذا هو أول الإلهام النافع وأول الإلهام الرافع، بعض الناس يظن أن الإلهام هو أن يقذف الله فى قلبه علوماً تُسكر السامعين!! هذا الإلهام يبحث عنه أهل السمعةو الشهرة وحبِّ الظهور، الذين يحبُّون أن يسمعوا كلمات الإستحسان من الناس والثناء، لكن الإلهام الذى يبحث عنه العارفون هو الإلهام النافع الرافع وهو أن يُلهم الله الإنسان بالنوايا التى تحسن درجاته وأجره عند مولاه ﷻ، أو يلهمه بالإلهام الدافع الذى يدفع النفس ويصدَّها عندما تحاول أن تحركه لمعصية أو لشهوة ظاهرة أو خفيَّة:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [الأعراف]

مبصرون للحقيقة التى يريدونها والتى يريدها الله ﷻ منهم، فالنوايا ليست بأن يجلس الإنسان يعدُّها أو يستحضرها، ولكن النوايا تحتاج إلى صفاء القلب، ولا يكون فيه رغبة إلا فى رضا مولاه، يُكَسِّر صنم الشهرة فى نفسه، ويكسِّر صنم الحظ فى طبعه، ويكسِّر أصنام الآمال الكاسدة والفانية مثل تمنى العلو فى الأرض أو الشأن عند الخلق ... فيمحو كل ذلك ويعتمد على عكاز الصدق فهو الذى يوصله إلى مراد الله ﷻ مع الصادقين فى كل أحوالهم وأفعالهم وأقوالهم:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [١١٩التوبة]

علامة الصلاح

ما العلامة التى نراها ونشهدها ويشهدها المرء فى نفسه والتى تُعرِّف المرء أن قلبه أصبح صالحاً؟ .... إذا برئ من أوصاف النفاق وأخلاق المنافقين .. لديها يصبح قلبه سليماً وحاله مستقيماً، وأصبح الولى الكريم ﷻ يتولاه.

وأوصاف النفاق هذه يقول فيها النبى ﷺ فيما ترويه كتب الحديث:

{ أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فيهِ كانَ منافقاً خالصاً، ومَنْ كانَ فيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كانتْ فيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ، وفى رواية: إِذَا اؤتُمِنَ خَانَ }[٤٤]

نفاقٌ فى الأقوال ونفاقٌ فى الأعمال أعاذنا الله فى كلِّ حال! فقد كان سيدنا رسول الله ﷺ يصلى العشاء يوماً فسأل: أين فلان؟ قالوا: لم يحضر، قال:أعلم ذلك: { بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمُنَافِقِينَ شُهُودُ الْعِشَاءِ وَالصُّبْحِ لاَ يَسْتَطِيعُونَهَا }[٤٥].

فعلى السالك الذى يريد فتح الله أن يُخَلِّص نفسه من أوصاف النفاق، وهذا هو أول جهاد للنفس، فلا يكذب وإن كان فى لهو أو لعب، فقد قال ﷺ:

{ إني لأَمْزَحُ وَلاَ أَقُولُ إِلاَّ حَقّاً }[٤٦]

ولا يَعِدْ حتى ولو طفلاً صغيراً ثم يخلفه، إسمعوا لقول عبد الله بن عامر رضي الله عنه:

{ جاءَ رسولُ الله بَيْتَنَا وأَنَا صَبِيٌّ صغيرٌ، فَذَهَبْتُ أَلْعَبُ فقالتْ لِي أُمِّي: يا عبدَ الله تعالَ أُعْطِيكَ، فقالَ رسولُ الله: مَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيهِ؟، قالتْ: أَرَدْتُ أَنْ أُعْطِيَهُ تمراً، قالَ: أما إنَّكَ لَوْ لَمْ تَفْعَلِي كُتِبَتْ عَلَيْكِ كِذْبَةٌ }[٤٧]

---

٤٤ عن عبدِ الله بنِ عمرٍو، رواه مسلم عن بنِ نُمَيْرٍ عن أبيه، وأخرجاه من حديثِ الثوريّ عن الأعمشِ، سنن الكبرى للبيهقي.
٤٥ موطأ الإمام مالك وسنن البيهقى الكبرى عن سعيد بن المسيب.
٤٦ رواه الطبراني عن ابن عمر.
٤٧ مسند الإمام أحمد وسنن أبى داود

بل وأعجب من ذلك، فقد دخل ﷺ على السيدة عائشة يوما وهى تفلِّى رأس أخيها سيدنا عبد الرحمن بن أبى بكر وتقصع أظفارها على غير شيىء فتجعل لها صوتاً كقصع قملة، فنبهها ﷺ أن هذا الفعل نوعٌ من الكذب أيضاً فقال:

{ مَهْلاً يَا عَائِشَةُ، أَمَا عَلِمْتِ أَنَّ هَذَا مِنْ كَذِبِ الأَنَامِلِ }[٤٨]

إلى أن يصبح مراقباً مولاه فى جميع أحواله ويصبح ظاهر الإنسان كباطنه، لأن تأثير النفاق أنه يجعل ظاهر الإنسان غير باطنه، فقد قال ﷺ:

{ إنَّ شَرّ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ. الَّذِي يَأْتِي هَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ، وَهَـؤُلاَءِ بِوَجْهٍ }[٤٩]

لكن المسلم ظاهره كباطنه، والمؤمن باطنه خير من ظاهره، فقد يكون ظاهره كظاهر عمر رضي الله عنه فى الشدة لكن باطنه كان رحمة، فالإنسان قد يكون شديداً على أولاده لكن هذه الشدَّة حبٌّ لهم ورحمة بهم، فهذا باطنه أفضل من ظاهره بالنسبة لهم وكذلك المؤمن باطنه خير من ظاهره بالنسبة لإخوانه المسلمين أجمعين.

ولذلك الصلاح هو صلاح القلوب، إذا صلحت القلوب واجهك علام الغيوب وفتحت لك كل مواهبه ﷻ الظاهرة والباطنة لأن الله قال فى [٣٦الإسراء]:

﴿ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولاً ﴾

---

٤٨ أبو نعيم عن عائشةَ رضيَ اللَّهُ عنهَا

٤٩ الصحيحين البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه

وقال ﷺ فى الحديث الذى يكشف سرَّ إنغلاق القلوب وعمى البصر:

{ لَوْلا أن الشَّيَاطين يَحُومُونَ على قُلُوبِ بَنِي آدم لنظروا إلى ملكوت السماوات } [٥٠]، وفى رواية: {الشَّيَاطِينُ يَحُومُونَ عَلَى أَعْيُنِ بَنِي آدَمَ، لاَ يَتَفَكَّرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ، وَلَوْلاَ ذَاكَ لَرَأَوْا العَجَائِبَ} [٥١]

إذاً الجهاد ليس فى الأوراد، ولكنه فى تصحيح خطوط الإمداد التى تأتيك بالمدد من عند المنعم الجواد، فمهما كررت الورد وخطوط المدد من الله مقطوعة! فإذاً العطايا الإلهية ممنوعة، وهذا ما نراه فى أكثر المسلمين، فما أكثر المصلين اليوم لكن أين المصلى الذى يفرح بضيافة مولاه؟! وقد قال ﷺ فيما يرويه عن ربه:

{ إنَّ بُـيُوتـِي في أَرْضِـي المساجِدُ، وإِنَّ زُوَّارِي فيها عُمَّارُها، فطُوبَى لِعَبْدٍ تَـطَـهَّرَ في بَـيْتِهِ، ثم زَارَنِـي في بَـيْتِي، فَحَقٌّ عَلَى المَزُورِ أنْ يُكْرِمَ زَائِرَهُ } [٥٢]

قوله "تطهر فى بيته" أخذناها على الظاهر أى الوضوء لكنه يقصد القلب، الظاهر مع الباطن، البيت الذى سينزل فيه وينظر فيه هو القلب، فقد قال ﷺ:

{ إِنَّ اللّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ } [٥٣]

---

٥٠ أخرجه أحمد من حديث أبى هريرة، تخريج أحاديث الإحياء العراقي
٥١ مصنف ابن أبى شيبة عن أبى هريرة ﷺ.
٥٢ فيض القدير ومرقاة المفاتيح.
٥٣ صحيح مسلم عن أبى هريرة ﷺ

أنت تطهر الظاهر من أجل المصلين معك لا يرون منك ولا يشمون إلا ريحاً طيباً ومنظراً مليحاً، لكن الله ﷻ يطَّلع على القلب فلابد أن تطهِّر معهم القلب.

"وحقٌ على المزور أن يكرم زائره" والإكرام هنا هو أن يعطينى إلهاماً وخشوعاً وحضوراً ويذيقنى حلاوة الإيمان وأحسُّ بها وأنا فى الصلاة؛ ويعطينى إخلاصاً ويعطينى صدقاً ويعطينى صفة من الصفات الإلهية النورانية والتى وصف الله بها كُمَّل الصالحين وهى التى إذا وجدها الإنسان فإنه يدخل فى ديوان الصالحين ويفرح بالله ﷻ ويصبح فى صلاة دائمة: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [المعارج]، فالناس تصلى خمس فرائض، لكن هناك أناس يصلون طوال اليوم، كيف؟

هناك وصلٌ دائمٌ بينهم وبين الله، طوال وقته قلبه ذاكرٌ لله، وكلما يذكر الله يذكره الله بتفضلاته وبعواطفه وبرحمته وبحنانته وبعطاءاته وبهباته، ولذلك يقول الإمام أبوالعزائم ﷺ وأرضاه فى ذلك:

والعارف الفرد محبوب لخالقه فات المقامات تحقيقاً وتمكينا
فى كل نفس له نورٌ يواجهه من حضرة الحق تحقيقاً وتعيينا

فى كل نفس يذكر الله ويأتيه الرد من عطاء الله، والعطاء قد يكون نور ملكوتى، أو قد يكون نور ذاتى، أو قد يكون إلهام عن طريق المَلَك، أو قد يكون إلهام عن طريق روح القُدُس، أو قد يكون إلهام فى مقام اللدنية: ﴿ وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمًا ﴾ [٦٥الكهف]

أو قد يكون إلهام عن طريق الحضرة الذاتية ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [٢٨٢ البقرة]، إذاً

يكون دوماً فى عطاءات وفى هبات وفى تفضلات لأن قلبه يواصل حضرة الذات وبالتالى تكون خطوط الإمداد بينه وبين الله ﷻ فيها صلة وفيها اتصال دائم مع حضرة الله.

إذاً يجب على المريد قبل أن يبدأ ويواصل مولاه أن يصحح خطوط الإمداد التى بينه وبين الله، يصحح القلب ويصفِّيه وينقَّيه حتى يرقِّيه الله ﷻ ويتنزل بأنواره العلية فيه، ثم يبدأ بعد ذلك ويواليه بلطائفه القدسية وبأنواره الذاتية وبعلومه الغيبية حتى أنه بعد ذلك إذا نطق؛ يكون شأنه شأن من قال فيهم خير البرية ﷺ:

{ اتَّقُوا فِرَاسَةَ المُؤْمِنِ، فإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ الله، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ إنَّ في ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ }[٥٤]، ويروى الإمام الترمذى ﷺ، ما قاله ﷺ فى شأن عمر:

{ إن الله تَعَالى جَعَل الحقَّ على لِسانِ عُمر وقَلْبِه }[٥٥]

أى أن الذى ينطق ليس عمر ولكن الحق هو الذى ينطق على لسان عمر، ولذلك كان ينزل القرآن فى أكثر من واقعة على رأيه، لأنه ليس له فى نفسه رأى ولكن كان الله ﷻ هو الذى يواليه ويتولاه وينطق على لسانه بما يحبه ويرضاه ﷻ.

---

[٥٤] سنن الترمذى عن أبى سعيد الخدرى ﷺ
[٥٥] مسند الإمام أحمد عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما

غير ذلك يكون جهاد يجعل صاحبه دائماً فى صدود وفى بعاد، وهذا ما يعانى منه كثير من السالكين والمريدين، وأحياناً من يدَّعون أنهم أفراد أو أوتاد!! .. لماذا؟ لأنه لم يؤَصِّل الأصل الأول والذى عليه المعوِّل وهو قلبٌ تقىٌ نقىٌ تبرز منه النوايا خالصة لوجه الله فى أى نظرة عين أو حركة إصبع! وفى أى خطوة قدم! أو وضع أى عضو من الأعضاء فى أى ناحية من الأنحاء! لا يتحرك عضو إلا بأمر القلب!

كيف؟ لأن هذه الأعضاء جنود منفذون، وهم سبعة أعضاء وهى العين والأذن واللسان واليد والرجل والفرج والبطن بعدد أبواب النار: ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ [٤٤ الحجر]

فإذا كان الحُكم للقلب أصبحوا أبواباً للجنة، وأبواب الجنة ثمانية، فإذا كان الحكم للنفس وهى التى تصدر الأوامر فإن هذه الأعضاء ستصبح فى غفلة وفى معصية وفى بعد وفى قطيعة عن الله وتكون هنا أبواباً لجهنم، فهذه الأعضاء غير مسئولة ولذلك ستأتى يوم القيامة وتشهد عليك:

﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِى أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [٢١ فصلت] ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [٦٥يس]

فالأعضاء تصبح شهوداً والشاهد لا يحاسب على أنه مجرم، ولكن المجرم هو الذى أصدر الأوامر ... فصلاح الإنسان يتوقف على من بيده دفة الأمور فى هذا الإنسان، وهو الذى يصدر الأوامر للجوارح لكى تنفذ!

إذا كان من يصدرها النفس فيكون الإنسان كما قال الله ﷻ: ﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس]، وإذا سلَّم القياد للقلب بعد صفاءه ونقاءه وتطهيره فإن القلب يتلقى مباشرة من الربِّ بغير واسطة وسيأمر الجوارح بما فيه رضا الرب ﷻ، وتصبح حركات وسكنات الإنسان داخلة فى قول الله لحبيبه ومصطفاه: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام] .

إذاً صلاح الجوارح يحتاج إلى صلاح القلب، وصلاح الأعمال يحتاج إلى صلاح النيَّة، وصلاح النيَّة يتوقف على صلاح القلب، وقبول العمل عند الله يتوقف على الإخلاص، والإخلاص من القلب، فالمرجع كله إذاً والمدار على القلب!! ولذلك يكون الإعلان العام يوم القيامة فى دائرة القضاء الإلهى:

{ مَنْ عَمِلَ لِي عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي فَهُوَ لَهُ كُلُّهُ، وفى رواية- فَهُوَ لَهُ كُلُّهُ وَأنا مِنْهُ بَرِيءٌ - وَأَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشرْكِ }[56]

[56] ابن جرير عن أبى هريرة.، وزيادة الرواية أخرجها مالم من حديث أبى هريرة أيضاً.

أسرار الرُقِى فى الدرجات

يتوقف علو الإنسان فى درجات القرب على النوايا والطوايا التى تصاحب العمل لله ﷻ، ... إذا كان يريد بعمله الخلق فهو منافقٌ، وإذا كان يريد بعمله الدار الآخرة فهو مسلمٌ، وإذا كان يريد بعمله وجه الله فقد دخل فى مقامات الإحسان لأن المحسنين هم الذين يعملون العمل طالبين رضاء ربِّ العالمين.

وكل ذلك مداره على القلب، فإذا أردت أن تكون كلُّ حركاتك وسكناتك طاعات فلابد أن تصحصح القلب حتى يكون واعياً وساعياً ويتلقى من الله ﷻ عند كل حركة وسكنة نوايا سديدة وإلهامات رشيدة تصحِّح بها الأعمال، ولذلك كان ﷺ يقول وما أصدقه وما أحكمه صلوات ربى وتسليماته عليه:

{ وَرُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إلاَّ السَّهَرُ }[٥٧]

فالنائم قد يكون أفضل! كيف يكون نائماً وأفضل من القائم؟

لأنه نائم وقلبه بمولاه هائم، فمن الجائز أن تكون الأعضاء متعبة ولا تستجيب للصلاة لكن القلب فيه صلة بينه وبين مولاه، قلبٌ حاضرٌ وذاكرٌ وفاكرٌ وشاكرٌ لمولاه، والآخر من الجائز أن تكون الأعضاء واقفة وتركع وتسجد ولكن القلب شارد عن مولاه!

٥٧ رواه أحمد وابن ماجه وسنن البيهقى الكبرى عن أبى هريرة.

هذا القلب يريد من الخلق أن تمدحه على هذا العمل ويعظِّموه ويكرِّموه فى هذه الحياة وهو يعمل من أجل الرياء والسمعة، هذا العمل غير مقبول عند الله ﷻ، ولذلك تصدر أحياناً من بعض الصالحين أعمال يظنها بعض الجهال شرور وآثام وهى قربات وبركات عند الواحد العلام ﷻ، لأن العارفين يريدون الله:

فخـل الخلـق خلفـك ثـم عامـل بصـــدق ذات مـــولاك العليـــة

ولا يريدون الظهور ولا الشهرة ولا الرياء ولا السمعة، وفيهم يقول ﷺ:

{ كَمْ مِنْ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لا يُؤْبَهُ لَهُ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ }[58]

فكان هدفهم دائماً أن يسقطوا شهرتهم بين الخلق حتى يظلوا دائماً فى صفاء ونقاء مع الحق ﷻ، لأن الخلق لو عرفت إنساناً ولو كان من كبار المقربين ربما يشغلوه عن ربِّ العالمين ويقطعوه عن مناجات الله والأُنس بالله جل فى علاه:

والخلـق فتنــة مــن أردت صــدوده وشـــهودُ أهــل البعــد فـــى الأدوار

لكن الله إذا أراد أن يجمع العباد عليه فهذا شأنه، لكن لا يسعى هو للخلق ليعرفوه ويتعرفوا عليه لأنه لا يريد إلا الحق ﷻ، فإذا صلح القلب فيكون كما يقول سيدى أبويزيد البسطامى رضي الله عنه وأرضاه: (لو قال العارف سبحان الله بصفاء قلب مرة واحدة فى عمره لكفته فى دنياه وفى أخراه)، فمثله لا يحتاج إلى عدد لأنه يوجد مدد، ومثل هؤلاء ورد معنى حديث رسول الله ﷺ:

---

٥٨ سنن الترمذي عن أنس بن مالك.

{ إن لله عبـاداً التسـبيحة من أحدهم مثل جبل أحُد }، وفى الأثر: { وربَّ تسبيحة من إنسان أفضل من ملء الأرض من عمل غيره، وكان إدريس يرفع له في اليوم مثل عمل جميع أهل الأرض؛ وأن الرجلين ليكونان في الصف وأجر ما بين صلاتهما كما بين السماء والأرض.}[٥٩]

ولذا قس على ذلك فكلنا نقرأ الفاتحة ولكن هل قراءتنا واحدة؟!وكلنا نصلى فهل صلاتنا واحدة!! بالطبع لا وقد وردت الأحاديث فى ذلك!

وخذوا مثالاً فسيدى عبد العزيز الديرينى ﷺ وأرضاه وكان من العلماء العاملين من رجال الأزهر، أخذ منه أحد التجار قرضاً وكان من بلدة أخرى غير بلدته، وذهب ليطالبه بهذا القرض ومرَّ على بلد عند آذان المغرب فدخل ليصلى المغرب، فصلى بهم إمام لا يحسن التجويد، فقال فى نفسه أظل فى هذا البلد حتى أصحح لهذا الإمام القراءة ثم أذهب إلى التاجر أطالب بحقى – لأنه كان عندهم الدين النصيحة – وبعد السلام إذا بالإمام يقول له: يا عبد العزيز أسرع إلى التاجر لأنه غداً سيسافر إلى الشام ولن يرجع إلا بعد شهرين.

فأسرع فخرج وعندما وصل إلى التاجر وجده يجهز الجمال والأحمال وسيسافر فى الفجر، ثم رجع للرجل مرة أخرى، وقال له: يا عبد العزيز:

٥٩ حديث جبل أحد ورد فى القرطاس لحسين شرف الدين، والآثار وردت فى مجموع فتاوى ابن تيمية.

{ اهتممتم بلحن اللسان ولم تهتموا بلحن القلوب فحجبتم عن مطالعة الغيوب ، واهتممنا بتقويم القلوب فوق إصلاح اللسان فكشف الله ﷻ لنا الغيب عيان }

فالشاهد أن إصلاح القلوب هو الذى عليه المعول، وهذه هى بداية البداية، وهى سر كل نهاية وسر كل فتح وسر كل خير، وكل هذا مبدؤه صدق النيَّة وإخلاص الطويَّة..... وفى النهاية فالأمر كله فى القلب فهو الذى يحرِّك الإنسان نحو الربِّ والذى يفتح له أبواب القرب وخزن الإنعام والمدد والودِّ.

❁ مفتاح الصلاح

فإن كان ذلمك فكيف إذاً أصلح القلب؟

قالوا فى حكمة بسيطة:

{ القلب بيت الربِّ فطهره له بالحبِّ }

نحن جئنا إلى الدنيا وعندنا شواغل كثيرة[١٤ آل عمران]:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِ ﴾

كل هذه الاشياء تشغل الإنسان وهو يحبُّها، يريد امرأةً جميلةً مع أنها قد تشغله ويموت فى هواها وتكلفه ما لا يطيق، ويريد أولاداً يكونون قرة عين له وربما قد ينشغل بهم عن الله أو يصيرون سبب تعاسته فيما بعد، وينبهه مولاه ويقول:

﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ [١٤ التغابن]،

﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾[التغابن:١٥]

ولا فائدة من ذلك!! ... ولذلك أصبح سيدنا علىّ يوماً وقال: أصبحت أحبُّ الفتنة، فسألوه عن الفتنة؟ فقال لهم هى الأولاد.

وكلكم يعلم أنَّ بريق الفلوس يجعل الإنسان يدوس على كل الرءوس!!، وكلنا نعظِّم الذى معه المال، ولا نعطى أى اهتمام لمن لا يملك المال .... وهذا حال المجتمع كله على أغلب الأحوال!!، فلو قلت للناس : كيف تصنعون ذلك والله ﷻ يقول: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [١٣ الحجرات]!!!، لقيل إن ذلك فى الدار الآخرة، ولكن هنا أكرمنا أغنانا!!

والله لا يريد فى القلب غيره، فإذا وجد فى القلب شيئاً من الدنيا تركه ولم يتنزل فيه فهو لا يحلُّ بمعانى ودِّه وأنوار قربه فى مكان إلا إذا كان ليس له فيه شريك!! ... هل هذا مفهوم يا إخوانى! ....

ولذا فهو يغارُ على قلوب أحبابه وأصفيائه من أى شغل بسواه، ليكون لهم دائما القدر الأسمى عند الله .. فعندما رأى خليله إبراهيم انشغل قليلاً بالولد أمره أن يأخذه هو وأمه ويتركهما فى صحراء لا زرع فيها ولا ماء!! ، لأنه لا يحبُّ ألا يرى فى قلوب أولياءه سوى ذاته، فخلعهم الخليل من قلبه، وبعد فترة ذهب ليزورهم فوجد ابنه فى صفوة الشباب وله زهوة فدخل قلبه، فأمره الله أن يذبحه، لأن الله ﷻ غيور وأنواره سفور ولا يريد أن يكون فى قلب عبده سواه!!

وهذا هو الحبُّ الحقيقى الذى يطهِّر القلب لحضرة الله ﷻ، وهذا هو المقام الثانى فى الجهاد والذى يحقق للعبد الصلاحية لأن يكون من أهل القرب والوداد، إذا اطلَّعوا على قلبه ولم يجدوا فيه غير الإنشغال بالكليَّة لربِّه ﷻ رفعوا عنه كل حجاب وألاحوا له علِيَّ الجناب وفتحوا له الرحاب وسجلوه فى ديوان الأحباب وقال له ربِّ البرية: هذا جمالى تمتع بى بغير حجاب.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثانى

تصفية القلب[٦٠]

❁ تصفية القلب، ❁ جهاد النفس، ❁ صفاءُ القلب،

❁ منهاج السالك لتنوير القلب الحالك

أولاً- ترك النفاق العلمى والعملى

من أبواب النفاق العملى

ثانياً- الحرص على القيام بالفرائض

ثالثاً- الحرص على أنفاسه وصحته الروحانيَّة

رابعاً- محبَّة الله ورسوله ومن والاهم

خامساً: التأليف بين الإخوان:

سادساً: الخروج من عوائده ومألوفاته مع المداراة

سابعاً- الحرص على سلامة ورعاية نفسه

ثامناً- القيام بواجب الوقت مع حفظ المرتبة

٦٠ الجمعية العامة للدعوة إلى الله بحدائق المعادى، الخميس ٢٢ جماد الأول ١٤٣١هـ، ٦ مايو ٢٠١٠م.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ **(89الشعراء)**

الباب الثانى

تصفية القـــــلب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى وجهنا لما يحبه ويرضاه وجعل أفئدتنا تتجه إلى حضرته وتطلب منه صافى شراب أهل قربه ومودته، والصلاة والسلام على خير مرام يناله المصطفون من الأنام سيدنا محمد بدر التجليات وشمس الإشراقات فى القلوب النيرات وصاحب الشفاعة العظمى والكرم الذى لا يُعدُّ ولا يُحدُّ يوم لقاء الواحد الأحد، صلى الله عليه وعلى آله التقاة وأصحابه الهداة وكل من مشى على نهجهم إلى يوم الدين وعلينا معهم أجمعين آمين يارب العالمين.

إخوانى وأحبابى بارك الله ﷻ فيكم أجمعين:

تناولنا فى الفصل السابق بيان أوجز الأصول التى ينال بها العبد الوصول إلى حضرة الله ﷻ وإلى القرب من حضرة الرسول ﷺ، وبيَّنا أن الأصل الأول فى هذه الأصول هو النيَّة الخالصة، والتى معها سلامة الطويَّة وصفاء القلب بالكليَّة وحسن المقصد الذى يبغيه فى عمله أو فى قوله أو فى سيره وهو وجه ربِّ البرية ﷻ.

والأصل الثانى والثالث معاً فى الوصول إلى الله ﷻ هما: جهاد النفس، وتصفية القلب بالكليَّة، واعلموا علم اليقين كما قال الأمير عبد القادر الجزائرى رحمة الله عليه فى مواقفه قولة سديدة:

{ لا يجد فى طريق الله ﷻ شمَّة من لم يجاهد نفسه ولو كان شيخه قطب الوقت }

ونوضحها بمثال: لو مرض إنسانٌ بداء فى جسمه وذهب إلى أعظم طبيب فى هذا المجال فى هذا العصر فى الشرق والغرب، وعرض عليه نفسه وكشف عليه وكتب له تذكرة دواء، لكن المريض أخذ التذكرة ولم يشترِ الدواء، أو اشترى الدواء ولم يستخدمه ... هل يتم له الشفاء؟! لا !!!

كيف؟ مع أنه ذهب إلى أعظم طبيب فى عصره! لكن الطبيب يصف الدواء بعد بيان الداء، وعلى المريض الذى يريد الشفاء أن يستخدم هذا الدواء بالحكمة التى وصفها له هذا الطبيب النُطاسى حتى يُزال عنه الألم ويُشفى من هذا الداء، ومن هنا فالأمر الباطن كثل هذا المثال الظاهر!....

۞ جهاد النفس

النفس لها عللها التى تمنعها من الفتح، والقلب قد يكون عليه أغيارٌ تمنعه من التحقق بمقام المقرَّبين والأخيار، والأغيار تعنى كل شئ غير الله! فهو يسمَّى غيراً فى القرب إلى الله، فلابد للمرء من جهاد نفسه ليقضى على العلل التى تمنعه من القرب من ربِّه، ولابد أن يجاهد فى تصفية قلبه لتشرق عليه الأنوار، وتلوح فى أفقه الأسرار، ويتمتع بالعطايا التى يخصُّ بها الله ﷻ الصالحين والأبرار.

وجهاد النفس يكون بعلاج البواعث النفسية والعلل النفسية .... التى تمنع الإنسان من القرب من ربِّ البرية ﷻ، والبواعث والعلل النفسية هى الشهوات الدنية التى تشغل الإنسان فى هذه الحياة الكونية .... وتبعده عن القرب من ربِّ البرية .... وتجعله غير أهل لأى عطية:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ [١٤ آل عمران]

ولابد أن يعلم المجاهد لنفسه ما هى الغاية والمقصد من هذا الجهاد حتى يتمكن من مجاهدة نفسه.

الغاية من هذا الجهاد أن يطوع شهوات نفسه ورغباتها وأهوائها فى سبيل الظفر والنيل لعطايا ربِّه التى يخصها للصالحين، وسبيل ذلك أن يتحقق بالعبودية لربِّ العالمين ﷻ، كل الجهاد إن كان وسيلته الصلاة، أو الصيام، أو وسيلته الأذكار والعبادات، أو الصدقات، أو وسيلته خدمة المساكين والفقراء واليتامى والأرامل، أو وسيلته لذلك خدمة الصالحين ... كل هذه الوسائل الغاية من ورائها يقول فيها الإمام أبوالعزائم ﷺ:

تلك الرياضة يا مسكين غايتها ذلٌّ ومسكنةٌ إن صح أنت ولىّ

غاية هذه الرياضات أن يصل الإنسان المجاهد!!! والمجاهدة التى بها تتم المشاهدة لابد أن تكون على منهج القرآن والسُنة، فأى جهاد على غير القرآن والسُنة إنما هو سبيل من سُبل الغواية! وليس سبيلاً من سبل الهداية والعناية التى فتحها ربِّ العالمين ليعطى منها الوهب والعطايا للصالحين، فشرط الجهاد أن يكون على منهج القرآن والسُنة.

غاية الجهاد أن يتخلق الإنسان بأخلاق العبودية، ولذلك قال الله ﷻ عندما قال له أبويزيد البسطامى ﷺ: بِم يتقرب إليك المتقربون يارب؟ قال تعالى:

{ بما ليس فىَّ، قال: وما الذى ليس فيك؟ قال: الذل والمسكنة والفقر والحاجة والإضطرار }

وما شابه ذلك من أوصاف العبودية التى بها يتأهل المرء لنيل العطيَّة من ربِّ البرية ﷻ، وأوصاف العبودية هذه تكون فى مواجهاته مع ربِّه، وليس للخلق وإنما للخالق جل وعلا، أوصاف العبودية تحتاج إلى جهاد شديد حتى يتخلص الإنسان من أوصافه الإبليسية والحيوانية والسبعية! .. لماذا؟

لأن الإنسان جُبِل على هذه الأوصاف وهى التى تناسب التراب والطين الذى خلقه الله منه وتناسب الأرض والسفل الذى جاءت منه عناصره الجسمانية!! فجبل على حبِّ العناصر التى خلق منها ليكون ميالاً بطبعه إلى ما به حفظها! لابد من يأكل ويشرب وينكح ويسكن، فللأكل لا بد أن يشتهى الطعام وللتناسل لابد من الجنس! ولولا الروح أونفخة الله التى جمَّلت الطين فجعلته سميعاً بصيراً عاقلاً ومدركاً وفاعلاً قديراً، فلولاها ما كان له سبيلٌ للعلو أبداً!

فالنفوس التى تسوس هذا البدن تدفعه لما يناسبه، والروح تريد منه العلو عن ذلك والتخلق بما يناسبها ويقربها من أصلها! فإذاً هو مجبول على تلك الفطر! ولابد له من جهاد فى تغيير هذه الأوصاف الدنيَّة ليتحلَّى بالأوصاف النورانية العليَّة، فهو قد خُلِقَ وجُبِلَ كما قال تعالى:

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب]

إذاً لابد أن يجاهد فى تغيير وصفه من الظلم إلى العدل فى أى أمر أو أى شأن!! .... حتى كان ﷺ كما تعلمون أُلهم العدل وهو فى رضاعه! فعندما علم بفطرته أن له شريك فى الرضاعة كان لا يتناول إلا ثدياً واحداً ويترك الآخر لأخيه فى الرضاع

ويرفض أن يتناوله أو يقربه أو يمصُّ منه مصَّة لأن الله جَبَلَه على العدل، وكان ﷺ من شدة عدالته يبادل الطعام بين أضراسه، أى يمضغ على الجهة اليمنى مرة وعلى الجهة اليسرى مرة، عدالة مطلقة فى كل أمر وفى كل شأن، وهكذا كان الرجال الذين رباهم ﷺ على تلك العدالة، والذين كان يقول لهم:

{ وَقُلِ الْحَقَّ وَلَوْ عَلَى نَفْسِكَ } وفى آخر: { قُلِ الحَقَّ وَإِنْ كَانَ مُرَّاً }[٦١]

هذا مثال من هذا الجهاد فى العدل، وخذوا مثالاً آخر ...

﴿ وَكَانَ ٱلۡإِنسَـٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ [الإسراء]، فطبيعة الإنسان: ﴿ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ﴾ [١٢٨ النساء]

فطبيعة الإنسان الشحُّ والبخل، وفى سبيل الشحِّ والبخل تزيِّن له نفسه الحصول على الدنيا من أى سبب وبأى طريق، ولو كان فى سبيل ذلك سيفرِّق بين صديقين! أو سيصنع قطيعة بين قريبين! أو سيصنع مشكلة بين زوجين! لأن حبَّ المال يجعله لا يبالى بهذه الأعمال ويرتكب هذه الفظائع التى تقشعر منها الأبدان، لأنه يستبيح أى وسيلة فى سبيل الحصول على المال !!!!

ولكنه لم يعرف أنَّ الله ﷻ كتب على خزائن كرمه المخصوصة لعباده المخصوصين أنه لا ينال أحد شيئاً منها إلا إذا تخلَّق باسم الله الكريم بين جميع المخلوقين، أى لابد أن يكون كريماً فى فعاله، وكريماً فى ماله، وكريماً فى أحواله حتى ينيله الله ﷻ هذا الفتح المبين !! إذاً الجهاد هنا فى التخلق بخلق الكرم الربَّانى على منهج الحبيب الأعظم ﷺ ....

---

٦١ حديث"ولو على نفسك" ابن النَّجَّار عن عليَ ﷺ جامع المسانيد والمراسيل، حديث (لو كان مرَّاً) رواه أحمد عن أبى ذر.

وقس على هذين المثلين السابقين جهاد النفس لمن أراد أن يكون من أهل الخصوصية فى الجهاد لتصفية القلب والتخلُّق بالأخلاق العليَّة بعد التخلِّى عن الأخلاق الرديَّة و السفليَّة المؤذيَّة، فلو كنت تحبُّ الإكثار من الكلام مع الأنام، فهذا خُلُق يحجب من خزائن الحكمة التى يقول فيها الله:

﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾

[٢٦٩ البقرة]، ومفتاحها يقول فيه ﷺ:

{ إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ قَدْ أُوتِيَ صَمْتاً وَزُهْداً فَاقْتَرِبُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ يُلَقَّنُ الحِكْمَةَ }[٦٢]

إذاً جهادى لأنال هذا الفوز العظيم وأكون حكيماً وتفتح لى كل خزائن الحكيم أن أجاهد فى إمساك لسانى إلا عما قال فيه الله:

﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [١١٤ النساء]

إذاً جهاد النفس يا إخوانى هو لتصفية القلب وللتخلق بأخلاق العبودية، وإمامنا فيها أجمعين هو خير البرية ﷺ.

---

٦٢ أخرجه ابن ماجه من حديث غبن خلاد، تخريج أحاديث الإحياء للعراقى .

أما الجهاد فى العبادات فهذا جهاد العابدين، وربما كانت كل خزائن الفتح فى هذا الميدان موصدةً أمامهم، لماذا؟ أو قل: كيف؟ لأن العابد إذا أصيب بداء الغرور فإن الله ﷻ يوصد أمامه كل أبواب الفتح، وإذا رأى نفسه خيراً من غيره فإن الله ﷻ يحرمه من أرزاق المتقين ومواهب الصالحين، فجهاد النفس كما ذكرناه وبيناه والتفصيل يفتحه الله ﷻ لأولى الألباب إذا ساروا فى هذا الباب بصدق! ويقين ورغبة صادقة فى ارضاء ربِّ العالمين ﷻ.

صفـــــاءُ القلب

والأصل الثالث هو تصفية القلب.

وتصفية القلب لا تكون إلا بتطهيره من الأمراض والأغراض التى تمنعه من القرب من ربِّ العباد ﷻ، فإن الله ﷻ لا يُشرق بأنواره العليَّة إلا على من قال فيه فى محكم آياته القرآنيَّة:

﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الشعراء]

سليمٌ ... ليست فيه علة ولا غرض ولا مرض! ... ومن هنا فالأساس الأول فى جهاد القلب: أن يكون الجهاد ليس له غاية إلا وجه الله، ليس له غاية دنيوية ولا مآرب أخروية، يقول الله ﷻ فى أهله آمراً وموجهاً خير البرية:

﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [٢٨ الكهف]

إذاً جهاد القلب الأول فى تخليص القلب من الوِجَه الكونيَّة والشهوات الدنيَّة والحظوظ السافلة الدنيوية، أى لا يكون أىٌ من هذه الأشياء مراده ولا بغيته ولا همُّه ولا أمله، فلا يكون للإنسان همٌ إلا فى إرضاء ربِّ البرية ﷻ، لا يريد إلا الله ولا يبغى إلا رضاه ولا يطلب فى الدارين إلا وجه مولاه ﷻ، ليس فيه مقصد غير ذلك وليس فيه مطلب أو مأرب سوى ذلك، وهذه تحتاج إلى جهاد شديد فى توحيد الوجهة، أى تكون الوجهة هى وجه الله .

والجهاد الشديد لأنه يجب أن يكون كذلك وهو يعيش بين الناس ولا يترك دنياهم ولا يذهب للجبال ولا للوديان ولا للعزلة فهذا لا يصلح مع الصالحين فى زماننا هذا!، والإنسان يا إخوانى طالما هو فى هذه الأكوان يحرِّكه قلبه، فإن القلب ما سُمى قلباً إلا لكثرة تقلّبِه، تارة يريد الظهور فى الدنيا وتارة يريد الرياسة وتارة يريد الشهرة وتارة يريد السمعة وتارة يريد الأُنس بالخلق وتارة يريد تحقيق مصالح من بينهم أو من وراءهم أو بسببهم، فالقلب يتقلَّب فى هذه الشئون.

إذاً أول جهاد للقلب فى توحيد الوجهة، حتى يكون لا يريد إلا وجه الله، لا يريد شيئاً حتى من عند الله وإنما يريد وجه الله، ألا يدعو مولاه إذاً؟ بالطبع كلنا ندعوه، لكن صاحب القلب السليم يدعو ليتحقق بمقام العبودية فى ذلِّ الطلب إلى ربِّ البرية، لأن الله غنىٌ عما سواه ويحتاج إليه كل ما عداه، فهو يُظهر لله ﷻ عند السؤال والدعاء ذلَّ الطلب، لأنه يتذلل بين يديه ويتضرع إليه ويُخبت إليه حتى يكون عبداً صادقاً بين يديه ﷻ، هذا همُّه أو غايته من الدعاء، ويعلم بعد ذلك أن الله ﷻ يُحقق له كل ما يتمناه، وهو فى الحقيقة لا يتمنى إلا وجه مولاه ﷻ:

وغــايــة بغيتى يبـدو حبيبى ... بعين الروح لا يبـدوا خفيَّـا
فنظرة منك يا ســؤلى ويا أملى ... أشــــهى علىَّ من الدنيا وما فيها

فيجاهد المرء ليُوحد جمال الله ﷻ، ولذا فإن تمام الجهاد لا يتم إلا بالفناء الكلىِّ عن الشهوات والحظوظ والأهواء، والفناء يعنى موت هذه الرغبات حتى أنها لا تتحرك فى النفس ولا تطالب الإنسان بتحقيقها ولا تخطر على البال وتطالب المرء بنيلها لأن الإنسان أصبح له وجهة واحدة وهو وجه مولاه ﷻ، وهذا هو جهاد المحبِّين وجهاد الصالحين وجهاد العارفين، وهذا الذى يقول فيه إمامنا ابوالعزائم ؓ مظهراً مرتبة السالكين المبتدئين: { والسالك من توحَّد مطلوبه ورضىَّ بما قدَّره محبوبه } لكن الذى يريد أن يكون عالماً والذى يريد أن يكون صاحب كرامات والذى يريد أن يتمتع بالرؤيات الصالحات والذى يريد أن يُقذف فى قلبه الإلهامات والذى يريد العطايا من الله ﷻ ..... فهذا ما زال لم يصل إلى مقام الفناء لأن تمام المقام:

وكن عبداً لنا والعبد يرضـــى بما تقضـى الموالى من مراد

إذاً لا يمكن للإنسان أن يجاهد نفسه إلا بواسطة شيخ مأذون من الحبيب الأعظم ﷺ، وجهاد النفس فى التخلص من أهوائها وشهواتها وحظوظها وبدواتها وكبح جماح الشهوات وسَوقها إلى الطاعات والقربات ومتابعة سيد السادات ﷺ.

وتصفية القلب كما قلنا أن أول أصل فيه هو توحيد الوجهة لله ﷻ، وحتى تكون الوجهة سديدة على المريد ألا يطلب على جهاده فى تصفية قلبه أو جهاده لنفسه أجراً إن كان دنيوياً عاجلاً أو أخروياً، حتى لا يطلب بجهاده الفتح ولا الكشف ولا الرؤيا ولا الشهود، لأنه فى هذه الحالة حدَّد أجراً، لكنه يطلب وجه الله، والله ﷻ يقيمه فى المقام الذى يراه مناسباً له وهو أعلم بنا ﷻ من أنفسنا، ولا يتمُّ ذلك إلا إذا جاهد العبد نفسه فى الفناء، وهذا هو السبيل الوحيد لنيل الفتوحات الربانية ونيل الهبات الإلهية ونيل العطايا المحمدية ...... هذه بعض الأصول التى لابد منها لمن يريد الوصول.

❁ جهاد السالك لتنوير القلب الحالك

كيف يجاهد الإنسان نفسه فى سبيل تحقيق تصفية القلب؟ ..الإنسان فى طريق الله إما سالكٌ، وإما عارفٌ، وإما واصلٌ، وإما متمكنٌ، وإما متمكنٌ أمكن،.. فما جهاد السالك فى طريق الله ﷻ ليصفى قلبه؟

❁ أولاً- ترك النفاق العلمى والعملى:

أول جهاد يبدأ به الأفراد ولا يتركه إلا أهل البعاد هو التخلص من النفاق!

والنفاق إثنان علمىٌ وعملىٌ، فالنفاق العلمى نفاقٌ فى العقيدة أى باطنى، فتكون العقيدة زائغة غير سديدة ولا سليمة، وسببه الشهوات والدنيا والأهواء المستكنة فى باطن الإنسان، ومظاهره الإعتراض على الصالحين أحياءاً وأمواتاً، وتنقيص الأنبياء والمرسلين بأن يعتبرهم أناس عاديين وخاصة سيد الأولين والآخرين، وانتقاص المسلمين فلا يعجبه أحد من المسلمين إلا نفسه وخاصة أكابر العلماء الذين لهم بصمات واضحة فى شريعة الله السمحاء كأصحاب المذاهب، وإثارة النزاعات والخلافات دوماً بين المسلمين، والتشويش على المؤمنين بكثرة الآراء، .. فهذا النفاق يسمى النفاق العلمى وهو نفاق فى العقيدة والعياذ بالله ﷻ.

أما النفاق العملى فهذا يحتاج منا إلى الجهاد الأعظم، وهو أن الإنسان ترغب نفسه فى التكاسل والتقاعس والتباطؤ عما فرضه عليه الرحمن أو سنَّه النبى العدنان ﷺ، ويحتاج إلى العزيمة والجهاد، وهو الذى أشار إليه النبى ﷺ فى قوله:

{ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمُنَافِقِينَ شُهُودُ الْعِشَاءِ وَالصُّبْحِ لاَ يَسْتَطِيعُونَهَا }[٦٣]

لا يستطيع الرجل منهم أن يصلى العشاء فى جماعة فى الليلة الباردة، ولا يستطيع أن يصلى الفجر فى جماعة إلا قليلاً، هذا النفاق العملى خطورته لو استكنَّ له الإنسان ورضى به ولم يَلُم نفسه عليه، مثل من يصلى الصبح بعد طلوع الشمس ولا تلومه نفسه ولا تؤنبه ولا تعاتبه على هذا الفعل .... وهنا خطورة هذا النفاق، لكن لو كنت تصلى الفجر فى جماعة ونمت عنه يوماً فوبَّختك نفسك طوال اليوم، فهذا خارجٌ هذا المرض، إذاً المرض لمن رضى به ووَّطن نفسه عليه ونفسه لا تلومه ولا تعاتبه ولا توبخه ولا تؤنبه على ذلك؛ وهذا هو النفاق العملى.

❁ من أبواب النفاق العملى

هناك أبواب فى النفاق العملى لابد للإنسان أن يُطهر نفسه منها حتى يدخل إلى مقامات الإيمان، وسنختار منها خمسة أبواب لخطرها، واحذر فهناك غيرها!:

- أولاَ: إذا رأى الإنسان نفسه خيراً من غيره:

فى العادات والطاعات والقرب من الله، فذاك مرض داخلى يحتاج إلى العلاج، ويقول فى ذلك أبوالعزائم ﷺ: (كفى بالمرء إثماً أن يرى الخير فى نفسه والشر فى إخوانه) فى هذه الحالة هو شيطان وبه مرض داخلى يحتاج إلى العلاج.

٦٣ موطأ الإمام مالك وسنن البيهقى الكبرى عن سعيد بن المسيب.

- ثانياً: السعى للقطيعة بين الإخوان المتحابين المتآلفين:

وهى أخطر من السابقة فى داء النفاق العملى؛ وهذا شيطان واضح مع أنه يصلى ويصوم وربما يقوم الليل وربما لا يملُّ من تلاوة القرآن لكن عمله هذا يخالف منهج الإيمان السديد الذى وضحه الله ﷻ فى القرآن!! ففى (٦-٩الحجرات):

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾

إياك أن تميل مع هذا أو ذاك، فلا تمل إلا مع الحق حيث مال.

ثالثاً: أن يكون الإنسان بخيلاً وشحيحاً ويرى نفسه خيراً من غيره:

لأنه يرى نفسه حريصاً ومحافظاً على ماله؛ بل ربما يستهزئ بالمنفقين ويراهم سفهاء ومبَّذرين، وقد يتناهى فى بخله وحرصه حتى يبخل بمال غيره فى نفسه من أن ينفقه صاحبه فيصير شحيحاً فتطمح عينه إلى مال أخيه ويقول لو كان لى لحافظت عليه وما أهدرته، وتنقبض نفسه من جود أخيه بماله! ويراه سفهاً وتبذيراً فهذا من فقه معنى الشح! فانظر إلى أى مدى يلاحظون خلجات النفوس وطرفات العيون!

ولذلك قال الإمام عبد الوهاب الشعرانى ﷺ: { أقبح القبيح صوفى شحيح }، كيف يكون صوفياً وشحيحاً؟! فالصوفية لا تدعو إلا لمكارم الأخلاق، وأول مكارم الأخلاق الكرم والجود وخلاف الشحِ فالصوفى الصادق لما يرى أهل الإنفاق يربو الإيمان والغبطة فى قلبه، ويفرح لأخيه ويدعو له ويتمنى أن لو كانت لى الجبال ذهباً لأنفقتها فى الله! ولذا فهم يذكرون أنفسهم دائماً بقول الله تعالى:﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (٩الحشر).

رابعاً: أن يلقى هؤلاء بوجه وإذا غابوا عنه ذكرهم بوجه آخر:

وهو نفاقٌ عملىٌ يتبرَّأ منه كل صفىّ ويبرأ منه كل ولىّ؛ فهو ليس من صفة الأتقياء لأن التقى ما فى قلبه على لسانه، وهذا ما يسمُّونه المداهنة أى يداهن الناس، أى عندما يراه يتقرَّبُ أو يتزلَّفُ إليه، فإذا مشى من أمامه أخذ يخوض فيه ويغتابه ويُقبِّح سوء فعله ولا يذكر إلا أسوأ ما فيه وينسى ما فيه من خصال كريمة – وكلٌّ فيه هذا وذاك – والحبيب ﷺ يُخَوِّف هؤلاء المنافقين بسوء العاقبة يوم لقاء الله فالوجهان واللسانان سيكونان من نار يوم القيامة! فمن يطيق ذلك، قال:

{ ذُو الْوَجْهَيْنِ فِي الدُّنْيَا يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ وَجْهَانِ مِنْ نَارٍ }[٦٤]، وقال:

{ إِنَّ ذَا اللسَانَيْنِ فِي الدُّنْيَا لَهُ لِسَانَانِ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }[٦٥].

فالمؤمن التقى هو الذى يرى حسنات إخوانه وعيوب نفسه، ويغضُّ الطرف عن عيوب إخوانه وعن مكارم نفسه فلا يغترَّ، لا يتذكر مكارمه ولا محامده! وإنما يضع أمامه دائماً مساوئه وجرائمه حتى يُصلح عيوب نفسه وحتى يهذِّب نفسه.

فالذين يحضرون المجالس ويذكرون الله ويصلون على رسول الله ثم يمشى أحدهم بين الإخوان ليوغل صدر هذا ويملأ صدره هذا على ذاك، فهؤلاء شياطين ولكنهم يجالسون المؤمنين، فعندما دعا الله الملائكة للسجود:﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الحجر]

وهل كان إبليس من الملائكة؟ لا، ولكنه كان معهم وقتها يقول بقولهم ويفعل بفعلهم فأخذ حكمهم وأُمِرَ معهم، ولكن حقيقته أبت وبقيت على غيّها لم تطْهُر، فلمَّا أمر بما يكره أعلن رفضه وأظهر نيَّته وعصى ربه، وهكذا مثل من تبع الصالحين وقلبه معقود على صفة المنافقين، وهذا يأخذنا للصفة الخامسة من النفاق العملى وهى والعياذ بالله، نسأل الله السلامة فى العقيدة والإخلاص فى العمل!.

---

٦٤ (طس) عن سعد رضيَ اللَّهُ عنهُ. جامع المسانيد والمراسيل
٦٥ (طك)، عن ابن مسعود، جامع المسانيد والمراسيل

خامساً: أن يتصنَّع الخشوع أمام الناس ليحظى بالرفعة والتقديم:

وهذا من أخطر النفاق وهو قاطع لجميع الإمداد والأرزاق، لأن الرجل لا يزال يتصنَّع الخشوع والإنكسار أو الصراخ والبكاء وتمثيل الأحوال أمام إخوانه - وليست هكذا أحوال الرجال وإنما أحوال الجهَّال- فيفرح بتقديم السذَّج له لما يرونه منه وينتشى لطلبهم دعائه أو تقبيل يده حتى يصدِّق أنه جاز وفاز فيتوقف عن السلوك والإجتياز ويرى أنَّه فوق البقيَّة، وهو عند أهل الحضرة الحقيَّة منافقٌ علامته جليَّة وحالته مخزيَّة، والمصطفى يحذر من تلك المهالك المرديَّة وينبِّه ويقول:

{ مَنْ أَرَى النَّاسَ فَوْقَ مَا عِنْدَهُ مِنَ الـخَشْيَةِ فَهُوَ مُنَافِقٌ }، و{ الْمُنَافِقُ يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ يَبْكِي كَمَا يَشَاءُ }[66]، وبكى سفيان الثوري ﷺ يوما ثم قال لمن حوله:

{ بلغني أن العبد أو الرجل إذا كمل نفاقه ملك عينيه فبكى }[67]

ولا تعارض هنا مع حديث إن لم تبكوا فتباكوا؛ لأنه ﷺ أمرهم بالبكاء أوالتباكى عند القرآن ترقيقاً للقلوب وجلباً للخشية، أوعند سماع عذاب النار إظهاراً للخوف من الله القهّار، أو عند المرور بديار الخسف والصعق من الكفار، وأما المنافق فيبكى أمام الناس تصنعاً وخداعاً، ويملك دموعه إرسالاً وامتناعاً!.

---

٦٦ حديث {من أرى } ابن النجَّار عن أبي ذرَ، حديث { يبكى } (فر) عن عليِّ ﷺ جامع المسانيد والمراسيل
٦٧ رواه البيهقي في الشعب، كشف الخفاء.

فأول جهاد فى مراتب السالكين لتصفية القلب أن يجاهد نفسه حتى يتطهَّر من كلِّ أوصاف النفاق والمنافقين ويدخل فى قول الله ﷻ (١١٩التوبة):

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾

إذا أعانه مولاه وقوَّاه على التخلص من أخلاق النفاق ليطبع بأخلاق أهل الصدق والوفاق وكما قال الصادق المصدوق ﷺ ليعرِّفنا صفة المؤمنين الصادقين:

{ كُلُّ خِلَّةٍ يُطْبَعُ عَلَيْهَا الْمُؤْمِنُ إِلاَّ الْخُيَانَةَ وَالْكَذِبَ }[٦٨]

وهاتان الصفتان الذميمتان جمعتا ووعتا كل صفات المنافقين فكلُّها متفرِّعٌ عنهما فخلف الوعد وغدر العهد من الكذب، وفُجْرُ الخصومة وأكل الأمانة من الخيانة، فلابد للمريد الصادق أن يتخلص من هذه الصفات بالكليَّة، ولا يبيح لنفسه استخدامها ولو لمرَّة واحدة إذا أراد أن يرتقى لمقام السالك، لماذا؟

لأنه لابد للسالك أن يكون خالياً تماماً من أوصاف النفاق والمنافقين، لا يكذب ولا يغتاب ولا ينمُّ ولا يخون ولا يخلف وعداً ولا يفجر فى خصومه !!!....

٦٨ (ع) عن سعدٍ رضَيَ اللَّهُ عنهُ، جامع المسانيد والمراسيل

وهذه بدايات المؤمنين وليست النهايات! لكن من أعانه الله عليها واجتازها فهذا دليلٌ على أنه من أهل العنايات، لكن الموحول فيها حتى لو حصَّل العلوم ورزقه الله جودة الفهم فى تحصيل العلم، وحصَّل علوم العارفين وحِكَم الصالحين إلا أنه كما قالوا فى ذلك: { كحمار الرحى يظنُّ أنه قطع مسافات وهو لم يبرح محلَّه } فهذا يظن أنه من الواصلين ومن العارفين وعندما يقال له: ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [ق] يجد أنه لم يتجاوز موضعه، لماذا؟ لأنه لم يتخلى عن أوصاف المنافقين وصفات الكاذبين التى نهى عنها ربِّ العالمين والتى حذر منها النبى المصطفى ﷺ المسلمين أجمعين.

ولذلك كان حتى أكابر الصحابة عندما يسمعون حديثاً من رسول الله ﷺ فى صفات المنافقين! يسارعون فى الحال ويقيسونها على أنفسهم مع علو قدرهم! لا يقولون ليس الكلام لنا! وإنما يبحثون فوراً فى باطنهم! ولا ينامون الليل خشية أن تخدعهم نفوسهم! ولذا ورد أن أبا بكر وعمر ﵄ لما سمعوا وصف المنافقين من رسول الله خرجوا من عنده وهم ثقيلون يجرُّون أقدامهم ترتعد أوصالهم لا تكاد تحملهم أقدامهم خوفاً من أن يكونوا كما وصف ﷺ؛ فرآهم على ﵁ فقال لهم :

{ مَالِي أَرَاكُمَا ثَقِيلَيْنِ؟ قَالا: حَدِيثًا سَمِعْنَاهُ مِنْ رَسُول اللهِ ﷺ:(مِنْ خِلالِ الْمُنَافِقِينَ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا ائْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ") فَقَالَ عَلِيٌّ: أَفَلا سَأَلْتُمَاهُ ؟ فَقَالا: هِبْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: لَكِنِّي سَأَسْأَلُهُ. فَدَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَهُمَا ثَقِيلانِ، ثُمَّ ذَكَرَ مَا قَالا: فَقَالَ: قَدْ حَدَّثْتُهُمَا، وَلَمْ أَضَعْهُ عَلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يَضَعُونَهُ، وَلَكِنَّ الْمُنَافِقَ إِذَا حَدَّثَ وَهُوَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ أَنَّهُ يَكْذِبُ، وَإِذَا وَعَدَ وَهُوَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ أَنَّهُ يُخْلِفُ، وَإِذَا ائْتُمِنَ وَهُوَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ أَنَّهُ يَخُونُ }[٦٩].

أى يقول ويعرف أنه كاذبٌ، أو يعدُ وهو يعرف أنه لن يفى، ولكنه يعد وفقط لفضِّ المجلس! أو يأخذ الأمانة ونيَّته فى الخيانة! فانظروا لشدة حرصهم على تطهّرهم من هذه الخصال الذميمة، وخوفهم من أن أحدهم لو قهره مانع فوق طاقته مع حرصه وترتيبه للوفاء أو الأداء فحيل بينه وبين ذلك! فحقَّ لصاحب الحقِّ أن يطلبه حقه فى ميعاده وصاحب الوعد مسؤول عن وفائه وما يترتب على خلفه! ولا نضغط على صاحب الحق ليتنازل وإن رغَّبناه فى الصبر إن أمكن! ولكن الشاهد أنه لا يكتب فى ديوان المنافقين لخُلْفِه لأنه لم يبيِّت النية إبداً على ذلك!

٦٩ خَرَّجَهُ الْبَزَّارُ عَنْ سَلْمَانَ، و(طب) عنه .

وقد يقول البعض أننى تحدثت كثيراً فى ذلك الموضوع، لكنى أجد كثيراً من إخوانى لا يعير هذا الأمر اهتمامه فى طور الجهاد، فيظن أن الجهاد فى العبادات والأذكار وقيام الليل، لكن أول الجهاد أن يراعى نفسه ويرعى جوارحه حتى يتطهَّر من كل أوصاف النفاق والمنافقين، فيأخذ خلعة الصادقين، ويكون موقعه: ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر] وهذه هى بداية السير والسلوك الصحيح إلى ربِّ العالمين ﷻ.

لكن طالما المرء فيه سِمة أو علامة أو آية أو صفة من أوصاف المنافقين لا يُسمح له بالجلوس أبداً فى مقاعد الصدق عند ربِّ العالمين ﷻ، فمهما بجَّلوه ومهما كرَّموه ... كل ذلك ليداروه، لكن الإنسان أبصر بنفسه وأعلم بمصلحته، فمن أراد أن يرتقى فى مدارج الكمال ويبلغ منازل أهل الوصال يتجمَّل بشمائل الرجال وأولها التطهَّر من هذه الخصال والخلال التى حذَّر النبى من الإقتراب منها فى جميع الأحوال وهى أوصاف المنافقين.

❁ ثانياً- الحرص على القيام بالفرائض

إذا تطهَّر السالك من أوصاف المنافقين فيكون جهاده بعد ذلك فى الحرص على الصلاة فى وقتها فى جماعة فى بيت الله ﷻ ولا يلتمس لنفسه عذراً، لأنه لو التمس لنفسه الأعذار فسينغمس من رأسه إلى قدميه فى الأوزار.

والمقصود بالأعذار: الأعذار التى ليست فى شريعة الله، فالمريض الذى لا يصلى فى المسجد هو من يمنعه الطبيب المؤمن المسلم، لكن آفة السالك أن يلتمس لنفسه الأعذار ويقبلها، وإذا نصحه أحد يتغير من جهته وربما يُعرض عنه وربما يخاصمه لأنه يريد أن يوجهه، ولذلك قال إمامنا أبوالعزائم ﷺ: { كن مع شيخك على نفسك ولا تكن مع نفسك على شيخك } فإياك أن تعاون النفس بأن تلتمس لها الأعذار وتقبلها، فيجب إذاً على السالك أن يحرص على الفرائض حرصاً كاملاً لقوله ﷺ لسيدنا عبد الله بن مسعود عندما سأله:

{ ما أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ؟ قال: الصَّلاَةُ لِوَقْتِهَا }[٧٠]، ألم يقل الله:

﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴾ [١٠٣النساء].

❁ ثالثاً- الحرص على أنفاسه وصحته الروحانيَّة

يحرص على أنفاسه، فلا يتنفس نفساً فى غفلة أو فى سهو أو فى لهو أو فى لعب أو فى بعد أو فى معصية أو فى صدود .... لا يتنفس نفَساً إلا إذا تأكد أنه فى كمال الرضا لله جلَّ فى علاه، من الذى يحرس الإنسان؟

٧٠ (حم هـ ق د ن) عن ابنِ مَسعُودٍ رضيَ اللَّهُ عنه.

الإنسان هو الذى يحرس أنفاسه، لأن أنفاسك نفائسك، وعمرك أنفاسك والمطلوب عظيم والعمر قصير، وإذا استخدمت أدوات التسويف بعدت بالكليَّة عن مناهج الصالحين، أما السالكون الصادقون فإنهم يسارعون فوراً إلى ما ورد فى القلب محاولين إرضاء ربِّ العالمين ﷻ... ولذلك فهم أبخل الناس على وقتهم.

فإذا رأيت سالكاً لا يهتم بوقته فاعلم أن ذلك من مقت واقعٍ عليه من ربِّه، كيف؟ تجده ولا مانع عنده من مشاهدة التلفاز والفضائيات ومتابعة المسلسلات والأفلام والكليبات! أليس هذا مقتٌ!..... ما لهذا ولسلوك طريق الصالحين! ربما يكون مُحبَّاً للصالحين وهذا حقٌ .. لكن الصالحين ليس عندهم وقت يقضونه فى هذا! إن وقتهم أغلى من كل شئ نفيس فى هذه الحياة الدنيا !!

ولذا فلا تعجب إذا قال أحدهم: { لو خيرت بين دخول الجنة وصلاة ركعتين لاخترت صلاة الركعتين على دخول الجنة، قيل: ولِمَ؟ قال: لأن فى صلاة الركعتين رضاء ربى وفى دخول الجنة رضاء نفسى ورضاء ربى مقدم على رضاء نفسى }، انظر كيف كانوا يقيسون الأمور؟!!

هل هناك وقت عند أحدهم للقيل والقال؟! إنهم حتى فى حديثهم فى كلام الواحد المتعال أو فى حديث الحبيب الأعظم أو سيرة الآل يقتصدون، فكيف يستبيحون وقتهم فى اللغو أو اللهو أو فى الباطل أو القيل والقال مع تحذيره ﷺ:

{ إنَّ اللهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلاَثاً: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ }[71]

فالسالك أحرص الناس على أنفاسه، لا ينفق نَفَساً إلا فى مرضاة الله ﷻ، وهو أحرص الخلق على صحته الروحانية، فيبخل بنفَس واحد يصرفه فى غفلة أو أمل فى الدنيا أو حظ نفسانى، فيعمل فى الدنيا لتكون وسيلة الآخرة، ويجالس الناس لينتفع منهم أو ينفعهم نفعاً يدوم أثره،[٨٨-٨٩الشعراء]:

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾

وقال الإمام أبو العزائم ﷺ:

القلب لو أنه يصفو لخلقه يشاهد الوجه فى فردوس
الجسم بالقلب يترقَّى إلى والجسم من غير قلب فى
نَفَسٌ بقلب سليم رفعة ورضا وألفُ عام بلا قلب كلحظات

٧١ صحيح مسلم عن المغيرة بن شعبة.

۞ رابعاً- محبَّة الله ورسوله ومن والاهم

يحرصون بعد ذلك على محبة الحبيب ﷺ وكل من يلوذ بالحبيب وآله وأصحابه والصالحين المقتدين بهديه والمحبين له والعاشقين له، ويحبونهم حبَّاً أعلى من حبِّهم لأولادهم وبناتهم لأنهم سمعوا قول الله ﷻ: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [٢٣الشورى] والقربى أى ذوى رحمه أو ذوى قرباه! أى المقربون من حضرته ﷺ، .... ذوى قرباه جسمانياً وصادقون فى حسن اتباعهم لحضرته، أو ذوى قرباه روحانياً ونورانياً وهؤلاء أعلى فى الرتبة والفضل، أو ذوى قرباه روحانياً وجسمانياً وهؤلاء أهل الكمال، ولذا قال ﷺ معلماً الأمة:

{أَدبُوا أَوْلاَدَكُمْ عَلَى ثَلاَثِ خِصَالٍ حُب نَبِيكُمْ وَحُب أَهْلِ بَيْتِهِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ}[٧٢]

٧٢ أَبُو نَصْرٍ عبد الكريم الشيرازي في فَوَائِدِهِ (فر) وابنُ النَّجَّارِ عن عَلِيّ رضيَ اللَّهُ عنهُ، جامع المسانيد والمراسيل

خامساً: التأليف بين الإخوان:

ويحرص السالك كذلك فى جهاده لنفسه على أن يمشى دائماً وأبداً بلسماً شافياً لجراح إخوانه، فيشفى الصدور من الأحقاد وينزع من النفوس الغلَّ، لا يرتاح إذا وجد أخين متخاصمين إلا إذا أصلح بينهما، لا يسكن فى ليله أو نهاره إذا وجد خلافاً بين أخين إلا إذا ألَّف بينهما .... لأن رسالة المحبين التأليف بين قلوب المحبين، واسمعوا لقوله تعالى فى كتابه الكريم :﴿ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَانًا ﴾

[١٠٣ آل عمران].

وظيفة من هذه؟ وظيفة رسول الله وورثته وأحبابه والماشين على نهجه، والوظيفة المخالفة وظيفة من؟ إبليس! فهو يسعى للتلبيس بين الإخوان وللإيقاع بينهم وإلى إيجاد الشحناء فى نفوسهم وإيجاد البغضاء فى صدورهم، فوظيفتنا يا إخوانى هى التأليف بين قلوب المؤمنين والحرص على المودة بين السالكين .!!

فهذه هى أعظم بضاعة نتقرب بها إلى الله وهى التى تحتاج إلى الجهاد الأعظم فى أطوار السالكين لأن النفس دائماً تحاول أن تُخرج المرء من طور السلوك بتزيين الغيبة والنميمة والإيقاع بين المؤمنين وتتبع عورات إخوانه الذاكرين والعلماء والمرشدين والمنشدين، فكل من رأيته يتتبع سقطات إخوانه فاعلم أنه ساقطٌ من عين الله ﷻ، وكلما تذكر له أخاً تجده يسارع فيذكر مساوءه وعيوبه، أفلا اتبع:

وســــتراً لعورات الأحبــة كلهم وعفواً عن الزلات فــالعفو أرفق

فمن أراد أن يستره الستور فليمشِ على هذا النور.

سادساً: الخروج من عوائده ومألوفاته مع المداراة

والسالك فى طريق الله تعالى يجب أن يخرج من عوائده ومألوفاته التى تدعو إليها الضرورة الإنسانية، من الأعمال التى ينوى بها رفع قدره بين الناس بنظره إليهم نظراً يحجبه عن الحق، وبالتزيين بالرياش والزخارف والحرص على شهىّ الطعام والشراب إلا ما دعت إليه الضرورة لحفظ الصحة أو إعادة العافية.

ويجب عليه ترك زيارة أهل الغفلة ممن شربوا خمرة الدنيا والحظ والهوى فأسكرتهم، وكذا الجدل والحديث فيما لا يعنيه ولا يفيده، وأن يترك مماراة الناس وموالاة غير الأتقياء، وفى ذلك كله يدارى الناس ما استطاع حتى لا يفتح على نفسه أو إخوانه أبواب شرور الخلق وعداواتهم وجدلهم وجدالهم وتنطعهم! فيضيع وقته وصحته الروحانية؛ فعليه أن يكون عاملاً بالحديث الشريف:

{ رَأسُ العَقْلِ بَعْدَ الإيمانِ بالله مُدارَاةُ النَّاسِ وأهْلُ المَعْرُوف في الدَّنْيا أهْلُ المَعْرُوفِ في الآخِرَةِ وأهْلُ المُنْكَرِ في الدُّنْيا أهْلُ المُنْكَرِ في الآخِرَةِ }[٧٣]

٧٣ (ابن أبي الدنيا في قضاءِ الحوائج) عن ابن المسيب مرسلاً، الفتح الكبير ومجمع المسانيد والمراسيل.

ويجب على المريد السالك أن يفرق بين مدارة الناس ومداهنتهم التى ذممناها لأنها تورد المهالك! فإن قيل افرق لنا بين المداراة المحمودة والمداهنة المذمومة؛ قلنا:

{ المداراة التي يثاب عليها العاقل، ويحمد بها عند الله ﷻ، وعند من عقل عن الله تعالى هو الذي يداري جميع الناس الذين لا بدَّ له منهم ومن عشـرتهم؛ لا يبالي ما نقص من دنـيـاه، ومـا أُوذى مـن عـرضـه بـعـد أن سـلـم لـه ديـنـه، أمـا المـداهنـة الممنوعـة: فهو الـذي لا يبـالي نقص أو ذهـاب دينـه وانتهـاك عرضـه مادامت قد سـلمت له دنياه! فهو مغرورٌ، وإذا نصـحه العاقل قائلاً له أنَّ فعله هذا مداهنةُ وتملُّقٌ يقدحـان فى دينـه! قـال: إنمـا أنـا أدارى النـاس! فيزلُّ ويسـمِّى المداهنـة المحرَّمـة بالمداراة وهذا غلطٌ فادحٌ، إنما المدارى العاقل هو من يعاشـر بالمعروف من لابدَّ من عشرته حتى يجعل الله له منه فرجاً ومخرجا }[٧٤]

۞ سابعاً- الحرص على سلامة ورعاية نفسه

السالك فى طريق الله تعالى أشد الناس رعاية لنفسه، وأسرعهم طلباً للشفاء ولا يطلب الشفاء على يد نفسه فيهلك! ولا على يد من لا يُحْسِن فيردي! ولذا فإنَّ رسول الله ﷺ قال منبِّها ومحذِّراً حتى لا يسلِّم أحدٌ نفسه إلا لخبير حاذق:

٧٤ الغرباء للأجري، من كلام أبو حفص عمر بن جعفر الطبري لبعض الحكماء، بتصرف.

{ مَنْ تَطَبَّبَ وَلاَ يُعْلَمُ مِنْهُ طِبٌّ فَهُوَ ضَامِنٌ }[٧٥]

فهو لا يطلب الشفاء إلا على يد الطبيب الخبير لا على يد نفسه؛ لأنه إن أضرَّها فهو ضامنٌ مسئولٌ أمام الله عن ذلك ؛ وهذا يوجب طلب طبيب النفس العالم برعوناتها وطرق تطبيبها وإصلاحها والذهاب إليه والتطبّب لديه، أما السالك الذى ينسى مصلحة نفسه ويصرف أنفاسه فيما لا يفيد، فقد جُرِد من معانيه ورجع إلى الحظ والهوى، فابدأ بنفسك أيها السالك وأدم رعايتها على يد الطبيب الخبير العالم بما يصلحها فإنها أعدى أعدائك وإن غفلت عنها أهلكتك، قال تعالى:

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾ [الشمس].

وهو يأخذ فى طريق سلوكه إلى الله تعالى بالعزيمة ما استطاع، فإن الرخصة عند مقتضاها تكون عزيمة كالتيمم وقصر صلاة المسافر، وغيرها، وهو وإخوانه فى رعايتهم لأنفسهم ولبعضهم البعض وحرصهم على أحدهم وكلهم هم أشبه الناس بالسلف الصالح، وأساس تعاملاتهم مع بعضهم هى قوله ﷺ:

---

٧٥ سنن أبى داوود عن عمرو بن شعيب.

{ الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، يَرُدُّ مُشِدُّهُمْ عَلَى مُضْعَفِهِمْ وَمُسْرِعُهُمْ عَلَى قَاعِدِهِمْ }[٧٦]

فمن رأى نفسه أولى من أخيه بفضيلة أو مزية أوبخصوصية وجب عليه التوبة وسد منفذ الغرور، والاعتذار لإخوانه قولاً وفعلاً فيرى نفسه أنه ليس أهلاً لمكانته، وينزل إلى خدمة الزاوية، أو يترك التكلم عليهم والتقدم والقيام بما خُصِّص له من افتتاح الذكر أوالدرس، أو المبايعة حتى يقيمه إخوانه برضاء منهم وصفاء.

❁ ثامناً- القيام بواجب الوقت مع حفظ المرتبة

السالك فى طريق الله بين قيام بفريضة مفترضة، أوحضور مع الله بالمراقبة، أو تحصيل علم ممن هو أعلى منه بالمصاحبة، أو عمل صالح يتقرَّب به إلى الله تعالى، أو عمل لتحصيل قوته الضرورى وقوت من أوجب الله عليه نفقتهم، أو غذاءاً وراحة لجسمه أو نفسه من أكل أو شرب أو نوم أو رياضة أو طبٍّ، وكلُّ عمل غير هذا فهو وبالٌ على السالك ويتلف وقته أو نفسه ويورده المهالك!

[٧٦] سنن أبى داوود عن عمرو بن شعيب.

وبعض السالكين لجهلهم أصول السلوك التى شرحنا أهمَّها، قد يكثرون الذكر بألسنتهم أو الصلاة والصوم والحج وقراءة القرآن بأبدانهم، ويظنون أنهم بلغوا درجة القرب، ويتساهلون فى وجه الكسب والقوت والمعاملات، فلا يدققون فيصير أغلب قوتهم من الشبهات! وليس هكذا السالكين والسالكات!! ثمَّ يغرُّهم بالله الغرور فيأكلون الحرام وربما قالوا لا يعلمون! ثمَّ يتأكدون ولا يبالون! ويستحلُّون صريح الحرام! وما حرَّم الله ورسوله من السحت والآثام!!!

وفوق ذلك كله! يظنُّون أنهم على خير للعبادات التى يقدِّمون! لا يتفكرون فيما تعدُّوا من حدود الشرع وما جهلوا من آداب السلوك ومخاوف السالكين وملاحظات المجاهدين، ولا يهتزُّ لهم جفنٌ كأنهم ضامنون على ربِّ العالمين!!

فأول واجب وقت عام لجميع أهل الإسلام ونؤكد هنا الكلام للمبتدئين والسالكين والأعلام! ومن رغبوا أن يكونوا للنيِّة الصالحة مُجْمِعين، وبجهاد النفس لتصفيَّة القلب عاملين! هو أمرٌ لا تصحُّ بدونه بداية! ولا تحْسُنُ مع فقده نهاية! هو الرزق الحلال! وإطعام النفس والآل من طريق مشروعٍ أباحه ذو الجلال.

فإن حفظوا من الوقوع فى الإثم العظيم العام الذى شرحناه من أكل الحرام مع العلم وعدم الإعتبار أو الإهتمام إتكالاً على العبادات البدنية والكلام! فربما وقع الكثيرون من محبى الصالحين ممن لم يدركوا واجبات الوقت والأيام فى إثم ترك السعى والعمل إعتماداً ظنيًّا على الرزَّاق والخيال والأمل!

وربما كانت أعمالهم التى يعملون ودعواهم التى يدَّعون!! يستندون فيها إلى بعض الأفراد الذين أشهدهم الله علىَّ جماله فغابوا عن أنفسهم وعن الكونين، وفَرُّوا إلى الله وتركوا العمل للدنيا، وهؤلاء ليسوا أئمة للمتقين ولا قدوة للسالكين لأنهم فى مقامات محبة الله مقامين!! عن أنفسهم مأخوذين!، ومتى أحبَّ الله العبد لا يضرُّه ذنب ..... خصوصاً وأن ما يُجريه الله على أيديهم لم يكن لحظ ولا لقصد ولا لكسب منهم !!!

فإذا تركوا العمل للدنيا أو هجروا الخلق أو اختفوا عن الناس فى خلواتهم أو تفضَّحوا ليسقطوا من قلوب الخلق، .... ولكن لأن ذلك كله لم يكن لحظ خفى فى نفوسهم بل لصولة الحق عليهم ولِما واجههم به سبحانه فصاروا عن أنفسهم مأخوذين وبيد الله مشدودين وله وبه مواجهين! رفع الله ذكرهم وأعلى شأنهم! فهم لأنفسهم لا لغيرهم! وأعمالهم هذه عملةٌ للصالحين قد اختفت وبادت! لا تسرى فى أيامنا هذه بعد أن سيطرت زماناًً وسادت! ولكنها لا تصلح للسلوك فى عصرنا ولا تناسب عصر العلم والتكنولوجيا التى قادت و أجادت!

فهؤلاء أفرادٌ! ولكن لا يؤتم بهم! ولا يُسَارُ على دربهم فى هذه الأحوال الخاصة بهم وليسوا قدوةً فى السلوك لغيرهم !!!!! فاحذروا يا أولى الألباب لواجب الوقت مع دقة الفهم! تحفظوا من البعد والمقت!

ومن أوجب الواجبات يا إخوانى على أهل السلوك أن يحفظوا مقامهم الذى أقامهم فيه مولاهم، فلا يتجاوزون مراتبهم أبداً ولا يتعدون الحدود، بتقليد أكابر الصوفية والجدود فى أحوال البسط والأنس أو الصدود!، أو بتقليد الشيخ بعد الوصول فى المجلس والمظهر والفعل ويتركون الأصول! ولو صدقوا النيَّة لقلدوهم فى تصفية القلوب بالعزم والجهاد والسلوك، وقهر النفس حتى صاروا ملوك!

وأعطيكم لذلك مثالاُ واضحاً ونموذجاً ساقه الله لنا بيّناً: ... لعلك تعلم أن الله تعالى أمر كليمه سيدنا موسى ﷺ بالسياحة إلى العبد الصالح الذى أتاه الله من لدنه علماً، ... ولكن إنتبه إلى دقائق الفهم واعتبر! مع أنَّ سيدنا موسى عليه السلام مأمورٌ من الله بصحبته وهو النبى القائم فى الأرض لله بشريعته! ومشترطٌ عليه من العبد عدم ابتداره إياه بالسؤال أو المراجعة وهذا شرط الصحبة والمتابعة!

إلا أنه لمَّا وجد مخالفة للشرع بينة! فقد أنكر علي سيدنا الخضر تصرفه مرة بعد الأخرى – وهو رسول الله المعصوم – أنكر عليه ذلك حفظاً لمقام الرسالة المنوطة به! والمقام من الله فى الأرض بحفظها ورعايتها!

فإذا كان كليم الله المعصوم والمأمور من الله تعالى بصحبة العبد العارف حفظ مقامه مع هذا العبد وأنكر عليه ما لم تستبن له حكمته، فأنت أيها السالك المسكين أحق بأن تحفظ مقامك فى السلوك!! فإن السالك إذا تعدى قدره وتشبَّه بأهل المحبة المقرَّبين تاه فى بيداء الهلاك وشطح شطح الضالين.

والطريق وعر!! وكيف ينجو من هو فى أول مرحلة؟! بينه وبين مقاصده مفازات وصحارى ومخاوف!! فسمع أخبار من وصلوا إلى مقصدهم وأحوالهم فجهل نفسه وجهل مرحلته التى هو فيها!! جهل المراحل الشاسعة وظن لجهله أنه فى مقام الوصل، ثم نسى ظنه وادعى أنه واصل!!.

تنبه أيها السالك وجاهد نفسك فى ترك المعاصي والمهالك! حتى تطهر وتضرَّع بترك بعض المباحات، حتى تتحصن بحصون الخوف من الوقوع فى المحرم والشبهات، وتأدَّب فى كل مرحلة بأدبها، فإن من ساء أدبه على الأعتاب يرد إلى الأبواب لأن نفسه بهيمية شهوانية تنقصها الآداب، حفظنا الله من سوء الأدب فى المراحل من التشبه بالمرشد الكامل فى أحواله الخاصة، ورزقنا التشبَّه به فى أعماله وأخلاقه التى تنجى السالكين والواصلين والمتمكنين..

ولذا يا أحبابى فبابنا القادم فى الكتاب؛ هو "التسليم للصالحين" لنعرف كيف نقف على آداب إتباعهم، وكيف نحظى بأسرار قربهم، وننعم بصالح إرشادهم ونكون لهم عوناً على أنفسنا حتى يطهروها بعون الله من لقسها، نسأل الله ﷻ أن يشرح صدورنا ،وأن ييسر أمورنا، وأن يهدينا سُبلنا ..، وأن يوفقنا إلى نيل قصودنا، وأن يبلغنا أقصى آمالنا ....، وأن يُحققنا برتبة الولاية فى معية حبيبنا.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ....

البابُ الثالث

التسليم للصالحين[٧٧]

- وقت الصالحين كلُّه لله
- كيف يتمُّ التسليم للصالحين؟
- فلتبدأ من جديد!
- إفهم ونفِّذ إشارة الشيخ
- إن الله يحبُّ العبد التقى الخفى
- العقـــل الموهوب

٧٧ الجمعية العامة للدعوة إلى الله بحدائق المعادى، الخميس ٢٠ رجب١٤٣١هـ، ١ يوليو ٢٠١٠م.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾

الباب الثالث
التسليم للصالحين

۞ وقت الصالحين كلُّه لله

التسليم للصالحين سرٌّ من أسرار الوصول لربِّ العالمين، فإن الصالحين لما إجتازوا القفار وجالدوا الأخطار بالليل والنهار، وصرعوا النفوس وداسوا على الملك والفلوس!، أعطاهم الله البصيرة الثاقبة، وكشف لهم عن أسرار البداية والعاقبة! وأقامهم رسوله ورَّاثا له وأمدهم بالأسرار الغالية! التى بفضلها يأخذون بأيدى السالكين لطريق ربِّ العالمين فى كل وقت وحين!!....

والصالحون كلُّ وقتهم لله! حتى وهم فى أخصِّ شئون الحياة، مع أهليهم أو إخوانهم أو ذويهم! لا يجودون بنفس واحدٍ من أنفاسهم إلا في رضاء ربهم! فليس لديهم وقتٌ يصرفوه فى المهاترات مع السالكين أو فى ترجيح الأقوال للمجادلين وهم بنور النبى مبصرين! وبإلهام الله ناطقين! ملائكة الله تعرف فضلهم! وبقاع الإرض تشتاق لمسهم! ومريدوهم يدَّعون حبهم! فإذا بجهاد أمروهم! فأكثرهم عن نفسه مجادلون! أو عن فعله مدافعون! ..فهذا ينفى قوله! وذاك لايعترف بعيبه، هذا يريد دواء معيَّناً .. وذاك يطلب ورداً محدَّداً .. وكلُّ غارقٌ فى وهمه ويدِّعى حبَّه!! فكيف بالله يسلكون!! أو إلى حضرة جنابه يصلون!!

كيف يسلك مريدٌ على يد شيخه! وقد اتخَّذ من نفسه له شيخاً مرشدا! ونصب نفسه عنها مدافعاً ولرغباتها ملبيَّاً ودافعا!! فمثل هذا وهم الأكثرون! لا يرجى برؤهم، ولا سبيل لهم ليتجنبوا فى الطريق حتفهم إلا سبيلاً واحداً !! ألا وهو التسليم الكامل للشيخ! ... فالسبيل الأوحد للسلوك المستقيم الذى به قطع القفار! وقهر الأخطار وإجتلاء الأنوار إنما بالتسليم للصالحين المقامين من ربِّ العالمين والمأذونين من سيد المرسلين.

كيف يتمُّ التسليم للصالحين؟

أولاً: أن يعتقد تمام الاعتقاد أنه ليس هناك أعلى من شيخه فى زمانه، لأنه لو رأى من هو أعلى منه فيجب عليه أن يذهب إليه، وكان سيدى أبو الحسن الشاذلى يقول: { من رأى أحداً خيراً منَّا فليذهب إليه } إذاً يجب أن تقتنع أن شيخك هو الأكمل والأفضل.

ثانياً: أن يرى الإنسان أنه معيب، ويفتش عن عيوب نفسه، لأنه لو لم يكن معيب فإنه يكون فى معية الحبيب، وسيرى كل الغيوب بلا ستار ولا رقيب، فإذا لم يصل لهذا الحال إذاً به عيب، لكن عيب أكثر المريدين أنه يظن فى نفسه الكمال! ولذلك أنا أكاد أسمى جلساتنا هذه بجلسات الترف الشهرى، لأن معظم الحاضرين يظنُّ أن الكلام ليس له بل لأهل البدايات، ويظن نفسه أنه تجاوز هذه المحاضرات وتلك الإرشادات!، فمثل هذا متى سيفيق ويسلك الطريق؟!!

كنت يا إخوانى أذهب لشيخى الشيخ محمد على سلامة ﷺ، وطوال طريقى إليه أردِّد قول الله: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [٦٤النساء] وأظل أفتِّش فى ذنوبى وأنقِّب فى عيوبى، وعندما أصل إليه أضعها أمامه! وأرجو الله أن يغفرها.

فلتبدأ من جديد!

فمَن الذى يفتِّش على عيوبك؟ أنت!، وكيف تظهر لك هذه العيوب[٧٨]؟ قس نفسك – لن أقول بأحوال الحبيب – ولكن بأحوال أصحاب الحبيب، ووازن بينك وبينهم !!، أو زن نفسك بأحوال الصالحين.

فالذى يريد من الناس أن يقدِّموه ويكبِّروه ولا يفعلون شيئاً إلا بإذنه!! ماذا معك؟!! أنت لم تصل لهذا الحال وأقمت نفسك!! وما دمت أقمت نفسك فقد خنت نفسك!! ولو خنت نفسك فقد أغلقت باب الاستعداد للاستمداد!!

٧٨ إقرأ التفصيل بالفصل الحادى عشر" فصل القول فى سرِّ القوم".

إذاً لابد أن أقيس نفسى بأحوال الصالحين، فعلى سبيل المثال أوردنا فى كتاب " الشيخ الكامل السيد أبوالحسن الشاذلى " باباً كبيراً عن المشاهد والمرائى التى رآها، فأزن نفسى بهذه المشاهد، وأرى إلى أى مرحلة وصلت من المراحل التى عبرها، ولذا ورد فى الأثر الصادق المعتبر والعبرة لمن يعتبر:

{ الخمولُ نِعْمَةٌ والكلُّ يأباها، والشهرةُ نِقْمَةٌ والكلُّ يتمنَّاها }.

لو نازعتك نفسك وقلت كيف سأبدأ من جديد وأنا حولى مريدون يعظموننى ويكبروننى؟!! وماذا سأقول لهم؟! فماذا نفعل لمثل هذا؟ والمصيبة الكبرى أن هذا عندما يحجم عن سماع نصحنا له أنه لابد من أن يبدأ من جديد! لأنه لم يبدأ البداية الحقيقية بعد! فمثله سيُعطِّل المريدين الذين معه، فيحاسب مرتين؛ مرةً لأنه أوقف نفسه بعدم تسليمه لنا! وثانيةً لأنه بإصراره على الخطأ أوقف من حوله!.

كذلك وضعنا أيضاً باباً لأقوال الشيخ أبى الحسن الشاذلى، ووضعنا فيه الكرامات والآيات التى تظهر لأهل مقام الصديقية العظمى، فتزن نفسك، كم عدد الكرامات أو الآيات التى فيك منها؟! وذكرنا عشرين كرامة للفرد الوارث، هذه الكرامات كلها من علوم المكاشفات، لا يوجد كتاب يتكلم فيها، ولكنها تريد من يصل إلى:

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۝١٨ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَـٰبٌ مَّرۡقُومٌ ۝٢٠ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝٢١ ﴾ [المطففين]

هل رأيت هذا الكتاب المرقوم؟ لا، إذاً لماذا تضحك على نفسك؟ فالعمر يجرى وأنت تضيِّع أنفاسك ولا تسمع لنصحنا!، وتُمَثِّل أحوال الصالحين إذا جلس أحد بجوارك!! أنت تُمَثِّل على نفسك!! لأن أول شئ فى طريق الله هو الصدق مع النفس!! فأين أنت من ذلك! ألم أقل أنك تحتاج لبداية جديدة صادقة وأكيدة!! وإلا فلن تبرح مكانك! حتى ولو ظننت أنك فوق السماء مقامك!!

وقد يقولون { الشكوى لصاحب البصيرة عيب } فالشيخ يعرف عيوبى! هو يعلم بعيوبك! لكنك لابد أن تكتب طلباً بيدك! لابد أن تكاشف شيخك بخبيئة نفسك، وخبيئة النفس ليست الأسرار العائلية، ولكنها العيوب التى يراها المريد فى نفسه وتحجبه عن مقامات الولاية وعن إكرامات الله للأصفياء والأتقياء، لابد أن يقدم الطلب بيديه! ويستشعر حاجته الملحَّة والصادقة لنصائح وتوجيهات شيخه!

إذا كانت هذه الحجب موجودة فيك وأنت تراها وتكتمها! وتريد أن تظهر للخلق بغيرها ونحن نرى ثيابك الحقيقية الرثَّة تحت الثياب الزائفة من الإنفعال والتَّصنّع وتمثُّل الحال، فماذا نفعل لك وأنت أوردت نفسك موارد الهلاك والوبال!

ياأخى ماذا تريد؟ هل يأتى لك الرجل الصالح ليشدك من يديك أويهزَّك من كتفيك! قائلاً فى أذنيك ثيابك زائفة وأفعالك حابطة! وأخلاقك هابطة! وعلاجاتك مضنية!! إذا فعل؛ فعندها ستجادل وتكابر! وربما نفرت وأخذت من اغترُّوا بك من حولك وأدبرت! وعليهم ترأَّست وتمشْيَخت!وعلينا درتَ وشنَّعت! فتكون قد ضعت وأضعت! فلا إظهارنا عيبك يفيدك! ولا نصحنا لك يعيدك!

فلابد أن تأتينا للعلاج بكامل رغبتك، وتتحمل ألم الجراحة بملء إرادتك! ففى مجالسنا هذه نعطيك المقاييس والموازين وعليك أن تزن وتقيس لتعرف حالتك بلا تدليس ولا تلبيس! فإذا عرفت وتيقنت حاجتك للرجل فلابد أن تسلِّم له كلِّيَّاً فالتسليم الكلِّى للصالحين معناه أن يسلِّم الإنسان "نفسه" للرجل! أى يرى "نفسه" بعاداته وأوصافه وأخلاقه لا تصلح للوصول، ولكن الوصول بالعبد الموصول، أى بصفات وأخلاق العبد الموصول .... كيف ذلك؟

ذلك بأن أزيل أوصافى وأضع فىَّ أوصافه، وأزيل أخلاقى وأضع أخلاقه، وإياك أن تبدأ بالتشبه بالظواهر أو المظاهر!، لكن كل الذى عليك أن تطهِّر القلب وتصفِّيه وتجليه وتجعل الطموحات العالية دائماً هى التى فيه، فإذا ظهر طموح فى دانٍ أو أمل فى فانٍ فتقتلعه من جذوره: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم ﴾ [٤٣ الأعراف] فإذا دخلت من باب التسليم بهذا الحال، تنتقل الأحوال من الرجل إلى الأبدال، ومن الأبدال إلى غيرهم من الرجال فى هذا الطريق الإلهى النورانى.

۞ إفهم ونفِّذ إشارة الشيخ

كذلك من التسليم إذا أشار الشيخ علىَّ برأى فلا يجب أن أصر على خلافه، أو أتقاعس عن أداءه، وهذ المشكلة منتشرة بين إخواننا، فإذا أمرته بشئ ثم سألته عنه بعد فترة يقول نسيت!! ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾ [مريم].

المريد الصادق يفهم إشارة المرشد قبل كلامه، فتنبلج فى صدره مرادات الشيخ، ومرادات الشيخ ليست لنفسه، بل يريد أن يرى إخوانه فى المحل الأعلى فى مواجهة الحبيب الأغلى، وبعد أن يدخلهم يقول لهم: ﴿ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ ﴾ [الإنسان]

لا يوجد جزاء فى الدنيا والآخرة يعادل هذا العمل، لكن الجزاء فى هذا المجال يكون من عند الله، وهذا لا يخطر على البال، ولا يحيط به الخيال، ولا تعلمه إلا قلوب الرجال الذين وصلوا بفضل الله إلى هذه الأحوال.

هل الإنسان يعمل بناءاً على رغبة صاحب العمل أم بناءاً على رغبته؟ لا يجوز أن يمشى على هواه وإلا سيفسد العمل! وهذا محكٌ أساسى، لأن كثير من إخواننا يمشى على حسب هواه، والدليل أنه لا يوجد من يعرض أحواله، والسبب أن كل واحد منهم يرى نفسه أنه سليمٌ ومستقيمٌ وكريمٌ وعظيمٌ وبلغ المنى!!.

ولذا يجب على الأخ أن يكون يقظاً لنزغات النفس والهوى، يقظاً للمطالب الدانية، وحتى العالية لإنها حجابٌ له عن حضرة الله كالمشيخة والكرامات وغيرها، فإذا أراد التسليم فيجب ألا يكون له تصرف فى نفسه، فمَن الذى يقدر على ذلك! يقول الإمام أبوالعزائم: {ربَّيْتُ فى زمانى كله رجلين ونصف!} من كَمُلَ تسليمهم.

فالتسليم صعبٌ ما دام العقل والفكر يقظ، لأنه يريد أن يزن كل شئ بفكره وعقله، لكن الميزان المطالب به فكرياً وعقلياً هو الشرع فقط، فما دامت التعليمات والأوامر والتوجيهات لا تخالف الشريعة فأنت ملزمٌ باتباعه، متى تقف؟ إذا وجهوك لشئ مخالف للشريعة، وهذا لن يحدث!!

ولكنك ترى أن هذه الأذكار أفضل لك، أو هذه الأحزاب أولى لك، وهذا البرنامج هو الأفضل لك .... إذاً أنت الذى تُفَصِّل لنفسك! لكن أنا لا أعرف أن أُفَصِّل لنفسى، فيجب أن أذهب إليهم مجرَّداً حتى يجملونى بملابس الرحمن، وأكون عرياناً من الأوهام التى بداخلى، ومن الأفكار التى تسيطر علىَّ، كحبِّ الكلام فى المجالس، نحن قومٌ نجلس فى المجلس ونقوم وكأننا لسنا فى المجلس.

وهذا باختصار شديد أساس التسليم، فالتسليم هو أن يُسَلِّم الإنسان ظاهراً وباطناً لشيخه ومرشده، لكن من يستشير ويرى فى نفسه رأى آخر ولا يصلح غيره، فإذا وجهته لغيره لا يعمل به، مثل هذا الذى يصر على رأيه ماذا سيأخذ؟!

وماذا ينال؟! رأْى الشيخ فيه حكمة لا يدركها الفكر، وببركة التسليم يُعلمها لك العلى الحكيم ﷻ، فالذى يمنع التسليم هو الفكر، فأحوال الصالحين والأولياء والمتقين تنتقل لمن صدقوا معهم وسلموا لهم فى كل وقت وحين، أما إذا كنت معهم ولم ترى هذه الأحوال، فذلك لأنك لم تُسَلِّم، وتمشى على حسب هواك، لكن الذين سلَّموا من الرجال والنساء وصلوا واتصلوا وأنت لا تعرفهم.

❁ إن الله يحبُّ العبد التقى الخفى

فهناك رجال ونساء فى الطريق ولا يعرفهم أحد بلغوا بحقٍ هذه الغايات!! لأن أهل الصفا عن أعين الخلق قد سُتروا، واسمعوا لهذا المثال: ذهب أحد الإخوان مع زوجته إلى جماعة من المبتدئين فأرادت أن تُدَّرس للنساء، فقلن لها: نحن لا تمرُّ علينا ليلة إلا ونرى فيها رسول الله أو الشيخ سلامة أو الشيخ فوزى، فسكتت! هؤلاء الرجال موجودون، ويتصلون بنا كلَّ ليلة! وهم مع حضرة النبى ﷺ، لم يظهر فيهم أحدٌ!، ولا شَيَّخ فيهم أحدٌ نفسه، ولا يريد أحدٌ منهم أن يعرفه أحد، وهؤلاء هم الرجال أصحاب الأحوال:

{ إِنَّ اللهِ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيَّ، الْخَفِيَّ }[٧٩]

٧٩ صحيح مسلم عن عامر بن سعد.

وإذا نزلنا إلى بلد جديدة من بلاد الله، نجد أن الناس المؤهلين قبل وصولنا يرون لوائح التأييد من ربِّ العالمين، فقس نفسك! إذاً أين نحن؟! نُطمئن أنفسنا ونقول: { إذا كمل يقين العبد حرم الرؤيا } ! العبد يحرم الرؤيا المنامية إذا أصبح فى الرؤيا العينية!، لكن إذا لم توجد لا هذه ولا تلك! فماذا ترى؟ أين البُشريات؟! و الإلهامات التى تكون فيها جميع الإذاعات على خط واحد فى أستوديو واحد وفيه فرد واحد ﷺ، يذيع فى كل الإذاعات، فأنماأنا آلة تذيع البرنامج الذى يرسلونه!!

سيدنا أويس القرنى ﷺ[80]كم عدد المجالس التى حضرها مع النبى ﷺ؟ لم يحضر معه أى مجلس! إذاً كيف أوصى حضرة النبى ﷺ سيدنا عمر وسيدنا علىّ أن يذهبا إليه ويطلبا منه أن يستغفر لهما؟!! وظلا يبحثان عنه فى كل عام فى الحج إلى أن التقياه، وطلبا منه أن يستغفر لهما، يستغفر للمبشَّرين بالجنة!، لكن سيدنا رسول الله ﷺ يعلِّمهم أقدار الرجال، فالموضوع ليس فى الرجال المحيطين، فالمحيطون معروفون ولهم الأجر الموفور من رب العالمين، لكن الذى يريد الفضل الكبير، والنور البهى من البشير فهذا يحتاج إلى التسليم حتى يتمَّ الوصول على الأصول وهى التى يقول الله فيها:

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [٢٨٢ البقرة].

---

٨٠ عن ابنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: «مَكَثَ عُمَرُ يَسْأَلُ عَنْ أُوَيْسٍ الْقَرَنِي عَشْرَ سنينَ فَذَكَرَ أَنَّهُ قَالَ: يَا أَهْلَ الْيَمَنِ مَنْ كَانَ مِنْ مُرادٍ فَلْيَقُمْ، فَقَامَ مَنْ كَانَ مِنْ مُرَادٍ وَقَعَدَ آخَرُونَ، فَقَالَ: أَفِيكُمْ أُوَيْسٌ؟ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لاَ نَعْرِفُ أُوَيْساً وَلكِنَّ ابْنَ أَخ لِي يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ هُوَ أَضْعَفُ وَأَمْهَنُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ مِثْلُكَ عَنْ مِثْله، قَالَ لَهُ: أَبِحَرمِنَا هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ، هُوَ بِالأَرَاكِ بِعَرَفَةَ يَرْعَىٰ إِبِلَ الْقَوْمِ، فَرَكِبَ عُمَرُ وَعَلِيٌّ ﷺ حِمَارَيْنِ ثُمَّ انْطَلَقَا حَتَّىٰ أَتَيَا الأَرَاكَ فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ يُصَلي، يَضْرِبُ بِبَصَرِهِ نَحْوَ مَسْجِدِهِ وَقَدْ دَخَلَ بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ، فَلَمَّا رَأَيَاهُ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: إِنْ يَكُ أَحَدٌ الَّذِي نَطْلُبُهُ فَهٰذَا هُوَ، فَلَمَّا سَمِعَ حِسَّهُمَا خَفَّفَ وَانْصَرَفَ، فَسَلَّمَا عَلَيْه فَرَدَّ عَلَيْهِمَا: وَعَلَيْكُمَا السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَقَالاَ لَهُ: مَا اسْمُكَ رَحِمَكَ اللّهُ؟ قَالَ: أَنَا رَاعِي هٰذِهِ الإِبِلِ، قَالاَ: أَخْبِرْنَا بِاسْمِكَ، قَالَ: أَنَا أَجِيرُ الْقَوْمِ، قَالاَ: مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: أَنَا عَبْدُ اللّهِ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: قَدْ عَلِمْنَا أَنَّ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ عَبْدَ اللّهِ، فَأُنْشِدُكَ بِرَبِّ هٰذِهِ الْكَعْبَةِ وَرَبِّ هٰذَا الْحَرَمِ مَا اسْمُكَ الَّذِي سَمَّتْكَ بِهِ أُمُّكَ؟ قَالَ: وَمَا تُرِيدَانِ مِنْ ذٰلِكَ ؟ أَنَا أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ، فَقَالاَ لَهُ: اكْشِفْ لَنَا عَنْ شِقِّكَ الأَيْسَرِ، فَكَشَفَ لَهُمَا، فَإِذَا لُمْعَةٌ بَيْضَاءُ قَدرَ الدِّرْهَمِ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ، فَابْتَدَرَا يُقَبِّلاَنِ الْمَوْضِعَ، ثُمَّ قَالاَ لَهُ: إِنَّ رَسُولَ اللّهِ أَمَرَنَا أَنْ نُقْرِئَكَ السَّلاَمَ وَأَنْ نَسْأَلَكَ أَنْ تَدْعُوَ لَنَا، فَقَالَ: إِنَّ دُعَائِي فِي شَرْقِ الأَرْضِ وَغَرْبِهَا لِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، فَقَالاَ: ادْعُ لَنَا، فَدَعَا لَهُمَا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أُعْطِيكَ شَيْئاً مِنْ رِزْقِي أَوْ مِنْ عَطَائِي تَسْتَعِينُ بِهِ فَقَالَ: ثَوْبَايَ جَدِيدَانِ، وَنَعْلاَيَ مَخْصُوفَتَانِ، وَمَعِي أَرْبَعَةُ دَرَاهِمَ، وَلِي فَضْلَةٌ عِنْدَ الْقَوْمِ، فَمَتَىٰ أُفْنِىٰ هٰذَا ؟ إِنَّهُ مَنْ أَمَّلَ جُمْعَةً أَمَّلَ شَهْراً، وَمَنْ أَمَّلَ شَهْراً أَمَّلَ سَنَةً، ثُمَّ رَدَّ عَلَى الْقَوْمِ إِبِلَهُمْ، ثُمَّ فَارَقَهُمْ فَلَمْ يُرَ بَعْدَ ذٰلِكَ» (كر)، جامع المسانيد والمراسيل، وكثير غيره.

❁ العقل الموهوب

الآداب الظاهرية مع الصالحين موجودة فى كتب القوم، لكن الآداب الباطنية لا تذاع ولا تشاع، ولكن يتلقاها أهلها فى صدورهم من الفرد الوارث، أو من رسول الله ﷺ، فالآداب العامة لابد منها ولكن لأهل البدايات.

لكن أهل العنايات آدابهم إما مواجهات، أو مكافحات، أو مشافهات، أو تلقى قلبى من الحضرة المحمدية، فإذا وصل المرء إلى مقام التلقِّى وأصبح يتلقى بقلبه ويتلقى بسرِّه – وهذه ليست أوهام أو خرافات - فستأتيه إمدادات معها يرى بعين قلبه أنوار العنايات، فإذا لم يرَ أنوار العنايات فهذه خيالات يخيلها له الخيال والفكر، فيجب أن يطردها عن نفسه وإلا سيعيش فيها أبداً!.لكنه إذا كان فى مقام التلقى فهو فى بداية الصراط المستقيم الموصل إلى حضرة الرءوف الرحيم ﷺ، يتلقى مناماً، أو يتلقى عن طريق ملك الإلهام، أو يتلقى عن طريق الهواتف الحقيَّة الموجودة فى الأكوان، أو يتلقى عن طريق ملائكة الرحمن، حيث يواجهوه ويُعرفوه ويُهذبوه، أو يتلقى مباشرة من النبى العدنان ﷺ.

هذه ياإخوانى عوالم روحانية نورانية، ربما لا يتقبل العقل ذلك الكلام!! لكنها أحوال الصالحين، ومتى كان العقل يعقل أحوال الصالحين؟!!.. فالعقل يعقل الأمور الدنيوية! ولا يستطيع حتى أن يعقل حالاته الظاهرة نفسها!، لكن أحوال الصالحين يعقلها عقلٌ آخر موهوب يتفضل عليك به المولى بعد الخلو من العيوب، ليتلقى الفتح من حضرة علام الغيوب ﷻ، وهذا العقل اسمه العقل النورانى، أو العقل الباطنى، أو العقل الوهبى أو الموهوب!

..وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا.

الباب الرابع

فقه الطهارة[٨١]

۞الطهـــارة ســــــرُّ القبول

۞ طهـــارة الجـــــوارح

۞ طهارة النفـــــس

۞ طهـــــارة القلب

۞ طهـــرة الروح

۞ تمام الطهارة

[٨١] كانت هذه المحاضرة بمقر الجمعية العامة للدعوة إلى الله بحدائق المعادى يوم الجمعة الموافق ٢٥ من شعبان١٤٣١هـــ ٦ من أغسطس ٢٠١٠م

من قصيدة لبهاء الدين الروَّاس

طـهِّـرِ الـقـلـبَ إنْ أَردْتَ هَـواهُـمْ

رُبَّ قـــولٍ تـــرُدُّهُ الأَفـــعَـــالُ

لا تــكــنْ فــي الـغَـرامِ رَبَّ لِســـــانٍ

دونَ قلــبٍ فللــــــــهَوى أهْوَالُ

الباب الرابع
فقهُ الطَّهارة

الطهارة سرُّ القبول

قال الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه فى حكمته العالية:

{ الجاهل يهتم بالإقبال والعالم يهتم بالقبول }

فالإنسان الجاهل يهتمُّ بإقبال الخلق، واستحسانهم لفعاله وإنصاتهم لأقواله، وتظاهرهم بالخشوع أمامه، وتزلُّفهم وتقرَّبهم إليه، يا أخى! الخلقُ حتَّى لو اجتمعوا عليك بأجمعهم فلن يبلغوا ضرَّك فيضروك!، ولن يستطيعوا نفعك فينفعوك، وإنما النافع الضَّار هو الواحد القهار ﷻ، .... ولذلك علامة العالم ... أن يهتم بالقبول من الله ﷻ، قبول الأعمال، قبول الأقوال والأذكار، قبول الأحوال التى يتقلَّب فيها فى هذه الحياة الدنيا على منهج وشرع الواحد المتعال.

علامات القبول تجدها فى البشريات التى تَرِدُ إلى العبد من الله ﷻ، إن كان فى المنامات، أو فى المكاشفات، أو فى علوم الإلهامات، أو فى توفيق الله له فى الحركات والسكنات، أو فى حفظ الله له من الكائدين والكائدات، أو فى تيسير كل أمر له فيه طاعة لله ورضا، وفيه إقبال على الله ﷻ ودوام .....

فهذه علامات القبول، وما أريد أن أركز عليه الآن فى هذه اللحظة فى كلمات موجزة هو:- كيف ينال الإنسان القبول؟ أو بما يتأهل الإنسان للقبول؟

وأعيرونى سمعكم يا إخوان! لكى يتأهل الإنسان للقبول لابد أن يدخل فى الطهارة التَّامة السابغة.

طهارة الجوارح، وطهارة النفس، وطهارة القلب، وطهرة الروح.

۞ طهارة الجوارح

فطهارة الجوارح من المعاصى والفتن، ما ظهر منها وما بطن:

اللسان يطهِّر من قول الخنا والكذب والزور والفجور، والبطن تطهر من أكل السحت والحرام والربا وشرب الخمر وكل مسكر وأكل مال اليتيم ظلماً، وكل ما نهى الله ﷻ من أنواع المطاعم والمشارب، وكذلك كل الأعضاء كما وضحنا سابقاً كلُّ عضو يطهر من المعاصى التى ترتكب به كما فى الشرع والدين.

وليست طهارة الأعضاء الظاهرة بالماء سواء بالوضوء أو الاغتسال كافية للقبول، فقد يطهِّر الإنسان فمه بالماء آلاف المرات! ولكنه لم يطهِّر لسانه من الكذب، هل يكون قد بلغ الطهارة؟

أساس الطهارة أن يطهِّر الفمَّ من الذنوب والآثام التى تُغضب الملك العلام، فطهارة الجوارح بحفظها من المعاصى والفتن ما ظهر منها وما بطن، وهذه هى أول طهارة يحرص عليها المرء، وهى التى يقول فيها الله:

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَـٰفِظُونَ ۝٥ ﴾ [المؤمنون]

وهى جمع فرج والفرج هنا ليس عضو التأنيث أو التذكير فقط، فالفرج لغة هو الفتحة! فهو إشارة إلى كلِّ الفتحات التى فى الإنسان والتى يتواصل بها مع العالم خارجه: العين والأذن والفم والأنف والبطن والفرج الحقيقى واليد والرجل.، فكلٌّ هذه فروج لابد أن يحفظها و يحصنها، كيف يا إخوانى ؟ يُدخل نفسه فى قول الله:

﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦ ﴾ [التحريم]

فيكون قد أحسن الاستعداد وتأهل للقبول ونيل الامداد من المنعم الجواد ﷻ.

❁ طهارة النفس

فإذا طَهَّر الجوارح من المعاصى الظاهرة، فيجب أن يطهِّر النفس بعد ذلك من المعانى الباطنة التى فيها إبعاد للإنسان عن مولاه وفيها له هلاك وخسران، فيطهر النفس من الغرور، ومن الكبر، ومن الزهو، ومن الخيلاء ومن الشح، ومن الطمع، ومن الجشع، ومن الأثرة، ومن الأنانية .... فكل هذه الأشياء آفات فى النفس تحجبها عن القبول من الله ﷻ، ويكفى فى ذلك قول الحبيب ﷺ:

{ لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ }[82]

لم يقل حتى ذرَّة، فمثقال يعنى بعض ذرَّة من كبر، والكِبر مرض نفسى، ولذلك عندما أثنى الله ﷻ على الملائكة قال فى شأنهم بعد ذكر عباداتهم: ﴿ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [٤٩النحل] فمن الجائز أن أعبد الله عبادة ليس لها مثيل!!، ولكنى أتكبَّرُ على خلق الله، وأظن أننى أكبر منهم بهذه العبادة! فبذلك أكون قد دخلت فى المكر الإبليسى حيث رفض السجود بسبب كِبره، وكان نتيجة لذلك:﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [١٨الأعراف]، ولذلك يقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

82 صحيح البخارى ومسلم عن عبدالله بن مسعود.

ألا من يكن فى قلبه بعض من الكبر والأحقاد ما هو
فهذه طهارةٌ معنويةٌ اسمها تزكية النفس، أو تطهير النفس أو إفلاح النفس:
﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ (٩الشمس)، زكَّاها من هذه الصفات التى تحرمها من القبول.

طهارة القلب

وبعد ذلك طهارة القلب من الحقد، والحسد، والغلِّ، والكره، وكلِّ هذه الصفات التى تجعل القلب محروماً من حلاوة وثمرة مناجاة الله !

فما دامت هذه الأغيار فى القلب لا تسمح بأن يتلذذ بطاعة الله، لا يجد فيه الإنسان حلاوة الطاعة مهما قدَّم فى هذه البضاعة، لا يتذوق الإنسان حلاوة المناجاة مهما تلا أو كرر من ذكر الله جلَّ فى علاه، ... لأن القلب فيه القاذورات التى تمنعه من هذه الأذواق العاليات!!

لابدَّ ياإخوانى أن يُجرى عملية فى المستشفى القرآنية بإشراف سيدنا محمد خير البريَّة، عملية يقول فيها الله فى كلماته القرآنية فى [٤٧الحجر]:

﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾

وقد أشار الله فى آياته الباهرة أن إخراج الغِلِّ يحتاج إلى شدة وعزيمة قوية من المرء فقال الله: ﴿ وَنَزَعْنَا ﴾ فالنزع يحتاج إلى شدة، لابد أن يكون الإنسان شديداً فى جهاده لنفسه حتى يستطيع أن ينزع الغلَّ من شخصه، والحقد وما شابه ذلك من نفسه، فالحسود لا يسود، والحسود يُعامل فى حضرة الله معاملة الكنودِ، لأنه لا يحبُّ الخير لإخوانه ويعترض على ما وهب الله لغيره، قال الرجل الحكيم[83]:

ألا قل لمن كان لى حاسداً ... أتدرى على من أسأت الأدب؟
أسأت على الله فى فعله ... لأنك لم ترضَ لى ما كتب
فجازاك عنى بأن زادنى ... وسدَّ عليك وجوه الطلب

إذاً لابد للإنسان أن يطهِّر قلبه من هذه الأوصاف إلى أن يأخذ ختم:

﴿ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٍ سَلِيمٍ ﴾ [٨٩الشعراء].

من يريد هذا الختم ياإخوانى؟ .. من يريد؟ أجيبونى!!

من يريده فليدفع ثمنه! ومن اشتراه من الله وأخذه فياسعده ويا هناه!!.قد أصبح صالحا لإشراقات نور الله!!، وتنزلات الحقائق العالية من أسرار كتاب الله!!، ومن العلوم الوهبية من سماء فضل الله!!، والأنوار الذاتية من حضرة رسول الله!!، لأنه أصبح ذو قلب سليم !!!!

٨٣ أبو الفرج المعافى بن زكريا المعروف بابن طرارا الجريري النهرواني؛ كان فقيهاً أديباً شاعراً، عالماً بكل فن، ولي القضاء ببغداد.

فمثل هذا صاحب القلب السليم! لوتنفَّس نفساً واحداً، فهذا النَفَس الواحد خيرٌ من أنفاس ونفائس آلاف الزهاد والعُبَّاد فى عبادة الله لسنين طوال عبدوها لله بقلوب لم تتطهَّر من هذه الخصال وهذا الوبال، ولذلك القلب السليم ونفس صاحبه أشار الإمام أبو العزائم رضي الله عنه فقال:

نَفَسٌ بقلب سليم رفعة ورضا وألف عام بلا قلب كلحظات

فالنفس الواحد منه يرفعه، والألف عام بلا قلب كلحظات من عمر صاحب القلب السليم!! فكم عمره عند الله إذاً بالحساب!!. النَفَس الواحد الذى يتنفَّسه صاحب هذا القلب تُفتح له أبواب السموات، وتُشرق عليه أنوار الجنَّات، ويكون به من أهل المعاينات والمشاهدات، لأنه نَفَسٌ من قلبٍ خالٍ ليس فيه إلا الله والرغبة فى رضا مولاه، فهو من الله وإلى الله! فلا يجد حجاباً يحجبه ولا حاجباً يقدر يمنعه لأنه منه وله وإليه وبه!! وهنا تقف لغة الكلمات وتتعطل الإشارات! ولايبقى إلا نور الذات فى الأرض والسماوات:﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ ﴾(١١٥البقرة)..

إذاً الأمر يا إخوانى تخلية وتحلية أو تطهير وتجميل... يجب ياإخوانى تطهير القلب من الأحقاد والأحساد والغِلِّ والكره ،

ثم يجمِّله بعد ذلك بالحبِّ لله ورسوله ولعامة المؤمنين والخلق، ويجمِّله بالزهد، ويجمِّله بالورع، ويجمِّله بالتواضع، ويجمِّله بالإخبات، ويجمِّله بالرغبة فى الله وبالقرب من حضرته ﷻ ومواجهة أنواره فى الدنيا ويوم لقياه جلَّ فى علاه، وقد أشار الله ﷻ إلى ذلك فى تجهيز حضرة الحبيب الأعظم لقاب قوسين أو أدنى، عندما أمر الملائكة أن يُضجعوه، ويشقوا صدره ويخرجوا قلبه ويغسلوه فى ماء زمزم، ويأخذوا منه حظَّ الشيطان، وجئ بطست مملوءاً بإيمان وحكمة ووضع فيه، فغسلوه ثم إلى صدره بلا عناءٍ أعادوه ...

فهكذا أجريت له ﷺ العملية الجراحيَّة بأيدى ملائكة علويَّة، والمتبصِّر فى القضيَّة؛ يعرف أنها أسرارٌ معنويَّة، فكيف أبصرها الصبية بعيون أرضيَّة؟ ولكن الله يسوق لنا الأمثلة الحقيَّة العلويَّة فى صور مرئيَّة!! ليعقلها أهل الحدود الحسِّيَّة!، ويسير على نورها كلُّ من أراد الفكاك من القيود السفليَّة ليكون من أهل تلك المراقى العليَّة والإتحافات القدسيَّة بأن يطهِّر قلبه تماماً للتنزلات الإلهية!! بإجراء العملية الجراحية!! ... على أيدى أطباء وحكماء التربية الربانيَّة!!

طهارة الروح

وبعد تطهير القلب تأتى طُهرة الروح... وطهرة الروح أى تطهيرها من عدم التعلُّق بالشهوت الباقيات .... أو المقامات والدرجات العاليات .... غير الله جلَّ فى علاه!!! .... وبيان ذلك يا إخوانى أنه قد يتبقى عند المرء بقيةٌ من رغبة، فقد يرغب أن يكون من الأئمة الأعلام، أو يكون من الأولياء العظام الذين لهم إتحافات وإكرام وأسرارّ من الملك العلام! أو يكون له شأن عظيم فى الإسلام!، أو يكون له فهم خاص فى كتاب الله للأنام، أو يكون له خصوصية عند حضرة الملك ذى الإنعام، أو أى مراد يكيفه العقل أو يسوقه الإلهام!!!!

فما دام العبد يريد فهو لايزال موجوداً! ولا يتم المراد إلا إذا فنيت مرادات العبد فى مرادات الحميد المجيد، وسَلَّم لخالقه ومولاه، وقال له لا أريد إلا ما تريد ياألله، فأنت وحدك تعلم ما فيه نفعى ونفع جميع العبيد، فتزهق جميع رغباته على الكليَّة ويولد من جديد! وعندها لا تكون له وجهةٌ ولا مطلبٌ إلا وجه الله الفعَّال لما يريد! لأن الذى تريد ولو كان مقاماً راقياً ربما يكون فيه فتنة لك، أو فيه مذلَّة! هب أنك أعطيت الكرامات، والتف حولك الخلق بالمئات، أليس ذلك ربما يُشوِّش عليك فى ذكر الله والطاعات! وفى القرب من الله فى الجلوات والخلوات..

فــالخلق فتنــة من أردتُ وشهودُ أهل البعد فى الأدوار

تمام الطهارة

فإذا طَهَّر الإنسان نفسه كما ذكرنا وأوضحنا وبيَّنَّا، ولا يستطيع أن يفعل ذلك أحدٌ إلا إذا طلب المعونة من الله فى كل أنفاسه على إتمام ذلك، فإن الإنسان لا يستطيع أن يعمل عملاً صغيراً أو كبيراً إلا إذا أعانه وقواه عليه مولاه، !! .. ولو تخلى الله ﷻ عنا بعنايته وولايته ومعونته طرفة عين أو أقل، .... هل يستطيع واحد منا أن يرفع طرفة عين!، أو يحرك إصبعاً!، أو يمشى بقدم!، أو يفعل شيئاً صغيراً أو كبيراً فى هذه الحياة؟!! كلا والله ....:

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصـــدَّقنا ولا صـــلّينا

فلا يستطيع الإنسان أن يعمل إلا إذا استمد القوة والعون من الله، ومن هنا فتمام الطهارة أن يتجرد من حوله وطوله وقوله وفعله، ولا يرى لنفسه شيئاً البتة، ويطلب من الله أن يعينه على تحقيق ذلك فيكون من الله بالله وإلى الله جل فى علاه، ولذلك قال سيدى أبو يزيد البسطامى رضي الله عنه:

{ غَلِطت في إبتدائى مع الله تعالى فى أربعة أشـــياء، توهمتُ أنِّى أحبُّه , وأرضـــى عنه وأذكره وأتوب إليه، فلما انتهيت علمت أن حبَّه لى سبق حبِّى له، وبحبِّه لى أحببته لقوله: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾، وعرفت أن رضاه عنى سبق رضاى عنه وبرضاه عنى رضيت عنه لقوله: ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾، وعرفت أن ذكره لى أكبر من ذكرى له لقوله: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَر ﴾، وعرفت أن توبته على ســبقت توبتى له ولولاها ماتبت لقوله ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ﴾}[٨٤]

فتمام الطهارة – وهى طهارة كُمُل العارفين – التطهَّر من الحول والطول والقوة، ونسبة ذلك كله إلى الله، وأن يقف الإنسان على باب مولاه شاعراً بعجزه واضطراره وفقره وفاقته وذله بين يدى مولاه، فإذا وقف بهذا الحال تفضل عليه الواحد المتعال فكساه من أوصافه، فأبدله بالذل عزاً من عنده:

﴿ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾[٦٥يونس]

ولكنه سبحانه خلعها علينا بجوده وعطفه وكرمه ومنَّته فقال:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [٨المنافقون]

٨٤ شعب الإيمان وحلية الأولياء وتفسير القرطبى والبحر المديد بتصرف.

فكسانا ثوب عز بعد خلع للرقاع، كما قال أصحاب حضرة النبى ﷺ، ورضى الله ﷻ عنهم أجمعين، وإذا وقف بفاقته وفقره أغناه الله بفضله وجوده وكرمه عن جميع خلقه، فلا يمدُّ يده إلى أحد، ويكون عاملاً ومتحققاً فى كل خلجاته وحركاته وسكناته وجميع أنفاسه لا أقول أوقاته! يحيا بقول الحبيب:

{ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ الله، وَإِذَا اسْتَعَنتَ فَاسْتَعِنْ بِالله، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله عَلَيْكَ جَفَّتِ الأَقْلاَمُ وَرُفِعَتِ الصُّحُفُ }[٨٥]

لأنه تحقق أن الكلَّ عدمٌ إن لم يعنه ويمده الله جلَّ فى علاه، فيلجأ إلى الغنى، ويقف على بابه وحده، فيغنيه الله بفضله عن جميع خلقه أجمعين، وهكذا الأمر.

فهذه هى أنواع الطهارة التى ينال الإنسان بها القبول.

أرجو أن تكون هذه العبارات واضحة ومفهومة، وأرجو لإخوانى أن يعيننا الله ﷻ أجمعين على التحقق بها، وأن نكون من أهلها.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

٨٥ رواه الإمام أحمد والترمذي عن ابن عباس.

الباب الخامس

العناية الإلهية[٨٦]

- ليست الكرامة هى العلامة!
- الاستقـــامــــــة
- تنزل الملائكــة
- التوفيـــق
- المكاشفة الربانيَّة
- اليقـــين
- الراسخون فى العلم
- قصـد الرجـــــال

[٨٦] كانت هذه المحاضرة بمسجد الغفران ببورسعيد يوم الأربعاء الموافق ٩ من شعبان١٤٣١هـ ٢١من يوليو ٢٠١٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾

(٣٠فصلت)

الباب الخامس
العناية الإلهية

❁ ليست الكرامة هى العلامة!

إخوانى وأحبابى بارك الله ﷻ فيكم أجمعين:

دائماً تنتاب النفوس هواجس تحاول أن تعرقل سيرها فى طريق ربِّ العالمين والتحاقها بمعية المليك القدوس، دائماً يتسائل المرء مع نفسه إن كان من المُخلصين، أو كان من الصديقين، أو كان من أئمة المقربين!!!

ما الدليل على أنى من هذا القبيل؟ .... ما الآيات التى أكرمنى الله ﷻ بها لتشهد أنى من أهل العنايات؟ .... ما النفحات التى تفضَّل علىَّ الله ﷻ بها لأطمئن قلباً وقالباً وأعلم أنى منظور بعين الله، ولى نصيب عظيم من فضل الله الذى ساقه لحبيب الله ومصطفاه؟

والذى يُشوش على محطات القلوب فى هذه الغيوب .... الكلام الذى يرنُّ فى الآذان وينشغل به السامعون فى كل وقت وآن، كأن الناس لا يعترفون إلا بالكرامات الحسيَّة الظاهرة!، فيجعلون المرء لا يثق بنفسه أنه من أهل القرب إلا إذا ظهرت له كرامات!!، أو إذا أيده الله ﷻ بآيات وخصوصيات، أو كان من أهل المكاشفات العاليات الذين يرون الغيوب واضحات وجليات.

مسألة الكرامة ليست هى الدليل الحقيقى على اصطفاء الله واجتباء الله ورعاية الله لأولياء الله ﷻ، لأن الكرامة التى نراها ونُبهر بها أعطاها الله ﷻ حتى لمن هم دون بنى الإنسان!!، فإذا كان ولىّ أكرمه الله ﷻ بالطير فى الهواء فإن الله ﷻ جعل كل الطيور بأجناسها تفعل ذلك، فهذه ليست خصوصية لأن الطيور تشاركه فى هذه الخصوصية، وإذا أعطى الله ﷻ لعبد القدرة للمشى على الماء فهذا ليس الدليل الأوحد على أنه ملحوظ بعين الرعاية من السماء لأن كل ساكنى الماء أعطاهم الله ذلك، فالأسماك والحيتان تفعل ذلك وأكثر من ذلك!، فهذه ليست خصوصية لهذا المرء، بل ربما تكون فى شأنه بليَّة والعياذ بالله ﷻ ... وقس على ذلك .. إذا كان المرء أكرمه الكريم ويقطع ما بين المشرق والمغرب فى لحظة .... فإن الله ﷻ أعطى إبليس هذه المقدرة وهو الملعون! والشياطين تفعل ذلك أيضاً، فإنهم يقطعون ما بين المشرق والمغرب فى لحظة وأقل.

ليس معنى ذلك أنَّ من أيَّده الله بهذه الخصوصيات غير ولىّ لله، لكن من أيده الله بالعنايات لا يلتفت لمثل هذه الكرامات، ولو أيده الله بها فى الدنيا فى كل الأوقات والآنات، لأنها تحدث له وتحدث لغيره من هذه الكائنات التى أشرنا إليها.

أما كشف الغيوب، كأن يتحدث الإنسان على سبيل المثال عن بعض الأحداث الكونية، أو يُكاشف ببعض الغيوب المنزلية، أو ببعض الظواهر النفسية، فحتى هذه الخصوصية تحدث لأهل الجهاد وإن كانوا غير مؤمنين بالله ﷻ!!

فأغلبكم يعلم أن الهنود بالرياضة المعروفة باليوجا يصلون إلى هذه الغيوب الكونيَّة، فيستطيعون أن يروا ما فى الضمائر، ويستطيعون أن يكتشفوا ما فى البيوت، ويستطيعون أن يروا ما لا تراه العيون من الشئ المصون أو المخزون، لكنهم لا يرون السر المكنون والنور المصون، ولا الكشف الإلهى الذى خصَّ به الله ﷻ أصفياءه وأولياءه لأنه يقول فيه فى سورة [الجن].:

﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ ﴾

هناك غيبٌ فى الأكوان، وهناك غيبٌ فى ملكوت حضرة الرحمن، وهناك غيبٌ فى قدس ذى الجلال والإكرام، وهذه الغيوب تحتاج إلى بعض المنح الإلهية، أو الخصوصية التى يتفضل الله ﷻ بها على من عنده تأييداً لذلك، وربما يكون إنسانٌ مؤهلٌ لذلك وهناك أعلى منه مقاماً لا يرى ولا يطلع على ذلك!! ولذلك قال الإمام الجنيد رضي الله عنه وأرضاه:

{ قد يمشى بعض الصالحين على الماء، وهناك أعلى منهم درجة ومقاماً يموت ولا يستطيع أن يروى ظمأه من قطرة ماء }

فهذه ليست دليل الخصوصية ولا الأفضلية، ولذا فسأبسط لكم بعض أدلة الخصوصية الحقيَّة من ربِّ البرية لكل نفس زكيَّة لتعلم أنها على الطريق السويَّة!

۞ الاستقــامة

إذاً ما الدليل الذى يعلم به الإنسان أن الله اجتباه وحباه ورقاه وأدناه؟

أول دليل أن يرزقه الله ﷻ الاستقامة!!!

- الاستقامة فى الأقوال.
- الاستقامة فى الأعمــال.
- الاستقامة فى الأحـــوال.
- والاستقامة فى كل الأوقات وكل الآنات ..... وقد قالوا فى ذلك: { الاستقامة خير من ألف كرامة }.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ ﴾ [٣٠فصلت]

هؤلاء هم المؤهلين للمنح الذاتيَّة، والنفحات الربانيَّة التى جهَّزها الله لأهل الخصوصيَّة، كأن يكرمهم الله ﷻ بالرؤيا الصادقة كما أكرم الله ﷻ حبيبه ومصطفاه عند اختلاءه بمولاه فى غار حراء، فكان لا يرى رؤيا إلا وجاءت كفلق الصبح!! ولكنهم لا يقفون مع هذه الرؤيا!!، ولا يميلون إلى الطاعات ويكثرون من العبادات رغبة فى الرؤيا، لأن الذى سيتعبد من أجل الرؤيا فإنه سيكون عبداً للرؤيا وليس عبداً لله!! لكن العبادة لله !!!

فإذا منَّ الله ﷻ ببعض المبشرات من الرؤيات الصالحات فبها ونعمت، وإذا لم يرَ الإنسان شيئاً فكفاه أن يرى فى نفسه أن الله أعانه وأقامه على الاستقامة، وحفظ عليه أحواله وأقواله وجعله يمشى كما يقول الله:

﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ﴾ [١٥٣الأنعام]

وصف حضرة النبى بأنه هو الصراط المستقيم، حتى نعرف أن الاستقامة أعلى مقام وأعلى تكريم من الكريم ﷻ على الدوام للصالحين فى كل زمان ومكان ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا ﴾ شهد الله ﷻ له بالاستقامة، ولذلك لم يقل (فاستمعوا له) بل قال: ﴿ فَٱتَّبِعُوه ﴾ على منهج الاستقامة، فهى المنهج العظيم الذى يؤهل لكرم الرءوف الرحيم، ولكرم الرب الكريم ﷻ.

❁ تنزل الملائكـــة

وقد يكرمه الله ﷻ بسر الاستقامة: ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [٣٠فصلت] وفى معنى

تنزل الملائكة قد يلتبس الأمر على البعض، فيريد من البداية أن يرى الملائكة عياناً على هيئتهم وعلى أحوالهم!! من الذى يستطيع أن يرى الملائكة عياناً من البداية؟!! لابد من التأهيل!! ولذا سأسوق لكم قصة ترويها كتب السيرة أنَّ العباس عم النبى ﷺ ذهب إلى حضرته يوماً ومعه ابنه عبد الله وكان ما زال صبياً ويروى سيدنا عبد الله بن عباس ويقول:

{ دخلت مع أبي على رســـول الله ﷺ فجعل أبي يكلمه وهو معرضٌ عنه مقبل على رجل فلما خرج قال: لي أبي أي بني ما رأيت ابن عمك كنت أكلمه فلا يجيبني! قلت: يا أبت أما رأيت الرجل الذي كان عنده يكلمه؟ قال: لا قال أكان عنده أحد؟ قال: نعم! فرجع فقال: يا رسول الله أكان عندك أحد؟ قال: ورأيته؟ قال أخبرني عبد الله بذلك! قال فأقبل علي رسول الله ﷺ فقال: أرأيته؟ قلت: نعم! قال: ذاك جبريل عليه السلام} وفى رواية زيادة: { أما إنك ستفقد بصرك!} [٨٧]، فكان كما قال وكفَّ بصره رضي الله عنه في آخر عمره.

---

٨٧ مسند الطيالسى عن عبدالله بن عباس رضي الله عنه

وعندها قال فى ذلك شعراً رائعاً إذ كان يعلم أن هذا سيحدث لإخبار النبى به، وقد صدق ﷺ فيما أخبر به، فقال[88]:

إن يأخذ اللـه من عيني نورهما ففي لساني وقلبي منهما نـــور

قلبي ذكيٌّ وعقلي غير ذي دخلٍ وفي فمي صارمٌ كالسـيف مأثور

إذاً هذا الموضوع يحتاج إلى تأهيل! هل وعينا القصة!

كيف يكون التأهيل؟ أنت معك ملَك الإلهام، جعله الله ﷻ على قلبك على الدوام، وهذا هو أهمُّ اتصال بينك وبين ملائكة الله، فيلهمك الصواب، ويسدِّدك إلى الحق، ويوجهك إلى الصدق .... وأنت لا تحتاج إلى أكثر من ذلك من الملائكة!! فمن أحبَّه مولاه جعل مَلَك الإلهام يتولَّى إلهامه، والْمَلَك يتلقَّى من الله، والعبد يتلقى من المَلَك، فكأنه يتلقَّى من الله عن طريق هذا المَلَك، ولا غرور ولا زور ولا زهو ولا رياء ولا سمعة لأنه لم يرَ الْمَلَك، وإنما الْمَلك يسدِّده ويلهمه وذلك حفظ الحفيظ لأهل هذا المقام الذين يريد أن يحفظهم الله على الدوام.

لكن الذى يرى المَلك جهاراً من الجائز أن نفسه التى لم تتخلص بعد من عيوبها وآفاتها تجعله كلما جلس مع قوم يريد أن يُدِل عليهم ويفتخر بينهم بما رآه، وقد يكون ذلك سرُّ بُعده، أو سرُّ حرمانه من المزيد من فضل ربه ﷻ، لكن المحفوظ هو الذى يتولى الله إلهامه عن طريق مَلك الإلهام ولا يراه!.

---

٨٨ الوافى بالوفيات، والجوهرة فى نسب الرسول.

وبعد التأهيل له ما لا يُعدُّ ولا يُحصى من القرب من ملائكة الله، ومن أهل عناية الله ورعاية الله الذين يتنزلون على أهل ولاية الله لتثبيتهم إن كانوا يريدون التثبيت....، أو لإلهامهم إن كانوا يحتاجون إلى إلهام، أو لحفظهم إن كانوا فى مقام يحتاجون فيه إلى حفظ الحفيظ، أو للدفاع عنهم إن كان هناك من يكيدهم !!

أما من كان فى أحضان مولاه! فياهناه! فمثله لا يحتاج إلى أى صنف من ملائكة الله لأنه مع من يقول للشئ كن فيكون! واسمعوا واعقلوا يا أولى الألباب!!

فالاستقامة أكبر دليل وأكبر كرامة، مع الأمن ومع الحفظ ومع السلامة من الملامة لمن يحبُّهم الله ﷻ ويتولاهم بولايته: ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ١٩٦ ﴾ [الأعراف] لا الملائكة! ولا جبريل! ولا ميكائيل!.. لكن هو بذاته الذى يتولى الصالحين!!.

التوفـــيق

ودليل آخر لأهل اليقين الذين يريد الله زيادة الرسوخ والتمكين لهم فى المقام الأمين وهو "التوفيــق"، أن يرزقهم الله ﷻ ويجعل حظهم بين أهل عنايته التوفيق، وذاك قليل حتى للكُمَّل من أهل الطريق، فإن أهل مقام التوفيق فى كل زمان ومكان قلَّ ونُدْرٌ، لأن الله ﷻ لم يذكر التوفيق إلا مرة واحدة فى القرآن الكريم وجاء ذكره على لسان نبى:

﴿ وَمَا تَوْفِيقِيَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [٨٨هود]

فالتوفيق بالله، فالعبد الذى فنى عن نفسه وأحياه به ربه، فدخل فى قول الله:

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ [١٢٢الأنعام]

فتولاه مولاه، فأصبح هو الذى يحرِّكه، وهو الذى يُسَكنه، وهو الذى ينطق على لسانه، وهو الذى يحرك أعضاءه ويده وبنانه، وهو الذى يتولاه فى كل شئونه، فيوفقه الله ﷻ فى كل الأمور.

فإذا نظر فى الحاضرين معه أو حدثهم ! اسمع ماذا يقول فيه الحبيب:

{ احذَرُوا فِرَاسَةَ الـمؤمِنِ فـإنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ الله وَيَنْطِقُ بِتَوْفِيقِ الله }[89]

فينطق بالكلام الذى يصادف ما فى القلوب.

ولذلك يقول بعض الحاضرين أو السامعين! كأن المتحدث عرف ما فى نفسى! أو ما كنت أريد!، ويظنُّ أنه مشغولٌ بالشئون فيرى نفسه وما فيها! مع أن هذا الرجل مشغولٌ بالله ولا ينشغل بسواه طرفة عين ولا أقل! وإنما تولاه الله بتوفيقه فينطق على لسانه يما يوجد فى قلوب المواجهين تأييداً له منه وولاية له منه، ورعاية له منه جلَّ فى علاه، ولذلك حتى لو حدثوه عن هذه الأشياء أنها كرامات لا يلتفت إليها، لأنه لا يرى الكرامة إلا فى القرب من حضرة القريب ﷻ.

فمقام التوفيق ياإخوانى الكريم :

ألا يُبت الإنسان أمراً إلا ويوفقه الموفق، ولا يُصدر أمراً إلا وفيه الصلاح والنجاح والفلاح، ولا يُستشار فيشير إلا ويشير بما فيه النفع فى الدنيا والسعادة يوم لقاء العلى الكبير، لأن الله تولاه بتوفيقه، والتوفيق هو أعلى التأييد من الحميد المجيد لمن اصطفاهم الله وهداهم فى هذه الحياة، ولذلك عندما ارتقى نفر من أصحاب رسول الله ﷺ إلى هذا المقام قال فيهم ﷺ:

---

٨٩ (ابن جرير) عن ثوبـان ، الفتح الكبير

{حُكَمَاء عُلَمَاءُ كادُوا مِنْ فِقْهِهِمْ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاء } [90]

المكاشفة الربانية

فإذا أراد الله ﷻ إكرام العبد الإكرام الذى ما بعده إكرام يبلغه أعلى مقام فى مقامات الكشف الربانى وهو كشف معانى القرآن الكريم!!!، وكشف معانى بيان الرءوف الرحيم ﷺ، وهذا ما يجب أن نفهمه جيداً وعلى التمام أيها الكرام!

فإنه كما قلت قد يستطيع أهل الهند باليوجا الوصول إلى بعض مقام المكاشفات، لكن لا يستطيعون أن يطلعوا على معانى القرآن ولا غيوب الفرقان، ولا على مقاصد النبى العدنان فى أحاديثه الحسان، وإنما الذى يصل إلى ذلك الذى يقول فيه الرحمن: ﴿ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [الكهف] وما العلم الذى يعلِّمه له الله؟

ليس العلم الذى سيحَدِّث به الخلق، وإنما العلم الذى سينتفع به فى سيره وسلوكه حتى ينال رضا الحق ﷻ، ... لو حدثت الناس، ماذا بعد حديث الناس؟! لا تكن كالشمعة تضئ لغيرها وهى تحترق!! لكن علم الإلهام الذى يمنُّ الله به على الأفراد الذين يريد أن يبلغهم مقام القرب والإكرام، يلهمه بالعمل الرافع وما يوصله إلى النور الساطع بالعلم الذى يكشف له عن أبواب الجفاء، ويبين له طرق الصفاء وأنوار الأصفياء، حتى يمشى على النهج القويم الذى يوصله إلى مراتب القرب من السيد الرءوف الرحيم.

---

٩٠ زاد المعاد فى هدى خير العباد لإبن القيم الجوزية

أقول هذا لأن بعض القوم يذهب إلى كتب علوم الصالحين ويذاكر فيها ويُحَدث السامعين حتى ينال إعجابهم!، لو نلت إعجاب الكون كله هل يقرِّبك هذا إلى حضرة القريب؟! لا، لكن العلم الذى يمن الله ﷻ به على أهل ولايته هو الذى يختصر لهم الطريق، وهو الذى يوصِّلهم إلى مقام التحقيق، وهو الذى يجعلهم يمشون دائماً كما يقول الله:

﴿ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ [١٢٢ الأنعام]

❁ اليقـــين

الذين لم يصلوا إلى مقامات المعاينة، أو المشاهدات فى الدنيا ربما للمشاغل التى كلَّفهم بها الله: { كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ }[٩١] ولو فُتح له هذا الباب – أى باب المكاشفات- ربما سيقصر فى المسئولية! وهذا يُنافى الحكمة الإلهية، أو ربما تكون قواه لا تستطيع التحمُّل فيظهر منه فى الدنيا ما لا يُحمد عقباه ..مثل حال المجاذيب، يترك الدنيا ويفر فى الصحارى!، أو يمشى حافياً!!، أو يمشى عرياناً!!، وهذا لا يليق بأهل الكمال!

لكنَّ الله وعدنا وبشرنا بأننا جميعاً لحظة مفارقة الدنيا سنكون كلنا أهل الإيمان فى غاية الكمال، ونحظى بكل منازل الوصال، ونعاين كل ما عاينه الرجال:

[٩١] صحيح مسلم عن ابن عمر.

﴿ فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ﴿٢٢﴾ ﴾[ق]

فلن يذهب أحد منَّا إلى الدار الآخرة إلا وهو فى هذه الجمالات الباهرة، ولابس لهذه الحلل الفاخرة، لكنَّ المشكلة: ﴿ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا ﴿١١﴾ ﴾ [الإسراء] لماذا نستعجل ما دام فضل الله - والله أعلم بعباده - جهَّزه لنا الله، وسلَّمه إلى حبيبه ومصطفاه؟! فنكون فى هذه الحالة مع رسول الله ﷺ وتحت وصايته ﷺ مثل الوصى على الأيتام ..، معه تركتهم وينفق عليهم كل ما يحتاجون إليه من العلوم ومن الحكم ومن البيانات الإلهية ومن الإلهامات القلبية

المهم ألا ينشغل أحدنا بهذه العطاءات إذ جاءته!! و لا يلتفت إليها أو يجعلها غايته، لأنه لو انشغل بهذه العطاءات فإنها ستكون له فتن وابتلاءات وبلاءات!! كالمسافر إذا إنشغل بالأماكن التى ينزل بها فى سفره وجلس يعاينها فسيفوته القطار ولا يصل!

فإذا بلغ الحُلُم وهو فى الدنيا، فإنها تحتاج إلى منَّة علية حتى يعطى لكل ذى حق حقه واحسبوا معي حتى تعرفوا المطلوب.. فلكل مقام مقال:

- حتى لا تشغله الدنيا عن الآخرة.
- ولا تشغله الآخرة عما هو مطلوب منه فى الدنيا.

- ولا تشغله عين الحس بما تشاهد وترى فى الأكوان عما تشاهده عين البصيرة من أنوار حضرة الرحمن.

وهذه خصوصية، والخصوصية لا تقتضى الأفضلية، فلا تظن أنها الأفضلية، لأنها خصوصية ومزية مثل كثير من المزايا التى خصَّ الله ﷻ بها بنى البشر فى الحياة الدنيوية، وفى الأرزاق الجسمانية، فيخص إنسان بسمع كذا، وآخر ببصر كذا، وآخر بذاكرة كذا ..... فهذه خصوصيات للجسم، كذلك هناك خصوصيات للروح، وليس معنى ذلك أنها الأفضلية ... وإلا كانت الأفضلية فى عالم العقول للكفار مثل آينشتاين وغيره الذين وهبهم الله العقول، فهذه خصوصية، والخصوصية لا تقتضى الأفضلية.

لكن كلنا والحمد لله عند الخروج من الأكوان يُكشف لنا كل ما شاهده أهل العيان، حتى نتحقق بكمال الإيمان، وهذا فضل الله علينا، وبالطبع فى هذا الوقت لا يكون عنده مباهاه ولا فخر ولا زهو ولا رياء .... لأنه موجود فى الحق والحقيقة: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الواقعة] سنكون جميعاً فى هذه الحالة إن شاء الله، فى الرَوح والريحان وجنة النعيم، فهذا فضل الله علينا، ومِنَّة الله إلينا، ببركة رسول الله ﷺ لأنه أدخلنا كلنا فى: ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ [٢٩الفتح].

الذى يأخذ هذه المنحة فى أثناء حياته من الجائز أن يفتتن بها، أو يغتر بها، أو يصرفها فى الدنيا ويُحاسب عليها هناك !!!! أهذا واضح يا إخوانى!!

أما الذى يدَّخرون له المنحة حتى ينتقل إلى هناك فياهناه، لأنه سيجد كل ما له عند الله تاماً ومضموناً ومأموناً عند الحى القيوم الذى لا تأخذه سِنة ولا نوم، وهذا هو الحال الذى ارتضاه سيدنا رسول الله لأصحابه الكرام المعاصرين له، والذين من بعده إلى يوم الدين.

هل سمع أحدكم أن أحد أصحاب رسول الله ظهر عليه حالة من حالات المجاذيب التى سمعنا عنها بعد ذلك فى العصور السالفة؟!! هل لبس أحدهم حديداً ومشى به؟!! هل مشى أحدهم حافياً أو عرياناً؟!! هل ترك أحدهم عمارة الدنيا ومشاغل الدنيا والجهاد فى سبيل الله وسكن فى جبل؟!!

لا يوجد .... لأن هؤلاء هم أهل الكمال، وكذلك والحمد لله ارتضى الله لنا ببركة الإمام أبو العزائم أن يُعيد الله لنا هذا الكمال:

ما قد مضى قد عاد نوراً مشرقاً   من خيرة الأبدال والأبطال
علمٌ وحالٌ حجةٌ نبويةٌ   كشفٌ وقربٌ ونيل وصال

هى نفس الحالة ترجع مرة أخرى فى هذا الزمان، نحن نُعيد:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ [٢٩الفتح]

أهل الكمال هم سباع فى النهار ... ، ورهبان فى ذكر إلههم فى الليل ...، يعمِّرون الدنيا كما أمر القرآن وعلى نهج النبى العدنان، ولا تفتنهم الدنيا بزخرفها وزهرتها عن طاعة الله فى نفَس ولا أقل....

ومع ذلك فى كل أنفاسهم مشغولون بالله!! إما ذاكر أو فاكر أو حاضر أو مراقب .... كل واحد له حال، والكل فى هذه الحيطة التى يقول فيها الله [الحديد].:

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾

الراسخون فى العلم

لذا أريد من إخواننا المذكورين فى قول الله:

﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ [٧آل عمران]

لأن معكم العلم الذى يرسخ الجبال!!

إذاً لا يهزَّكم أقوال المشعوذين أو الدجالين أو الذين يمشون على حسِّ الصالحين !!!، فلا تهتزَّ عندما تسمع أحدهم يقول إنى أرى كذا وكذا ... !! ربما الشيطان سوَّل له وأملى له!!

وسمعنا عن ذلك فى أحوال الصالحين: ..مثلاً .. الإمام الجنيد ﷺ غاب بعض تلاميذه عن المجلس لفترة طويلة، فسأل عنه وطلب من تلاميذه أن يسألوا عنه ويتفقدوا أمره، فسألوه عن سبب انقطاعه، فقال: أنا لا أحتاج إلى الشيخ لأنى فى كل ليلة تأتينى جماعة تأخذنى ويُدخلونى الجنة!! ومعظم من يمشون فى ركاب الصالحين مُلَبَّسٌ عليهم مثل هذه الأحوال، فقال لهم الجنيد ﷺ:قولوا له إذا أتوك وأخذوك إلى هذا الموضع فقل"لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم"، فعندما جاءوا وأخذوه وأقاموا له حلقة ذكر! قال: "لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم"، ففوجئ بالضرب يأتيه من كل جهة، فأُغمى عليه ولم يفق من إغماءته إلا مع لسعة الشمس فى الصباح!!، فنظر حوله فوجد أنه موجودٌ فى مزبلة بغداد!!

فعرف أنهم جماعة من الجن وقد لبَّسوا عليه حتى يقصوه عن طريق الله ﷻ.

أحد أبناء أبو العزائم الصادقين وكان يسمع من حوله يذكرون الأحوال، فذهب للإمام أبى العزائم ﷺ وقال له: أنا أسمع إخوانى يقولون كذا وكذا، وأنا لا أرى أى شيىء! فأين أنا ياسيدى مما يقولون!؟ فقال له: انتظر!

ثم جاء وقت قراءة الصلوات على رسول الله ﷺ، فقرأوا الصلوات، وبعد الصلوات أقاموا حلقة الذكر، وأثناء الذكر وضع الإمام أبو العزائم يده على صدر الرجل فرأى الرجلُ قلبه يطوف بالعرش، ثم رفع الإمام أبو العزائم يده فرأى نفسه مع الناس فى الذكر!، وكلما يضع الإمام يده يرى الرجل قلبه يطوف بالعرش، وكلما يرفع يده يرى نفسه وسط الناس!! .. وبعد انتهاء الذكر قال له الإمام أبو العزائم ﷺ: هل يكفيك هذا؟قال: يكفينى يا سيدى، لماذا؟ لأن أهل الطريق الصادقين مُحصنين ومحفوظين بحفظ سيد الأولين والآخرين ﷺ.

قصد الرجال

فالله تعالى رحيمٌ بعباده! ... ويخصُّ المقبلين عليه بالمزيد من رحمته ورعايته وحفظه وهو لا يضنُّ بما عنده! ولكنه يضنُّ ويغير على قلوبهم المنشغلة به سبحانه أن تلتفت لسواه!! فلربما لو أعطاهم منحه! ودخلوا فى هذه الحالات والأحوال ففيها المتاهات وتدق فيها أعناق الرجال!! فمنهم من يزلُّ، ومنهم من يضلُّ، ومنهم من يخلُّ، ومنهم من يدلُّ على من حوله! كما نرى أصنافاً وأشكالاً من حولنا فى كل واد!! .... لكن ياإخوانى هؤلاء المحفوظين ببركة سيد النبيين هم أهل قول الله تعالى فى محكم الكتاب [٤٩العنكبوت]:

﴿ بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ ﴾

يعطونكم حقائق فى الصدور تكشف لكم الظلمات وتوضح لكم النور! حنى تعرفون صحة القصد ونور الإخلاص، ولا تتحولوا عن ذلك طرفة عين ولا أقل، وتعرفون أن الكلام المهووس به الناس ما هو إلا شواغلٌ كونيةٌ ،وفتنٌ دنيويةٌ! لكن أنت رزقك الله الاستقامة، فماذا تريد بعد ذلك؟!

ورزقك الله التوفيق، فماذا تريد بعد ذلك؟! يلهمك الله ويسدِّدك، وتمشى ومعك قول الله تعالى الذى يبشرك به مولاك و لا ينساك و لا يحوجك إلى طلب العون من الإنس أو الملاك! إذ يتولى هو تأييدك وتخدمك الأفلاك و الأملاك:

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [٢٧إبراهيم]

يثبتك الله فى كلِّ طريق ...، وفى كلِّ أمر ..، وفى كلِّ شدة ...، وفى كلِّ ملحمة! وفى كلِّ مقحمة! وفى كلِّ مذلَّة ..، فماذا تريد بعد ذلك؟!

تريد أن يكشفوا لك القناع عن قلبك وترى الحقائق!!، لو رأيت الحقائق ماذا تعمل بها؟!! هل ستنشغل بها أم ستنشغل بالله؟!! هو يريد منك ألا تطلب ولا تقصد ولا تريد إلا الحميد المجيد، كيف تكون طالباً لله، ونفسك تشاهد عوالم الله؟! كيف تريد الله، وتريد أن تكاشف حتى بملكوت الله أو ملائكة الله أو جنة الله؟!! ماذا تريد؟! بل تريد مثلما قال الله لحضرة النبى ﷺ:

﴿ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [الأنعام]

اجعل قصدك الله، واترك الآخرين مشغولين بالسفاسف والمتاهات!

فالذين يذهبون لقصر الملك! منهم من ينشغل بالطعام!، ومنهم من ينشغل بالشراب!، ومنهم من ينشغل بالمناظر!، ومنهم من ينشغل بالمصالح!، ومنهم من يكون كلُّ شغله بالملك!، هل هذا مثل ذاك... أو ذاك؟!!

أهـل العزائم شُـــغلهم بوليهم تركوا الجنــان بــل أعلى مقــام

لا يريدون إلا وجه الله ﷻ، حتى أن الإمام أبو العزائم عندما وضح لنا المسيرة قال: عرضوا علىَّ كل شئ حتى رتبة كن فيكون لم أرضى بها:

كن جزتها كان المراد لرتبتى والعين مقصودى وياء إمامى

ماذا أفعل برتبة كن فيكون؟ هل سأعمل مع الربِّ فى التدبير! حاشا لله!، فأنتم طلاب الوجه، وأنتم يا طلاب ذات الله ويا طلاب وجه الله، ويامن لا ترجون من الأكوان سواه ... يامن قال فيهم أبو العزائم:

وجنــة الخلــد لو ظهرت بطلعتهــا لفــارقــت حســـنهــا بــالزهــد همتهم

نحن نريد صاحب الجنَّـة وليس نعيم الجنِّـة!ونريد صاحب المنِّـة الحنّـان المنّان ولا نريد المنّة ونعيم جنَّـة رضوان!!، فكل ذلك تربية وترقية حنى نصل إلى المقامات العلية التى ذكرها الله فى كتابه وأعدها لأحبابه ... من؟

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ [٢٩الفتح]

ماذا يريد هؤلاء .... اقرأوا قول الله (٢٨ الكهف)؟

﴿ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ ﴾

من السهل أن يفتحوا لكم هذه الأبواب!!

إن كان الكشف الكونى!!، أو الكشف الملكوتى !!، أو أنواع النفحات والعطاءات التى ليس لها عدَّ ولا حدَّ، لكنها ستكون شُغلاً وإشغالاً ، هل تريدونها بعد ما سمعتم؟ ... وكل شئ يشغل عن الله فهو حجاب عن حضرة الله جلَّ فى علاه، والسالكون الصادقون والأئمة المحققون كل خوفهم أن يُحجبوا عن الله ﷻ طرفة عين أو أقل، حتى ولو بالجنَّة، أو بالمنة، واسمعوا لقول الإمام إبى العزائم ﷺ:

أنا لا أخاف وحقه من ناره كلا ولا أبغى الجنان لطيبها
فالقرب منه جنتى والبعد عنه ناره ولهيبها

ولذلك ياإخوانى فأنا أذكركم بالصحابة الكرام الذى كانوا فى أعلى مقام، كانوا إذا سألهم ﷺ لأمر فيه شهرة أنزوو جميعاً وأحجموا لأنهم يرون التقصير فى أنفسهم والأهلية للتكريم فى إخوانهم! وكلُّ من كان أهلاً لهذا المقام فهو يريد أن يكون تقيَّاً خفيَّاً أو شعرة فى صدر مؤمن!

وهذا مثل: لما أمر الله النبى أن يقرأ على الجنِ القرآن ويدعوهم للإيمان، سأل صحابته من يأتى معى! وهل النبى فى حاجة لمن يؤيده بعد الله! أو يعينه على الجنِّ؟ حاشا لله! ولكن لابد لمن يروى للأمة! وكلهم لا يخافون فى الله ولا يتقاعسون عن نصرة رسوله! ولكن الأمر ليس نصرة! لأن ظاهره شهرة وذكرى! فأطرقوا رؤوسهم جميعاً وفيهم عمر وأبوبكر وعلى! ولابد أن يتقدم واحد ليروى للأمة فرفع ابن مسعود رأسه فقط ولم ينطق! فأخذه ﷺ وحفظه الله! ولما عاد روى ماكان مع الجان! فكانت شهرة على مرِّ الزمان!

ولكنك يا أخى ترى من هؤلاء القوم تدافعا وتسارعاً وتنافساً إذا دعوا لإيواء الضيفان! أو الخروج للحرب والطعان! أو التبرع بالمال والأطيان! وتتسابق نساؤهم وغلمانهم وصبيانهم قبل شبابهم ورجالهم للنزول فى كل ميدان! ولكن كان نبراسهم دائماً حديث المصطفى العدنان ﷺ الذى يرطب القلوب بنعيم القرب ونسيم الحب ويقول لكل مقبل على الله ولا يرجو سوى وجه مولاه أن افرحوا واسعدوا فإنما أنتم أحبُّ أحباب الله يامن لا تطلبون شيئاً إلا وجه الله:

{ أحبُّ العباد إلى الله تعالى الأتقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وإذا شهدوا لم يعرفوا،أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلمِ }[92]

٩٢ (حل) عن معاذ (الحلية عن معاذ رقم (١٥/١). ص)، كنز العمال

هكذا كانوا أيها الإخوان! وهكذا نريدكم جميعاً فى هذا الميدان! فكلُّ الموضوع أن مدرستكم مدرسة عالية، وأسرارها غالية، وتحتاج من طلابها همماً راقية، لا يطلبون الدنيا الفانية، ولا الآخرة الباقية! وإنما لا يطلبون من الله إلا الله، ولا يرجون من الله إلا وجه الله ....فإذا اخترت هذه المدرسة فلابد أن تُرَتِب أمورك، وتُجَهز قلبك وقالبك لهذه الأحوال، وهى أحوال الرجال، وهذا هو فضل الله علينا، أن منَّ الله علينا وجعلنا من هؤلاء الرجال الذين يتجملون بهذا الجمال الذى فوق العقل والخيال، وصلى الله على سيدنا محمد وسلم وعلى صحبه والآلخ

الباب السادس

صيام العارفين وإكراماتهم[93]

رمضان طوال العام يا كرام!

أبواب النيران فى الإنسان

أبواب الجنان فى بنى الإنسان

إكرامات الصالحين

- **إكرامات العين...... إكرامات السمع**
- **إكرامات اللسان ..... إكرامات اليد**
- **إكرامات القدم ..... إكرامات البطن**
- **إكرامات الفرج ..... إكرامات القلب**

---

[93] الجمعية العامة للدعوة إلى الله بحدائق المعادى يوم الخميس الموافق ٢٤ من شعبان١٤٣١هـ ٥من أغسطس ٢٠١٠م

زغ ﷺقه قيغغ غ!

{ إنَّ اللَّه ﷻ قالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَنِي بالحربِ، وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عليهِ، وما زالَ يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنوافلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذَا أَحْبَبْتُهُ كنتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، ويَدَهُ الَّتي يبطُشُ بِهَا، ورِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي عَلَيْهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي عَبْدِي أَعْطَيْتُهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لأُعِيْذَنَّهُ }

رواه البخاريُّ في الصحيح عن محمد بن عثمانَ بنِ كَرَامَةَ، السنن الكبرى للبيهقي

الباب السادس

صيام العارفين واكراماتهم

إخوانى وأحبابى بارك الله ﷻ فيكم أجمعين:

بعد أن تناولنا فى الأبواب السابقة ما منَّ الله علينا ببيانه وأفاض علينا حبيبه ﷺ من إلهاماته فى بيان أصول مناهج الواصلين فى طريق رِبِّ العالمين، فقد تحدثنا بعون الله عن النيَّة وأسرارها كبداية لازمة لكل سالك، ثم أتبعناها بتصفية القلوب وأنوارها وسبيل تحصيلها، وبعدها تناولنا التسليم للصالحين لأنه الأساس المتين لسلوك طريق السابقين الفالحين، وعندها وجب معرفة أنواع الطهارة فعرفناها وفصلناها؛ ولديها اشتاقت النفوس لنيل تلك المنازل !! ودخول تلك المحافل!

ولأننا دخلنا المحافل وخبرنا كل عال فيها وحافل، ورأينا المنازل والمخاطر! خفنا على كل داخل غير حافل من انتكاس القصود بالكؤوس والعطايا والجواهر!! فأسعفنا ﷺ بعنايته وأضحنا فى الباب السابق أن العناية الربانية تقتضى حجب تلك العطايا التى تاقت إليها الأحداق وأشرأبت لها الأعناق! حتى لا ينشغل بها الطلاب فتغلق من دونهم الأبواب! إذ بدَّلوا النوايا على الأعتاب! ولا ينفع ندمٌ ولا عتاب! ولذا لزم الحديث عن شدِّ السالك بلجام المجاهدات طوال الأوقات ليس بحبسه عن حسِّى الشهوات لأنه فرضاً جاز تلك البدايات! ولكن بالصيام عن الرغبات فيما سوى عليِّ حضرة الذات، وهذا ما نتناوله فى هذا الباب يا إخوانى الأحباب.

رمضان طوال العام يا كرام!

فإن شهر رمضان يأتى مرة كل عام وفيه من التحف الظاهرة ما يعجز عن عدِّها ووصفها جميع الأنام، فكيف بالتحف الباطنة وهدايا الملك العلام! كيف بالعطايا الملكية التى فوق حدود الخيال والأفهام لذوى الألباب وكل واصل همام!

فإن كان ذلك فى الصيام من القرب والاكرام! فهل العارفون رمضانهم هو شهر رمضان عند جميع الأنام! أم هم فى صيام وقيام على مر الإيام! وعلى الدوام فكل أنفاسهم صيام !!! وكل لياليهم ليلة القدر على التمام!، ولذا كان رسول الله ﷺ يقول مُلمعاً لثلة مباركة من أصحابه وأتباعه إلى يوم الدين:

{ لو عَلِمت أمَّتي ما في رمضان، لتمنَّتْ أن تكونَ السَّنة كلها رمضان }[94]

ولفظ الحديث الشريف يدل على أن هناك قوم وإن كانوا قلة علموا حقيقة ذلك، وصار رمضان بالنسبة لهم هو العام كله، وهم المعنيون بقول الله: ﴿ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ﴾ [٣٥الأحزاب] لأن صيامهم صيام الجوارح لله ﷻ فى كل الأوقات والآنات.

---

٩٤ الترغيب والترهيب

هل يستطيع أحدٌ منا أن يصوم العام كله؟ وكيف يكون ذلك؟ يستطيع الإنسان منا أن يرقى إلى ذلك إذا نظر بعين البصيرة إلى ألفاظ الحديث الشريف المنيرة الذى يقول فيه ﷺ:

{ إِذَا جَاءَ رَمَضَانَ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ }[٩٥] وفى رواية للإمام الترمذى ﷺ: { وَنَادَىٰ مُنَادٍ: يَا طَالِبَ الْخَيْرِ هَلُمَّ، وَيَا طَالِبَ الشَّر أَقْصِرْ حَتَّى يَنْسَلِخَ الشَّهْرُ } .

هل الجنان لا تُفتح إلا فى شهر رمضان؟! وهل النيران لا تُغَلق أبوابها إلا فى شهر رمضان؟! وهل الشياطين لا تُصَفد إلا فى شهر رمضان؟! هذا هو المعنى العام الذى يستشفه جميع الأنام من حديث المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، لكن فى الحديث معانى تَرِد على القلوب بعد صفائها من المبانى، وتَلَّقيها مباشرة من القرآن والسبع المثانى، وها أنا أطوف بكم فى بحارها وبالله بلوغ الأمانى!

٩٥ صحيح مسلم والإمام أحمد عن أبى هريرة.

أبواب النيران فى الإنسان

ياإخوانى ...إن الجنان لها أبواب مفتوحة فى هيكل الإنسان، والنيران لها أبواب مفتوحة فى كل إنسان، والشياطين يقول فيها النبى العدنان:

{إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش}[96]

فجهنم يقول عنها الله:

﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الحجر]

الباب الأول يدخل منه من وقع فى زلل أو شطط أو خلل ولم يتب منه عن طريق العين، فالعين هى الباب الأول فى الإنسان الذى يصدر منه أعمال يستوجب بها النيران يوم لقاء حضرة الرحمن إن لم يوفقه الله إلى التوبة النصوح قبل خروج نَفَسه من هذه الحياة الدنيا، وذلك إذا استعملها فى النظر إلى العورات، والمحرمات، وفى التحسس والتجسس على المؤمنين والمؤمنات، أو فى الإطلاع على المنكرات!

[96] رواه البخارى ومسلم والإمام أحمد عن أنس.

إذا كانت العين بهذه الشاكلة كانت باباً من أبواب النار، ولذلك أشار الله ﷻ إلى المؤمنين حتى يُغلقوا هذا الباب فقال: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ السبيل إلى الوقاية من هذا الباب من أبواب النيران هو غض البصر، وغض البصر هو سبيل حفظ الفروج، لأن مفتاح الشرور كلها هو البصر، ولذلك قال الله: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ [٣٠النور].

والأذن إذا جعلها الإنسان باباً لسماع الغيبة والنميمة والكذب وقول الزور والتحسس والتجسس على المؤمنين والمؤمنات كانت باباً من أبواب جهنم.

واللسان إذا استخدمه الإنسان فى السب والشتم واللعن والغيبة والنميمة وشهادة الزور والسحر وكل ما يُغضب الله ﷻ من كلمات، كان اللسان فى ذاك الوقت باباً من أبواب النار.

واليد إذا استخدمها الإنسان فى السرقة، أو فى كتابة الشكاوى الكيدية، أو فى كتابة ما يؤذى المسلمين من أسحار، أو فى إعانة الظلمة والأشرار، أو فى أى عمل من هذه الأعمال كانت باباً من أبواب جهنم والعياذ بالله.

والبطن إذا أدخل الإنسان فيها المسكرات، والمخدرات، والمحرمات، وأكَل الربا، وأكَل مال اليتيم ظلماً، وأكَل مال إخوانه وأخواته فى الميراث، وغير ذلك كانت باباً من أبواب جهنم.

والرجل إذا مشى بها إلى أماكن الشبهات، أو سعى بها إلى مواطن المنكرات، أو سعى بها إلى الظالمين والظالمات ليعينهم على هذه الأعمال كانت باباً من أبواب جهنم.

والفرج إذا استخدمه الإنسان فى الزنا والعياذ بالله، أو فى عمل قوم لوط كان باباً من أبواب جهنم.

إذاً كم عدد أبواب جهنم؟

سبعة وهى العين والأذن واللسان واليد والرجل والبطن والفرج.

هل هناك أعمال يعملها الإنسان تؤدى إلى دخوله لجهنم بغير جارحة من هذه الجوارح؟ لا ... وراجعوا مع أنفسكم لتتأكدوا!!

فهى التى تعمل الأعمال التى يستحق بها المرء هذا الوبال ويدخل جهنم، إذا كانت صغائر دخل جهنم، وإذا كانت كبائر ربما يكون له دهر طويل فى جهنم، على حسب حالته وعلى حسب وزره وعلى حسب ذنوبه، لكن الأبواب التى تقوم بذلك هى الجوارح التى ذكرها الله، وبيَّنها رسول الله ﷺ.

❁ أبواب الجنان فى بنى الإنسان

إذا أصلح الله ﷻ الإنسان، وغيَّر هذا الكيان، وغيَّر الجوارح، وجعلها فى طاعة الرحمن فإنها تكون كل جارحة منها باباً له من أبواب الجنان، كيف؟

إذا اشتغلت العين بالنظر فى الآثار التى تدل على إبداع الواحد القهار: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [١٠١يونس] أو نظر بها الإنسان إلى كتاب الله، وتلا ما تيسر له من كلمات مولاه، أو نظر بها فى وجه العلماء العاملين، فالنظر فى وجه العالم عباده، أو نظر بها إلى أحوال الفقراء والمساكين ليتفقدهم ثم يُكرمهم بالعطاء ..... كانت هذه العين باباً من أبواب الجنة.

والأذن إذا جعلها الإنسان تسمع الأحاديث النبوية، والآيات القرآنية، وكلمات التذكير والوعظ من العلماء العاملين، والنصيحة من المخلصين، والحكمة من الحكماء الربانيين ..... كانت باباً من أبواب الجنة.

واللسان إذا جعله الإنسان يأمر بالمعروف ،وينهى عن المنكر، ويشتغل بذكر الله، وبالصلاة على رسول الله، وبالاستغفار لله، وبتلاوة كتاب الله، وبإسداء النصيحة إلى عباد الله، وبحسن التوجيه إلى المؤمنين الصادقين، وبالتخفيف عن البؤساء والمنكوبين، وفى مواساة أهل الموتى والمحرومين ..... كان هذا اللسان باباً من أبواب الجنان بفضل الحنان المنان!.

واليد إذا امتدت للصدقة والعطاء، وإذا أعانت على العمل الصالح الذى أمر به الله، وبيَّنه سيدنا رسول الله، واستعان بها الإنسان على طاعة الله، فأمسك بها مصحفاً، أو استند بها فى ركوعه وسجوده، أو أعطى بها وعمل بقول نبيه: {لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ }[٩٧] وأعان بها الضعفاء...، وواسى بها المحتاجين والفقراء ..... كانت باباً من أبواب الجنة.

والرجل إذا سعى بها الإنسان لقضاء مصالح المسلمين، أو للمساجد لطاعة الله فى كل وقت وحين، أو لصلة الأرحام، أو لبر الوالدين، أو لقضاء حوائج نفسه وأولاده، أو للجهاد فى سبيل الله أو للعمرة والحج إلى بيت الله ﷻ الحرام، أو سعياً لمجالس العلم، ومجالس الذكر، ومجالس الحكمة ..... كانت باباً من أبواب الجنة.

والبطن إذا عفَّها الإنسان عن الحرام، وأطعمها المطعم الحلال كانت باباً عظيماً لإجابة الدعاء وتحقيق الرجاء، وتتويج الإنسان بتاج كُمَّل الأولياء، وكانت باباً له من أبواب الجنة، وكذا الفرج إذا استخدمه الإنسان فى إعفاف نفسه وزوجه وتحصينها، وطلب فى سبيل ذلك نيَّة طيبة بأن يرزقه الله ذرية طيبة تذكر الله وتوحِّد الله ..... كانت هذه الأبواب أبواباً للجنة.

---

[٩٧] رواه الإمام البخارى وأحمد عن أبى هريرة.

وهذه الأبواب لا تستطيع أن تصنع ذلك إلا إذا كانت القيادة والهيمنة للقلب، وهو الذى يوجهها، وهو الذى يلهمها، وهو الذى يأمرها، ومن هنا كانت أبواب الجنة ثمانية، السبعة الأعضاء السالفة الذكر، ويضاف إليها القلب!!، فتكون أبواب الجنة فى الإنسان ثمانية.

فإذا حفظ الإنسان أعضاءه من المعاصى والذنوب والآثام، وأكرمه الله ﷻ بتقليبها دوماً فى طاعة الملك العلام، كان الإنسان طوال عمره صائماً لله، ولو كان يأكل ويشرب ويأتى زوجته لأنه صام بالجوارح ودخل فى قول الرجل الحكيم:

إذا ما المرء صـــام عن المعاصى فكل شهوره شهر الصيام

إذاً فتحت له أبواب الجنة التى فيه، وغُلِّقت له أبواب النيران التى تُوَرِّد المعاصى التى يستوجب بها النيران وهى فيه، ولا يكون ذلك إلا إذا صَفَّد الله ﷻ الشياطين التى فيه، ودخل فى قول خالقه وباريه:

﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ [٦٥الإسراء].

❁ إكرامات الصالحين

وإذا واظب على ذلك يمنُّ الله عليه بما منَّ به على عباده الصالحين، وأولياءه المقربين، فإن كرامات الصالحين كلها تقع على هذه الجوارح التى ذكرناها وبيناها ووضَّحناها طريقة تغيير مسارها ومجراها، حتى يصبح على الله وحده مرساها! وإليكم تفصيل ذلك بعون الله وتوفيقه:

❁ إكرامات العين

إما أن يُكرمه الله ﷻ بكرامات تظهر على العين فيرى ما لا يراه الناظرون:

- يرى الملكوت الأعلى وما فيه من ملائكة ومقربين، وأنواع المسبحين والذاكرين والمهللين إلى ربِّ العالمين.
- وإما أن يكرمه الله ﷻ برؤية العرش وحملته.
- وإما أن يكرمه الله ﷻ برؤية اللوح المحفوظ، ويكشف له ما فيه مما حفظه من الرموز والغيوب، فيطلع على اللوح المحفوظ بعين فى السريرة ونور فى البصيرة، لأنه عفَّ عينه ففتح الله ﷻ عين بصيرته.

- وإما أن يكرمه الله ﷻ بأن يرى فيمن حوله، ويتحقق فيه قول النبى المختار ﷺ الدى سبق وذكرناه لكم : { اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ }[98] فيرى ما أخفاه الإنسان فى صدره، أو ما صنعه الإنسان بجارحة من جوارحه.

وخذوا على ذلك أمثلة فقط للذكر لا للحصر فإنها فوق العدِّ والكمِّ، :

فهذا عثمان بن عفان رضي الله عنه يجلس فى مجلس الخلافة، ويرى ما صنعته عين إنسان من أصحاب حضرة النبى عند دخوله عليه، وقال له منبئاً عن ذلك: ما بال أحدكم يدخل علىَّ وفى عينيه أثر الزنا.

رأى ما صنعته العين – قال: أوَحْى بعد رسول الله يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، ولكنها فراسة المؤمن.

فأصحاب الفراسة يرون على الجوارح ما صنعته وما فعلته.

- وقد يكرمه الله ﷻ فيرى خصائص الأشياء التى استودعها الله ﷻ فى الأشياء العالية والدانية، فلا ينظر إلى أى حجر أو نبات أوزهر أو غيره إلا ويرى فيه بنور ربه ﷻ خصائصه التى استودعها الله ﷻ فيه.

[98] رواه الترمذي والطبرانى عن أبى سعيد.

قال سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ:

{ تَرَكَنَا رسول الله وَمَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إلا عِنْدَنَا مِنْهُ عِلْمٌ }[99]

وكان سيدى على الخواص ﷺ إذا نظر فى المحبرة يخبر عن كل كلمة ستكتب بهذا الحبر حتى ينتهى من المحبرة قبل أن يُكتب به.

وكان إذا ذهب إلى المغطس – والمغطس بركة كانت توجد فى المساجد يغتسل فيها الناس من الجنابات- ينظر إليه ويعرف جنابات من اغتسل فيه، ويقول هذه جنابة فلان وهذه جنابة فلان بالنور الذى قال فيه الرحمن [١٢٢الأنعام]:

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾

وهذا غير النور الذى يجعله الله فى الآخرة، فإن الله يجعل له نوراً يقول فيه:

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الحجر]

الذين ينظرون إلى سيما الآخرين بالنور الذى وضعه الله ﷻ فى قلوبهم، لأنهم غضوا الأبصار ولم ينظروا بها إلا إلى ما يحبه العزيز الغفار ﷻ.

[99] صحيح ابن حبان عن أبى ذر.

⎈ إكرامات السمع

وقد يكرمه الله ﷻ بكرامات الأذن:

- فيسمع تسبيح الكائنات:

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾

[٤٤الإسراء]

وهناك من يفقه تسبيحهم، فيعَلِّمه الله ﷻ لغات الأشياء حتى لغة الجمادات، ويسمع نطقها بألفاظ فصيحات، ويسمع تسبيح حقائقه فى جسمه الظاهرة والباطنة، فقد قال سيدى أحمد بن عطاء الله السكندرى ﷺ فى كتابه: (مصباح الأرواح ومفتاح الفلاح فى الذكر وكيفية السلوك) عندما أخذ يذكر الله ﷻ فى خلوته:

{ حتى وصلت إلى حال سمعت فيه كل جارحة من جوارحى وكل عضو من أعضائى يذكر الله ﷻ، فسمعت الأذن تذكر، وسمعت العين تذكر، وسمعت الشعر يذكر، وسمعت الأصابع تذكر، وسمعت كل عضو من أعضائى يذكر الله ﷻ بألفاظ فصيحة }.

وفى ذلك يقول الإمام أبو العزائم ﷺ:

نغمات تسبيح الكيان مدامى يصغى لها قلبى يزيد هيامى
قلبى لدى التسبيح يصغى واجداً وجد المؤله من فصيح كلامى

فيسمع تسبيح الكائنات فى الآفاق، ويسمع تسبيح الحقائق فى نفسه، ويسمع كل الكلمات بكل اللغات لجميع المخلوقات، فيسمع كلام الملائكة عندما تتنزل عليه كما قال له مولاه فى كتابه الكريم:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾

ماذا يقولون لهم؟ ﴿ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت]

- ويعلم كل اللغات:

فقد كان سيدى أبو العباس المرسى ﷺ يسمع كل اللغات الحية ويفقهها، وكان سيدى محمد أبو خليل ﷺ مع أنه أُمى يتكلم بكل اللغات الحية!! وأنتم تعلمون أن أصحاب النبى ﷺ الستة الذين كلَّفهم بتبليغ الرسائل إلى الملوك، وأعطاهم الرسائل وأمرهم بالتوجه فى الصباح الباكر كلٌ إلى جهته، ولم يكونوا يعرفون لغة البلاد التى سيذهبون إليها، وناموا وقاموا فى الصباح وكل رجل منهم يجيد لغة البلد التى سيذهب إليها أحسن من أهلها:

﴿ فَضْلاً مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ ﴾ [الحجرات]

تعليمٌ من حضرة العليم ﷻ.

- بل ويسمع بها أكثر من هذا كلمات الحبيب التى من سمعها فإنه فوراً عن الدنيا وما فيها يغيب، وبذكر الله يطيب، ويشتهى فوراً أن يرفع عنه كل حجاب حتى يُمتع نظره بالنظر إلى وجه الحبيب.

وأنتم تعلمون يا إخوانى أن كثيراً من الصالحين كانوا يتوجهون إلى المدينة المنورة ويُلقون السلام فيسمعون بآذانهم ردَّ السلام، وسيدى عبد الوهاب الشعرانى ﷺ يذكر فى مننه الكبرى فيقول:

(ومما منَّ الله ﷻ به علىَّ أنى ما جلست فى الصلاة فى التشهد وقلت السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته إلا ورأيته أمامى وســمعته وهو يقول وعليك الســلام يا عبد الوهاب).

وسيدى أحمدالرفاعى ﷺ عندما وقف أمام الروضة الشريفة وقال مودعاً رسول الله وكل من حوله يسمعه:

يقولون عدتم بم رجعتم؟ يا أكرم الخلق ما نقول؟

فسمع الحبيب يقول له وسمع معه كل الحضور بوضوح تام:

قولوا رجعنا بكل خير واتحد الفرع بالأصول

- والأزهى والأبهى والأبهر من ذلك ياإخوانى أن يُهيأه الله ﷻ لسماع كلمات الله ﷻ التى يقول فيها لموسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام: { يا موسى سأكلمك بعشرة آلاف لسان } وأعطاه الله عشرة آلاف أذن، فكان كله آذان ليسمع كلام الرحمن ﷻ، ويدخل فى قول الله تعالى لكليمه عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام:

﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾[النساء]

قد يقول البعض:

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ﴾ [٥١الشورى]

ونقول لبيان ذلك:﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ﴾ وهم الأنبياء والمرسلون، ﴿ أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ والحجاب هو البشرية،فإذا رفع الله حجاب البشرية، وبقى الإنسان بالحقيقة النورانية، وهى النفخة الإلهية سمع بما فيه من مولاه خطاب الله جل فى علاه ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً ﴾ وهذا خاصة للأنبياء والمرسلين، أو رسول الإلهام بالنسبة للصالحين والعارفين والمتقين.

إكرامات اللسان

وقد يكرمه الله ﷻ بكرامات اللسان، فيُنزل على قلبه بيان القرآن[الكهف]:

﴿ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾

- فينطق بالعلوم الوهبية الغيبية، وينطق بالحقائق القرآنية.
- أو يخاطب بلسانه الحقائق العلوية.
- أو يخاطب بلسانه الحقائق الأرضية الكونية، وتستجيب له وتُنفذ مراده.
- وقد يعطيه الله بلسانه كن فيكون، إذا قال هذا اللسان كن لأى شئ فإنه يكون، لأن الله ﷻ تنزَّل له بذلك، وأعطاه ذلك بعد أن أهَّله لذلك، لأنه صان هذا اللسان عن كل كلام يُغضب حضرة الرحمن.
- وقد يُطوى الله ﷻ لهذا اللسان المسافات والجهات.

كما فعل مع عمر عندما وقف على المنبر وخاطب سارية فى بلاد فارس، وقال بلسانه: ياسارية الجبل، وسمع سارية الصوت، وردَّ وقال: لبيك يا أمير المؤمنين، والقصة مشهورة ومذكورة فى كتب السيرة الكثيرة!

- وقد يجعل الله ﷻ هذا اللسان مجاباً فى أى دعاء يطلبه من حضرة الرحمن ﷻ، فلا يرد الله ﷻ له طلب، وكل طلب يطلبه يحققه الله ويُدخله فى قوله جل فى علاه:

﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾ [٣٤الزمر].

❁ إكرامات اليد

وقد يعطيه الله ﷻ كرامات اليد:

- فلا تلمس مريضاً إلا شفته، ولا سقيماً إلا أبرأته وراثة لرسول الله ﷺ.
- ولا تلمس طعاماً إلا باركته، إذا وضع يده فى طعام فإن البركة توضع فى هذا الطعام حتى يكفى الفئة الكثيرة من الأنام.
- وقد يجعل الله هذه اليد فى قوة قول الله:

{ كُنْت يَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا }[١٠٠]

[١٠٠] صحيح البخارى عن أبي هريرة.

كيَد موسى عندما وكز المصرى: ﴿ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِ ﴾ [١٥القصص] وكزه

بيمين الله، وكذا وقع ذلك وراثة لسيدى أحمد البدوى ﷺ عندما اعترض عليه شيخ الإسلام فى عصره ابن دقيق العيد، ولجَّ فى خصومته، واشتدَّ فى معارضته حتى أغضبه فقال له سيدى أحمد البدوى ﷺ: ستسكت أم أُطَيِّر دقيقك، ثم دفعه بيده فوجد نفسه فى بلد لا يعلم عنها شيئاً!! وبعد أن أفاق من صعقته – لأن طيرانه فى الهواء سببَّ له صعقة – سأل من حوله فعلم أنه فى بلد فى الهند، وما المخرج؟ دلوه على المسجد وقالوا له اذهب إلى المسجد لعلَّ الله يجد لك مخرجاً، فذهب إلى المسجد وتوضأ، وأخذ يتعبد إلى مولاه حتى حان وقت الصلاة، وأُذِّن للصلاة، وجاء الناس للصلاة، وقال بعضهم للمؤذن: أقم الصلاة، فقال: حتى يحضر الإمام، وإذا به يرى سيدى أحمد البدوى يدخل من باب المسجد فعلم أنه الإمام، فاعتذر إليه بعد الصلاة، ووعده ألا يعود إلى ما فعله من الاعتراض عليه، فقال له ﷺ: ارجع فإن امرأتك على باب بيتك تنتظرك، ودفعه بيده، فإذا به يجد نفسه على باب بيته فى مصر وامرأته خلف الباب تنتظره! بِم دفعه؟ بيد يقول فيها الله: {كُنْت يَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا}[١٠١].

[١٠١] صحيح البخارى عن أبي هريرة.

❁ إكرامات القدم

وقد يكرمه الله ﷻ بكرامات الرِجل:

- فيطوى له الأرض.
- أو يمشى فى الهواء، أو يمشى على الماء.

وكل ذلك بهذه القدم العصماء التى لا تمشى إلا فى طاعة خالق الأرض والسماء ﷻ، وكم فى أخبار الصالحين فى هذا الباب ما لا يُعد ولا يُحصى اكراماً من الله لأنهم صانوا هذه الأعضاء واستخدموها فيما يُرضى الله.

❁ إكرامات البطن

وقد يكرمه الله ﷻ بكرامات البطن:

- فلا يرى أو ينظر أو تمتد يده إلى طعام فيه شبهة أو حرام إلا وتصدر إشارة منبهة من البطن إلى عضو مناولة الطعام وهو اليد فيعلم أن هذا الطعام فيه شبهة أو حرام، فيمتنع عن أكله، ويحفظه الله بحفظه، لأن الله ﷻ خير حافظاً وهو أرحم الراحمين.

وأنتم تعلمون أن الإمام المحاسبى ﷺ كان إذا امتدت يده إلى طعام فيه شبهة او حرام يضرب عِرق فى يده، فيعلم أن الطعام فيه شبهة فيمتنع عن تناوله، ولما امتحن قوم سيدى أبو العباس المرسى ﷺ وجاءوا له بدجاجة خنقوها ولم يذبحوها، وطبخوها ووضعوها أمامه، فنظر إليها ثم انتفض وقام وقال: إن كان الحارث المحاسبى له عرق ينفض فأنا كلى عروق تنفض، هذه الدجاجة مخنوقة!!

علامات توسمات يعطيها الله ﷻ للصالحين الذين حفظوا بطونهم عن الحرام والشبهات والآثام، ولم يدخلوا فيها إلا الطعام الذى يرضى الملك العلام، وعملوا فيها بمنهج المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، فلم يملأها حتى من طعام حلال، ولم يُعطوا النفس كل ما تتمناه من شهوات ورغبات، وإنما كان يقول الواحد منهم لنفسه، مكرراً قول حبيبه:

{ بِحَسْبِ ابنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فإِنْ كَانَ لاَ مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلْثٌ لِنَفَسِهِ }[١٠٢].

[١٠٢] رواه أحمد والترمذي عن المقدام بن معد يكرب.

❁ إكرامات الفرج

قد يكرمه الله ﷻ إذا حفظ فرجه إلا عن زوجه وأهله، فيجعل الله ﷻ له أولاداً من قلبه، وأبناءاً من روحه، كان يقول فيهم سيدى أحمد البدوى ﷺ مخاطباً أحبابه:{ يا ولد قلبى }، فيجعل الله له من الولدان المخلدين ما لا يُعد ولا يُحد فهم امتداد له فى دنياه، ورفقاء له فى أخراه، وزيادة خير عظيم له يوم يلقى الله ﷻ

❁ إكرامات القلب

وقد يكرمه الله ﷻ بإكرامات القلب:

- فيكون هذا القلب له إطلالة علوية على الأحوال الربانية التى لا يطلع عليها الملائكة الكرام، ولا أهل عالين، ولا أهل عليين ،لأن الله ﷻ أكرمه بوراثة سيد الأولين والآخرين ﷺ.
- وقد يكرمه الله ﷻ بالإلهام.
- وقد يكرمه الله ﷻ بالسكينة تتنزل عليه على الدوام.
- وقد يكرمه الله ﷻ بالطمأنينة لذكر الله الذى لا يتحرك القلب إلا به وبه الحياة.
- وقد يكرمه الله ﷻ فيفتح له كنوز الحكمة فى قلبه، قد يكرمه الله ﷻ فيُفرغ له من أسراره التى لا يُطلع عليها إلا خواص عباده.

- وقد يكرمه الله ﷻ فيجعل فى قلبه ما قال فى شأنه سيدى أبو اليزيد البسطامى ﷺ وأرضاه: (العرش وما يحويه سبعمائة ألف مرة لا يملأ زاوية واحدة من زوايا قلب العارف) .

ويكفى أن تعرف فى وسعة هذا القلب قول الله فى الأثر المروى عنه ﷻ:

{ إِنَّ السَّمواتِ والأَرْضَ ضَعُفْنَ عَنْ أَنْ يَسَعْنَني، وَوَسِعَنِي قَلْبُ عَبْدِي المُؤْمِنِ الوَادِعِ اللَّيِّنِ [١٠٣] }

إذاً قلب العبد المؤمن أوسع من السموات والأراضين ومن فيهن بما فيه من ألطاف إلهية خفية، وعلوم ربانية، وأسرار ذاتية لا نستطيع الإباحة بها فى هذه المجالس الدنيوية، وإنما تستطيع أن تتذوقها إذا ترقيت إلى هذا المقام، وخصك الله بهذا العطاء إكراماً من المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

نسأل الله ﷻ أن يكرمنا ببعض هذا الإكرام، وأن يتعطف علينا ببعض هذا الإنعام، وأن يجعلنا من المُصطفين الأخيار.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

[١٠٣] رواه الإمام أحمد فى (الزهد) عن وهب بن منبه.

الباب السابع

درجات الكشف

- ۞كشف الحجاب
- ۞ الطريق إلى كشف الغيوب
- ۞ كشف العيوب
- ۞ كشف الجمال
- ۞ كشف مساتير الغيوب

كان صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه:

{ هَلْ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يُرِيدُ أَنْ يَؤُتِيَهُ اللَّهُ عِلْماً بِغَيْرِ تَعَلُّمٍ وَهُدَىً بِغَيْرِ هِدَايَةٍ؟ هَلْ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يُرِيدُ أَنْ يُذْهِبَ اللَّهُ عَنْهُ الْعَمَى وَيَجْعَلَهُ بَصِيراً؟ }[104]

---

١٠٤ **جامع الأحاديث والمراسيل عن الحسن ﷺ.**

الباب السابع
درجات الكشف

الحمد لله الذى كرَّمنا وأكرمنا فجعلنا من الرجال الذين اختارهم الله ﷻ لذاته فأفناهم عن الشغل بذات الأشباح وجعلهم أرواحاً نورانية فى هياكل شبحية لا يشتغلون فى أى نَفَس من أنفاسهم إلا بالذات العلية، اللهم صلى وسلم وبارك على لباب أنوار حضرة القرب وكأس صافى الحب سيدنا محمد وآله وأصحابه وكل من عشق جماله ورغب فى كماله وأكرمه الله ﷻ بوصاله وعلينا معهم أجمعين آمين آمين يارب العالمين.

إخوانى وأحبابى بارك الله ﷻ فيكم أجمعين: ... نسمات روحانية هبت على قلوبنا من ريحان خير البرية نسأل الله ﷻ أن يشجى بها قلوبنا وأن يرقق بها أفئدتنا وأن يجعلنا من الذين يكرمون بالحبيب الأعلى وبسره المضنون وبغيبه المكنون فى كل أنفاسهم نحن وإخواننا وأحبابنا أجمعين آمين آمين يارب العالمين.

۞ كشف الحجاب

كل من يتعلق بالصالحين تراهم إما يحنُّون إلى رؤية الغيب المصون والسرِّ المضنون والنور المكنون، وإما يتحدثون عن هذه الغيوب مع أنها لم تَلُح لهم لما فيهم من عيوب ويزعمون أنهم أهلها وأصحابها وهذا لا يرضى حضرة علام الغيوب.

يتساءل أحباب الصالحين: نريد أن نحظى بقبس من الغيب المصون أو بسر من النور المكنون، ونريد أن ترفع عنا المساتير ونرى الغيوب ونتمتع بأعز ما فى الغيوب وهو وجه الحبيب المحبوب، فما هو السبيل لنيل هذا المطلوب؟

وما الطريق الذى يوصل العبد إلى هذا المرغوب؟

الطريق كأى طريق لابد له أولاً من رفيق، فلا يستطيع إنسان أن يسلك طريقاً لا يعلمه ولا يعرفه حتى فى عالم المظاهر والظاهر بدون رفيق أو خبير بالطريق، إذاً لابد أولاً من العمل بقول أهل التحقيق:

لو ذاق أهـل البعـد راح مـدامتى تركوا الجدال وأحرقوا علم الرســـوم

بعض نقط من المدام:

بعض حــالى يـدك شـــم الجبــال وبـقـولـى يـلـوح نـور الـجـمـال

نسمع عن العارفين والصالحين أنهم قد كُشف عنهم الحجاب ورُفعت أمامهم مساتير الغيب وأصبحوا ينظرون بما فيهم من غيب إلى عوالم الغيب، يرون ما لا يراه الناظرون ويتمتعون بعوالم لا عدَّ لها ولا حصر لها من الجمال القدسى المصون الذى لا يلوح إلا لعبد مأمون، وكلنا نصحب الصالحين من أجل ذلك، لكن المشكلة أن نفوسنا تضحك علينا وقبل أن يُحصِّل الإنسان يريد أن يُوَصِّل لغيره، فما الذى حصلته لكى تُوَصله؟! إنك لم تقبض الراتب بعد فماذا توزع منه؟! وهل قبضته لكى تصرفه؟

وهو بذلك يريد أن يُظهر قبل الأوان أنه رجل فى حجر الصالحين، ويسمع ويفرح عندما يقولون له أن فلان هذا يرى الغيب المصون أو أن فلان هذا من الواصلين مع أنه يعرف نفسه جيداً أنه مجرد طين!! لكن الكلام يسره!! سبحان الله!! إنها نفوس، وهذه النفوس هى التى تحجب أهلها عن جمال حضرة القدوس.

أما الذى يريد الجمال فعليه أن يأتى بنفسه ويضعها تحت رجليه ويدفنها ثم يصلى عليها أربع تكبيرات ثم يمشى بلا نفس، أما إذا كانت معه النفس فمعه اللبس، وهو بذلك ليس له نصيب فى جمال الله ﷻ الذى خص به من ماتت نفوسهم:

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾

[١٢٢ الأنعام]

فهل الموت أولاً أم الحياة؟ لا تأتى الحياة إلا بعد الموت، فلابد أن تموت لكى يُحيوك وبعد أن يُحيوك يُجملوك وبمننهم وعطائهم يمنحوك وبتأييدهم وتوفيقهم يُقيموك وإذا أقاموك أعانوك وإذا أعانوك فأنت عبد معان محفوظ بحفظ حضرة الرحمن ﷻ، لكن مصيبة الأولين والآخرين أن كل واحد منهم يريد أن يقيم نفسه ويُشيّخ نفسه ويريد أن يعظم ويكبر نفسه ويريد ممن حوله أن يكبروه ويعظموه، فإذا كبروك وعظموك بالفعل فماذا يفعلون معك عندما يُكشف الغطاء:

﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [٢٢ ق]

هنالك تجد من يتحسر ومن يندم ومن يتوجع، كل ذلك بعد كشف الغطاء، لكن بعد كشف الغطاء هل هناك عطاء؟! لا، لكن هناك عطاء لمن كشفوا عنه الغطاء وهو ميت بين الأحياء، أما بعد الموتة العزرائيلية فقد انتهت العطاءات الإلهية، ولكى لا أطيل عليكم فإن الطريق السهل هو الذى أخذه الصالحين من كتاب الله ومن هدى الحبيب المصطفى أَصَّلُوه وبالمشى والجهاد عليه وصفوه.

الطريق إلى كشف الغيوب

إذاً ما الطريق الذى يؤدى إلى كشف مساتير الغيوب؟ لابد أولاً من كشف الذنوب وخطورتها ودورها فى حجب العبد عن حضرة علام الغيوب، وبعد كشف الذنوب وهى أول درجة من درجات الكشف وذلك لأن البعض يظن أن أول درجة من درجات الكشف أن يكاشف العبد بالملائكة أو بالجن أو بالسموات وهذا غير صحيح لأن أول كشف لمن يريد أن يواصلوه ويُعرفوه ويقيموه ويكرموه أن يكشفوا له عن الذنوب وخطورتها ووعورتها، فأين ذلك فى كتاب الله؟

﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴾ [٥ التكاثر] **الذى عرف علم اليقين ما هى أول رتبة بالنسبة له؟** ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴾ [٦ التكاثر]

كيف يرون الجحيم؟ يرى الذنوب وهى الأواسط التى توصل إلى الجحيم كأنها جحيم، وعندما يرى هذه الذنوب كأنها جحيم هل يقع فيها أو يقترب منها؟ كلا، بل سيدخل فى قول الحبيب الأعظم ﷺ وزنوا الأحوال بهذا الميزان:

{ إِنَّ المُؤْمِنَ يَرى ذَنْبَهُ كَأَنَّهُ تَحْتَ صَخْرَةٍ، يَخَافُ أَنْ تَقَعَ عَلَيْهِ، وَالْكَافِرُ يَرى ذَنْبَهُ كَأَنهُ ذباباً يَمُرُّ عَلى أَنْفِهِ فأطاره بيده }[١٠٥]

وانظر إلى الفارق بين الإثنين!! إذاً فإنه يستعظم الذنب لكى لا يقع فيه، والذنوب منها الصغائر ومنها الكبائر، وقد قال الصالحون للمكاشفين فى هذا المقام: { لا صغيرة إذا واجهك بعدله ولا كبيرة إذا واجهك بفضله } فإياك ثم إياك أن تُصغِّر الذنب، فلو صغَّرت أى ذنب فستقع ولن تنفع فى هذا الطريق، فهفوة العارفين أكبر ذنب، فإذا صغَّرت الذنوب لن تصبح من أهل المكاشفة بحضرة الحبيب المحبوب أو مطالعة الغيوب:

هفوة العارفين أكبر ذنب فابذل النفس تمنحن رضوانى

صغر الذنب جاهل بمقامى، والذى يجعله يصغر الذنب أنه جاهل بمقام الله ﷻ، إذاً العارف لا يجب أن يصغر أى ذنب لأنه ربما يطلع الله ﷻ عليه وهو على ذنب لا يلقى له بالاً فيسقط من نظر الله فينتهى أمره، وذنب العارفين يصفه ربنا فى كتابه مع أنه لم يخطط له ويدبر له بل يقع فجأة وعندما يقع فيه:

---

١٠٥ مصنف ابن أبى شيبة عن أبى ذر ﷺ.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ﴾

وانظر إلى ما هم فيه فالأرض كلها ضيقة والنفس من شدة التأنيب والتوبيخ الذى يعتمل فيها ضيقة:

﴿ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ﴾

وهؤلاء هم الذين يتوب عليهم الله لكى يتوبوا:

﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ ﴾ [١١٨ التوبة]

إذاً فإن أول مقامات الكشف هى عظم الذنب وخطر الذنب وذلك لكى لا يستسهل الإنسان بأى ذنب من الذنوب إن كان هذا الذنب فى حق نفسه أو فى حق ربه أو فى حق إخوانه، فرُبَّ ذنب لا تلقى له بالاً يظل عليك وباله فى الدنيا والآخرة والعياذ بالله ﷻ، فمن الذى يضمن تحقيق المتاب بعد أى ذنب يرتكبه ولو بسيط فى حق التواب ﷻ؟!

لا أحد يضمن ذلك، لماذا أفعل الذنب إذاً ثم أقول إن الله سيتوب علىّ؟! والمصيبة الأعظمّ أن ذلك الأمر موجود دائماً مع المصاحبين للصالحين فيستهينون بالذنوب ويقولون نحن فى رحاب الصالحين وسيغفر الله لنا ونفس الواحد منهم تضحك عليه ويُسوِّف ويُسول لها ولا يدرى أنه بذلك يحرمها من كل العطاءات ويغلق أمامها كل أبواب الهبات التى تتنزل من واهب الخيرات ﷻ.

فأول كشف أن يكاشف الإنسان بعظم الذنب فلا يقع فيه، واعلموا أن هذا الكلام كلام الصدور، قال تعالى فى الكتاب المحكم [٤٩ العنكبوت]:

﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾

والذى يكرمه الكريم بعد كشف الذنوب والعيوب ... ويظل يجاهد إلى أن يدخله الحفيظ دائرة الحفظ الإلهى كما قال تعالى:

﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [٦٤ يوسف]

من منا يستطيع أن يحفظ نفسه؟ لا أحد، فلا قوة لنا على طاعته إلا بتوفيقه ومعونته ولا حول لنا عن معصيته إلا بحفظه وصيانته، فلو تخلى الحفيظ عنا هل يستطيع واحد منا حفظ نفسه؟! لا بل من الممكن أن يستهزئ به العالم كله! ...سيدنا سعد بن أبى وقاص ﷺ شهد عليه رجل شهادة زور فدعا عليه قائلاً:

{ أَما وَاللهِ لأدْعوَنَّ بثَلاثٍ: اللّهمَّ إن كان عبدُكَ هذا كاذباً قامَ رِياءً وَسُمعةً فأَطِلْ عمرَهُ، وَأَطِلْ فَقرَهُ، وَعَرِّضْـهُ بالفِتَنِ. وكان بَعدُ إِذا سُـئِلَ يقول: شَـيخٌ كبيرٌ مَفتون، أصـابَتْني دَعوةُ سـعد. قال عبدُ الملكِ : فأنا رأيتُه بعدُ قد سَـقطَ حاجِباهُ عَلَى عَينيهِ منَ الكِبَرِ، وإنه ليَتعرَّضُ للجواري في الطُّرقِ يغمزهُنَّ }[106]

إذاً لا يستطيع أحد حفظ نفسه إلا إذا حفظه الحفيظ ﷻ، ومن يريد أن يحفظه الحفيظ عليه بـ: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَـٰفِظُونَ ﴾ [٥ المؤمنون] :

الفروج هنا هى جميع الفتحات كما قلنا سابقاً ووضحنا فهى (العينان والأذنان والفم والأنف والفرج والبطن) كل هذه الفروج أحفظها لكى يحفظنى الحفيظ ﷻ، وأخطرها وأصعبها اللسان الذى يورد الموارد لأن كل مشاكل الإنسان فى الحرمان من عطاء الرحمن سببها اللسان، فإذا أكرمه الكريم وحفظه من الذنوب وأراد أن يرقيه يضعه فى دائرة:

١٠٦ صحيح البخاري، عن جابر بن سمرة

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ [٢٠١ الأعراف]

هذا لمن اجتباه الله واختاره، فكلما وسوست له نفسه أو الشيطان تضئ اللمبة الحمراء داخل قلبه فيعرف أن هناك خطأ سيقع فيه فيرجع، من الذى يضئ هذه اللمبة الحمراء؟ هل أنت؟ إنه المرور الربانى والإلهام الصمدانى فى القلب النورانى الذى يريد القرب والتدانى من الله ﷻ.

كشف العيوب

وإذا أراد بعد ذلك أن يصفيه وينقيه ينقله إلى المرحلة الأعلى فى الكشف وهى كشف العيوب، هل عيوب من حوله؟ لو كان ذلك فلن يفلح، لكن كشف عيوب نفسه، فالذى يريد الله أن يهنيه ويرقيه ويصفيه ويعليه يجعل كل الكشافات التى فى نفسه وفى قلبه مسلطة على عيوب ذاته لكى يصلحها فيطالع عيوبه:

﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴾ [١٤ الإسراء]

يقرأ فى كتابه لكى يصحح وكذلك ينادى على من حوله ويقول من يحبنى يُظهر لى عيوبى لكى أقومها كما قال عمر ﵁ لكل الأمة وهو من نعلم:

(رحم الله امرءاً أهدى إلىَّ عيوب نفسى)

أما الآن إذا قال لى واحداً إن بك عيب كذا أخاصمه شهراً، وإذا قال ذلك ثانية أخاصمه طول الدهر، وإذا سألنى أحد لماذا تخاصم فلان؟ أقول إنه يُعيبنى!!.. فهل يُشنِّع علىَّ بذلك أم ينصحنى بينى وبينه؟ إذا كان ذلك من أجل التشنيع أقول لا يصح ذلك لأن النصيحة على الملأ فضيحة، لكن إذا كان يهمس فى أذنى ويقول عيبك كذا فإن ذلك يُفرِّح المؤمنين ويُغضب المخدوعين الذين لا يريدون أن يطيبوا نفوسهم ويصلحوها كى يكونوا صالحين لحضرة ربِّ العالمين.

لماذا كان السابقون واللاحقون والأولون والآخرون والمعاصرون يذهبون للصالحين؟ ذلك لأنهم مطلعين ويرون ما فينا من عيوب ويظهرونها لنا، أما نحن فى هذ الزمان فنريد عارفين مداحين، نعم هم بالفعل مداحين فى حضرة النبى المختار ومداحين فى حضرة الله لكننا مع الأسف نريدهم مداحين لنا، بمعنى أنه كلما رآنى يمدحنى ويقول أنت كذا وكذا وكذا وإذا لم يمدحنى أغضب منه وإذا حدث ذلك فإنه ليس بعارف، فماذا يعرفنى مثل هذا؟! بل إنه بذلك يغشنى!!!

إن سيدنا رسول الله عندما رأى الرجل يمدح أخاه قال: لقد قطعت عنق أخيك، ورأى جماعة أخرى على المنهج القويم المستقيم وإذا بجماعة أخرى تأتى لتمدحهم – وإن حدث ذلك فإنهم يثبطوهم ويكسلوهم ويبطئوهم – فقال ﷺ:

{ أُحْثُوا التُّرَابَ فِي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ }[١٠٧]

وذلك لأن الإنسان عندما يسمع المديح يخدل ويكسل فلا يعمل ولا ينتج ولا يذكر فينام على الفور، ولذلك كنا نذهب للصالحين لكى يعرفونا العيوب، إن لم يكن بالمحسوس فبالإشارة إما بإياك أعنى واسمعى يا جارة أو بأى طريقة أو بأى مسلك من مسالك الصالحين، وكل المهم أن يعرفنى عيوبى، وكان الواحد فينا يفرح أشد الفرح عندما يُعرفوه بعيب من العيوب لكى يعالجه!!

لماذا نذهب إلى الطبيب؟ ... هل من أجل أن يقول إنك سليم معافى؟ وهل أفرح إن قال ذلك وأنا أحس بالمرض؟ إذاً فأنا ذاهب إليه لكى يكشف علىّ ويصف لى العلاج كى أشفى من المرض، أما إذا قال الطبيب إنك سليم معافى وفى نفس الوقت أشعر بالمرض هنا أقول أن هذا الطبيب نصاب، كذلك الطب الربانى الروحانى النورانى مثله مثل طب المبانى الجسمانى، وهناك جماعة قال الله فيهم ونسأل الله ألا نكون منهم:

﴿ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [٧٩ الأعراف].

---

١٠٧ رواه مسلم عن المقداد بن الأسود.

هناك جماعة لا يحبُّون الناصحين بل يريدون المدَّاحين! فعلى هؤلاء أن يستريحوا ويوفروا على أنفسهم العناء فلا يذهبوا لطبيب ولا يدفعوا كشفاً أو غيره وذلك لأنهم يريدون من يقول لهم أنتم على ما يرام، والصالحون قد أُخذ عليهم العهد من رسول الله ألا يغشُّوا أحداً أتاهم، فلابد أن يبيّنوا للطالب عيبه وعلاجه!

إذاً المقام الأعلى فى الكشف هو أن يوجِّه الله الإنسان ليكتشف عيوب نفسه، ويكرمه فيذهب إلى الطبيب لكى يبين له العلاج ويكتب له الروشتة ويجتهد فى تنفيذها ليعالج نفسه، ولذلك يقول لنا الله تعالى مبيناً السبيل [١١٩ التوبة]:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾

وذلك لأنهم لن يغشُّوك بل إنهم ينصحوك، وكذلك لن يفضحوك بل يستروك، لكنهم يبينون لك فى رفق ولين لكى تعالج نفسك وتصبح بصيراً، وخرج ﷺ على أصحابه يوماً وهم جلوس فقال لهم :

{ هَلْ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يُرِيدُ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ عِلْماً بِغَيْرِ تَعَلُّمٍ وَهُدَىً بِغَيْرِ هِدَايَةٍ؟ هَلْ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يُرِيدُ أَنْ يُذْهِبَ اللَّهُ عَنْهُ الْعَمَى وَيَجْعَلَهُ بَصِيراً؟ أَلاَ مَنْ رَغِبَ فِي الدُّنْيَا وَطَالَ أَمَلُهُ فِيهَا أَعْمَى اللَّهُ تَعَالَى قَلْبَهُ عَلَى قَدْرِ ذلِكَ، وَمَنْ زَهِدَ فِي الدُّنْيَا وَقَصَّرَ أَمَلَهُ فِيهَا أَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى عِلْماً بِغَيْرِ تَعَلُّمٍ، وَهُدَىً بِغَيْرِ هِدَايَةٍ،

أَلاَ سَـيَكُونُ بَعْدَكُمْ قَوْمٌ لاَ يَسْـتَقِيمُ لَهُمُ الْمُلْكُ إلاَّ بِالْقَتْلِ وَالتَّجَبُّرِ، وَلاَ الْغِنَى إلاَّ بِالْفَخْرِ وَالتَّبَخُّلِ، وَلاَ الْمَحَبَّةُ إلاَّ بِالاسْـتِخْرَاجِ فِي الدينِ وَاتبَاعِ الْهَوَى، أَلاَ فَمَنْ أَدْرَكَ ذلِكَ الزَّمَانَ مِنْكُمْ، فَصَبَرَ لِلْفَقْرِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى الْغِنَى، وَصَبَرَ لِلذُّل وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى الْعِز، وَصَبَرَ لِلْبُغْضَةِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى الْمَحَبَّةِ لاَ يُرِيدُ بِذلِكَ إلاَّ وَجْهَ اللّهِ أَعْطَاهُ اللّهُ ثَوَابَ خَمْسِينَ صِديقاً }[108]

ويقصد هنا عمى الصدور، ويصف لهم بعد ذلك العلاج،فالمحبوب للرحمن يكشف له عن عيوب نفسه، واسمعوا لرسول الله ﷺ وهو يكشف للأمة عن العيوب ويوجِّه كل مؤمن إلى داخل نفسه ليرى مابه من المثالب والنقائص علّه يتَّعظ لأنه قريباً مفارق، وعند الصالحين لأنه فى الطريق سالكٌ وليس كذلك!:

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كَأَنَّ المَوْتَ على غَيْرِنَا فِيهَا كُتِبَ، وَكَأَنَّ الْحَقَّ على غَيْرِنَا وَجَبَ، وَكَأَنَّ الَّذِي يُشَـيَّعُ مِنَ الأمْوَاتِ سُـفْرٌ عَمَّا قَلِيلٍ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ، نُؤْوِيهِمْ أَجْدَاثَهُمْ، وَنَأْكُلُ تُرَاثَهُمْ كَأَنَّا مُخَلَّدُونَ، قَدْ نَسِـينَا كُلَّ وَاعِظَةٍ، وَأَمِنَّا كُلَّ جَائِحَةٍ، طُوبى لِمَنْ شَـغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ طُوبى لِمَنْ طَابَ كَسْبُهُ، وَصَـلَحَتْ سَرِيرَتُهُ، وَحَسُنَتْ عَلاَنِيَّتُهُ، وَاسْتَقَامَتْ طَرِيقَتُهُ، طُوبى لِمَنْ تَوَاضَـعَ لِلّهِ مِنْ غَيْرِ مَنْقَصَـةٍ، وَأَنْفَقَ مَالاً جَمَعَهُ فِي غَيْرِ مَعْصِـيَةٍ، وَخَالَطَ أَهْلَ الْفِقْهِ وَالْحِكْمَةِ، وَرَحِمَ أَهْلَ الذُّل وَالمَسْكَنَةِ طُوبى لِمَنْ أَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ قَوْلِهِ، وَوَسِعَتْهُ السُّنَّةُ وَلَمْ يَعْدُ عَنْهَا إلى بِدْعَةٍ }.[109]

---

١٠٨ جامع الأحاديث والمراسيل عن الحسن ﷺ.

١٠٩ (حل) عن على ﷺ، جامع المسانيد والمراسيل.

لذلك كان الصالحون يقولون:

{ من تجده مشغولاً بعيوب الناس فاعلم بأنه قد ضحك عليه الوسواس الخناس وليس له نصيب فى الطريق المستقيم الموصل إلى رضاء ربِّ الناس }

إذاً لابد وأن تغمض عينك عن عيوب الخلق وتنظر إلى عيوبك، وكان مولانا الإمام أبوالعزائم يقول لإخواننا المعلمين الذين يُعلمون فى الروضة العزمية:

{ يا أولادى! يجب أن يكون لكل واحد منكم نظَّارة تنظر بها إلى عيوبك وإلى حسنات إخوانك، وجراباً تجعله خلف ظهرك تضع فيه حسناتك وعيوب إخوانك }

لكن لو وضعت أمام نفسك حسناتك فقد ضعت وأضعت لأنك ستغتر ومن يغتر ينضَّر ولن يصل إلى ما يريد عند الحميد المجيد ﷻ، ومن يضع أمام عينيه عيوب إخوانه فإنه مسكين لأنه أدخل نفسه فى بضاعة الشيطان فيبدأ فى انتقاد هذا وتجريح هذا وسب هذا وشتم هذا ومثل هذا لا شأن له بالصالحين لأن الصالحين يقول فيهم سيدنا الإمام علىّ:

(أنفسهم عفيفة... وحاجاتهم خفيفة...، الناس منهم فى راحة وأنفسهم منهم فى عناء).

إذاً فالدرجة الثانية أو الأعلى فى الكشف هى كشف العيوب!!!وإذا كوشف الإنسان بالعيوب وأصلحها هنا يسمى صالحاً لأنه أصبح صالحاً، من هو الصالح؟ الذى صلح للمواجهات وللوصل و الفضل والعطاء أى خالٍ من العيوب.

كشف الجمال

وهنا ينتقل للدرجة الأعلى فى الكشف، فيكاشف بأوصاف الحبيب المحبوب ليتجمل بها فى نفسه ويعمل بقول الله:

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ٢١﴾ [الأحزاب]

وبعد أن يكاشف بأوصاف الحبيب المحبوب، ليست الكتابية النقلية ولكن الجمالية التى جمله بها ربّ البرية، ولا تلوح هذه الأوصاف إلا لأهل القلوب التقية النقية شهود قول الله تعالى المشهود لعيون وبصائر أهل العيان والشهود:

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۝١٨ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٢٠ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [المطففين]

هل يقرأه أم يشهده فى الآية؟ "يَشْهَدُهُ" فهو كتاب مشهود: ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ [٣ البروج] وعندما يشهد أوصاف الجمال وخصال الكمال من خير نبى أرسله الله ﷺ وجمله بهذا الجمال وكمله بهذا الكمال وينقش فى نفسه إلى أن يصبح صورة على قدره فى التشبه بحضرته.

كشف مساتير الغيوب

يرتقى بعد ذلك إلى كشف مساتير الغيوب ويدخل فى قول الله:

﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾ ..... أصبح هنا صورة من العبد ﴿ مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ لماذا؟ ..... ليريه الغيوب ...... ﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [١ الإسراء]

إذاً فدرجات الكشف هى أولاً كشف الذنوب وخطورتها، وثانياً كشف العيوب التى فىَّ وليست التى فى غيرى، وثالثاً كشف جمال وأوصاف الحبيب المحبوب، ثم بعد ذلك كشف مساتير الغيوب، ومثل هذا يدخل من باب:

﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ ﴾ [النجم]

سرٌّ من سرٍّ، ورمزٌ من رمزٍ!! لا يذاع ولا يشاع لأصحاب ولا لأتباع وإنما يفتحون له الباب ويرفعون عنه النقاب ويجمّلوه بحلة الوهب من العلى الوهاب ويقولون له: ها انظر بغير حجاب ولا نقاب!!!

وصلى الله على سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه وسلم.

الباب الثامن

المنهاج القويم للمريدين[١١٠]

۞مريدو هذا الزمان!!

۞ طريق أهل الصدق واليقين

۞ الكلُّ فى النهاية سيصل للغاية

١١٠ الجمعية العامة للدعوة إلى الله بحدائق المعادى يوم الجمعة الموافق ٢٥ من شعبان١٤٣١هـ ٦ من أغسطس ٢٠١٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتًا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورًا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ ﴾

[١٢٢ الأنعام]

الباب الثامن
المنهاج القويم للمريدين

۞ مريدو هذا الزمان!!

ابتلينا فى هذا الزمان بأهل الأهواء، فكلٌ يريد أن يمشى على هواه، وفى نفس الوقت ينال مناه، والذى أعرفه أن السالك فى طريق الله هو الذى يمشى كما نريد، ولنا هيمنة عليه، نقول فيطيع، ونأمر فيسمع، وما أقل وأندر الصادقين، لأن الصادق دائماً تهيمن عليه، لكن تجد المريد يمشى على هواه، ويريد أن ينال مناه، وفى نفس الوقت إذا كان يريد فتح أو رؤيا أو غيرذلك، ينسب عدم حصوله على ذلك إلى الشيخ!!

فالمريد يريد من شيخه أن يقول له كن ولى فيكون ولياً، أو كن من أهل الكشف فيكون من أهل الكشف ......!!!

هذه التكليفات أنا غير مكلف بها، أما التكليفات التى أنا مكلف بها كن مستقيماً، كن مطيعاً، اقتدى بالحبيب الشفيع، تأسى بالصالحين، والفضل فضل الله لا بيدى ولا بيد غيرى ، قال تعالى فى(٤الجمعة):

﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾

فالمريدين فى هذا الزمان يريدون أن يبلغوا كُمَّل درجات أهل العرفان بدون أسباب، فهم يريدون أشياء خارقة للعادات، ونحن ليست عندنا هذه الأشياء، ولكن إذا أنت خرقت عادات نفسك تُخرق لك العوائد، أول العادات أن أذم نفسى كلما جلست مع قوم حتى يثنوا علىَّ، لكن المنهج الذى تعودنا عليه للمريد إذا أراد أن يمشى على المنهج الحميد أن يكون أخرس أعمى أصم، لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم، حتى يُلقى نفسه فى ساحة العارفين!!!

فالذى يسمح للسانه بالكلام فإنه سيدخل فى آفات اللسان، وقلَّ من ينجو منه، والذى يسمح لآذانه بالإنصات للأنام فإنه سيقع فى آفات الآذان وقلَّ من ينجو منها، والذى يسمح لعينه تنظر يميناً وشمالاً فكذلك، إذاً متى شاشة القلب تَصْفى وتشف وترقى؟ إذا كان المريد أصم وأعمى وأخرس إلا عن الحق، إذاً كيف يسمع؟ يسمع بأذن القلب، وكيف يرى؟ يرى بعين البصيرة، وكيف يتكلم؟ يتكلم بآنات القلب فى ذكر الله جلَّ فى علاه، وأذكره ليس من أجل العطاء، ولكن أذكره لأنه أهلاً للذكر، وهذا هو المنهج الذى مشينا عليه واقتدينا به.

من فى الإخوان يسمع الروشتة وينفذها؟!

المريد يريد أن يكون كموظفى هذا الزمان لا يجلس على مكتبه إلا دقائق ويريد فى نهاية الشهر أن يأخذ راتبه فى جوال!! ويريد أيضاً ألا يدخل المسجد إلا قليلاً حتى تعرفه الناس وتعظمه ويكون فى ليلة القدر هو أول المقربين وصاحب القدر العظيم!! فنحن لا يهمنا الحركات الظاهرة ولكن تهمنا القلوب، معاملة الله وعطاياه على حسب القلوب[٧٠ الأنفال].:

﴿ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ ﴾

فالمنهج الإسلامى: ﴿ وَجَـٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ وبعد ذلك :﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ ﴾

[٧٨ الحج] لكن الذى لا يريد أن يبدأ هذا الجهاد ويكون شيخ وحوله مريدين كنظام الموالد، فماذا نفعل له؟!! والمشيخة بالذات من طلبها لا يأخذها، ولكن اطلب الله وكن له حيث أقامك، ولكن لا تحدد على الله، فهذا الذى تعلمناه من مشايخنا فى الله ﷻ.

كذلك كثرة الإلحاح على الشيخ للحصول على طلب سواء بالتليفونات أو المحادثات لا يؤدى إلى نتيجة، بل إن الإلحاح قد يزيد البغضاء فى القلب، لأن هذا يدل على أنه إنسان غير مؤدب ولا مهذب، وطريق الله كله بالأدب.

فمعظم مشاكل مصر بالنسبة للصوفية سببها الدروشة الموجودة والتى تسببت فيها عصور الظلام، فى الحقبة العثمانية والاستعمارية، والتى جعلت شيوخ الطرق يشتغلون بتحضير الجن، وبالسحر حتى يشدوا الناس ويجذبونهم، فيظل حتى يُحَضِّر واحد من الجن ويخاويه، أى يتآخى معه - والمؤاخاه مع الجن غير مطلوبة فى كتاب الله ولا سُنة رسول الله – حتى تعتقد الناس أنه ولى من أولياء الله، حيث يخبر الناس بأسمائهم أو ما فعلوه بالأمس أو ما قبله عن طريق الجن:

﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡ ﴾ [٢٧الأعراف]

ولكن لا يستطيع أن يخبرهم بما فى الغد، ومعظم الناس سُذَّج، فينقادوا لهذه الحيل والألاعيب الشيطانية،ولذلك هم يستغلُّون الناس بمثل هذه السذاجات.

طريق أهل الصدق واليقين

لكن الأولياء الكُمَّل ليس لهم شأن بمثل هذه الأمور، حتى إن ظهرت على يديه كرامة لا يطلبها ولا يقف عندها، وإنما تكون من الله لضرورة اقتضاها الوقت، وهو يفر منها، وهذا هو حال الصالحين الصادقين، أين تجد هذا الكلام الآن وسط هذا الكم الكبير من المتمشيخين، ومدَّعى المعرفة والولاية؟!!

ومعظم الناس همج رعاع يريدون هذه الأشياء التى فيها المدَّعين، ولكن نحن طريق آخر، فنحن نجدد حال: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ [٢٩الفتح] ولذلك لا يوجد منا أحد يمشى حافياً أو عرياناً، ولا يوجد فينا أحد يؤاخى واحدة ويقول هى أختى فى الله ويسافر بها هنا وهناك، ولا نرتاد الموالد، حتى نبعد عن هذه الشبهات، نحن نزور الصالحين ولكن فى غير أوقات الموالد، لا يوجد فينا من يلبس خيشاً، أو يضع قيود حديد، ولا يوجد أحدٌ فينا يترك أولاده ليعيش فى الصحراء،

لأن هذا لم يحدث فى عصر النبى فلم نسمع عن أحد الصحابة فعل مثل هذا! ففعل هذا يلفت النظر ويعامله العامَّة على أنَّه ولىٌ فتسرُّ نفسه، لكن الأولياء هم من أشار إليهم ﷺ:

{ الاخفياء الأبرار الذين إذا شهدوا لم يقربوا، وإذا غابوا لم يفتقدوا، تعرفهم بقاع الأرض، يعرفون في أهل السماء ويخفون على الأرض، وتحفُّ بهم الملائكة }[111]

ويقول فيهم فى الحديث الآخر :

[111] مسند الحارث عن أسامة بن زيد وإحياء علوم الدين وتخريج أحاديثه للحافظ للعراقى، والحديث عظيم فى بابه ونورده بتمامه لأنه من الأحاديث المتكاملة فى وصف أهل هذه الأحوال العالية، عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قال رأيت النبي ﷺ أقبل على أسامة بن زيد فقال له: { يا أسامة عليك بطريق الجنة وإياك أن تختلج دونها، فقال: يا رسول الله وما أسرع ما يقطع به ذلك الطريق؟ قال: الظمأ في الهواجر، وحبس النفس عن لذة النساء، يا أسامة وعليك بالصوم؛ فإنه يقرِّب الى الله، انه ليس شيء احب الى الله من ريح فم الصائم ترك الطعام والشراب لله، فإن استطعت ان يأتيكَ الموت وبطنك جائع وكبدك ظمآن فافعل، فإنك تدرك بذلك شرف المنازل في الآخرة وتحل مع النبيين يفرح بقدوم روحك عليهم ويصلي عليك الجبار، وإياك يا أسامة وكل كبد جائعة تخاصمك الى الله يوم القيامة، وإياك يا أسامة ودعاء عباد قد اذابوا اللحوم واحرقوا الجلود بالرياح والسمائم وأظمأوا الاكباد حتى غشيت أبصارهم، فان الله إذا نظر إليهم سرَّ بهم، الملائكة بهم تصرف الزلازل والفتن، ثم بكى النبي ﷺ حتى اشتد نحيبه وهاب الناس ان يكلموه حتى ظنوا ان أمرا قد حدث بهم من السماء، ثم سكت فقال: ويح لهذه الأمة ما يلقى منهم من اطاع ربه منهم كيف يقتلونه ويكذبونه من أجل انهم اطاعوا الله، فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله والناس يومئذ على الإسلام! قال: نعم، قال: ففيم إذا يقتلون من اطاع الله وأمرهم بطاعته، فقال: يا عمر ترك القوم الطريق وركبوا الدواب ولبسوا الين الثياب وخدمتهم أبناء فارس، يتزين منهم الرجل تزين المرأة لزوجها، وتتبرج النساء، زيهم زي الملوك ودينهم دين كسرى وهرمز، يسمنون ما يعود بالجشا واللباس، فإذا تكلم أولياء الله عليهم العبا محنية اصلابهم قد ذبحوا أنفسهم من العطش، فإذا تكلم منهم متكلم كُذِّب، وقيل له أنت قرين الشيطان ورأس الضلالة تحرَم زينة الله والطيبات من الرزق، يتأولون كتاب الله عن غير دين، استذلوا أولياء الله، واعلم يا أسامة ان أقرب الناس من الله يوم القيامة لمن طال حزنه وعطشه وجوعه في الدنيا، الاخفياء الأبرار الذين إذا شهدوا لم يقربوا، وإذا غابوا لم يفتقدوا، تعرفهم بقاع الأرض، يعرفون في أهل السماء، ويخفون على الأرض، وتحف بهم الملائكة، تنعم الناس وينعمون هم بالجوع والعطش، لبس الناس لين الثياب ولبسوا هم خشن الثياب، افترش الناس الفرش وافترشوا الجباه والركب، ضحك الناس وبكوا يا أسامة، لا يجمع الله عليهم الشدة في الدنيا والآخرة، لهم الجنة ويا ليتني قد رأيتهم يا أسامة، لهم الشرف في الآخرة ويا ليتني قد رأيتهم الأرض بهم رحيمة، والجبار عنهم راض، ضيع الناس فعل النبيين واخلاقهم وحفظوا هم، الراغب من رغب الى الله في مثل رغبتهم، والخاسر من خالفهم، تبكي الأرض إذا فقدتهم، ويسخط الله على كل بلد ليس فيها مثلهم، يا أسامة وإذا رأيتهم في قرية فاعلم أنهم أمان لأهل تلك القرية، لا يعذب الله قوما هم فيهم، اتخذهم لنفسك عسى أن تنجو بهم، وإياك ان تدع ما هم عليه فتزل قدمك فتهوى في النار، حرموا حلالا أحل لهم طلباً للفضل في الآخرة، وتركوا الطعام والشراب عن قدرة، لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيفة، شغل الناس بالدنيا وشغلوا أنفسهم بطاعة الله، لبسوا الخرق وأكلوا الفلق تراهم شعثا غبرا يظنُّ الناس ان بهم داء وما ذاك بهم، ويظن الناس انهم قد ذهبت عقولهم وما ذهبت ولكن نظروا بقلوبهم الى ما ذهب بعقولهم عن الدنيا، فهم في الدنيا عند أهل الدنيا يمشون بلا عقول، يا أسامة عقلوا حين ذهب عقول الناس، لهم البشرى في الآخرة }.

{ إِنَّ أَغْبَطَ أَوْلِيَائِي عِنْدِي لَمُؤْمِنٌ خَفِيفُ الْحَاذِ ذُوحَظٍ مِنَ الصَّلاَةِ، أَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ وَأَطَاعَهُ فِي السِّرِّ وَكَانَ غَامِضاً فِي النَّاسِ لا يُشَارُ إِلَيْهِ بالاصَابعِ، وَكَانَ رِزْقُهُ كَفَافاً فَصَبَرَ عَلَى ذَلِكَ. ثم نَقَرَ بإصْبَعَيْهِ فَقَالَ: عُجِّلَتْ مَنِيَّتُهُ قَلَّتْ بَوَاكِيهِ قَلَّ تُرَاثُهُ.}[112]

فلا يعرفه من حوله حتى زوجته لخفاء أحواله القلبية والروحية .. لأنهم يمشون على المنهج المحمدى، والذى يمشى على هذا المنهاج لابد أن يُحدد وجهته، فتكون وجهتك الله، فلا تطلب شيئاً سواه، فلو طلبت الجنة فهذا سوء أدب فى قصدك لله!! كيف تطلب الله وتطلب الجنة وهى خلق من خلق الله؟!! كذلك لا تطلب مع الله الكشف والكرامات والإلهامات، فهذه الاشياء فى نظر الغير راقيات لكنها فى نظر العارفين بليَّات!!!

الكلُّ فى النهاية سيصل للغاية

فالذى يريد الله لا يبغى به بدلاً، ولا يرجو بسواه حِوَلا ... فليعلم تمام العلم أنَّ الله تعالى تسامت حكته وفاضت رحمته، فهو لن يحرمه مادام جعل الله وجهته! فإذا لم يعطه الله بعد مناه، فليعلم علم اليقين وليتأكد بلا شكٍ من أن الله سيعطيه ما يتمناه من العطايا فى الوقت الذى يراه فيه الله كفأً لحمل هذه الأمانة ....

---

112 رواه الإمام الترمذى فى سننه عَنْ أَبِي أُمَامَةَ

إن كان فى الدنيا أو يوم الدين، فالذى يتحمَّل منا فى الدنيا سيعطيه مولاه، والذى يرى أنه لا يتحمَّل، ومن الجائز أن يزلَّ أو يضلَّ فإنهم يحفظون له عطاءه حتى يخرج من الدنيا، فأنا لا أستطيع أن أعطى أمانة لا يحملها إلا الأبطال لطفل غرير لا يعرف قيمتها ولا حفظها! فإن ضيَّعها حوسب عليها! وإن حفظها ربما افتتن بها أو أتلفها!

فكل الموضوع أن الأعضاء والحواس الباطنية والحمد لله تعيش فى الإشراقات والأنوار القدسية والإلهامية، لكن حتى تحس بها وأنت فى البشرية لابد أن تأخذ دورة فناء كلى فى الذات الربانية، وبعد الفناء يأتى البقاء:

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾ [١٢٢ الأنعام]

فإذا لم تقدر على دورة الفناء فى الدنيا، فعندما يأتى الفناء الأصلى ستدخل عالم البقاء وتجد كل ما تصبو إليه من مسرة وهناء!!

إذاً كلنا سنصل للغاية والمراد ، فالذى يستطيع أن يفنى هنا سينال وهو هنا ويبقى له ذلك هناك، !!!.. ، والذى لا يستطيع أن يفنى هنا فإنه لا بد أن يفنى وسينال هناك!!! ..، وفى النهاية كلٌ يستوى عند الواحد المتعال ﷻ مادام من أهل النوال!! ...، والذى لا يستطيع أن يفنى هنا فذلك لمشاهد كونية أو تكليفات شرعية كلفه بها الله، كرعاية الأولاد ورعاية الزوجة وحقوق العمل؛

فهذه المشاغل تكون أكبر من طاقته ولا يستطيع أن يتخلى عنها لأنها أمور تكليفية شرعية لابد منها، ونحن كما قلنا ليس عندنا أحد يهرب من هذه التكليفات ويذهب إلى الصحراء أو ما شابه ذلك، فهذا منهج لا نرضاه، ولكن أهم ما عليه أن يقوم بالتكليف الشرعى الذى كلفه به الله، فإن استطاع بمعونة الله وبتوفيق الله وبرعاية شيخه أن يصل للفناء وهو فى عالم الدنيا فلا يُسقط التمييز، ولا يخل بالحقوق لأصحاب الحقوق فهذا فضل الله!، هم قليل، لكن الكلُّ فى النهاية سيصل للغاية:

﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [ق]

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب التاسع

الموجز الأنفس فى تزكية الأنفس[١١٣]

۞تعريف النفس

۞ طرق تزكية النفس

۞ ميادين جهاد النفس

١١٣ الجمعية العامة للدعوة إلى الله بحدائق المعادى يوم الخميس الموافق ١٦ من ربيع الثانى ١٤٣١هـ ١من أبريل ٢٠١٠م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾

سورة الشمس

الباب التاسع
الموجز الأنفس فى تزكية الأنفس

إخوانى الأحباب الكرام...

نحن فى الحقيقة تحدثنا كثيراً وكثيراً عن جهاد النفس وتزكيتها وطريقة التزكية وميادين الجهاد، حتى بحمد الله نستطيع أن نقول: فصلنَّا هذا الموضوع تفصيلاً وبسّطناه بسطاً لم يُبسط من قبل فى كُتب الصالحين بحسب العصر.

لكن أحد الأحباب بعد ذلك كله قال لى: نريد أن تعطينا موجزاً مختصراً بسيطاً فى تزكية النفس، فقلت له قد تحدّثنا فى هذا الموضوع مراراً وتكراراً ... فهناك كتاب: (المجاهدة للصفاء والمشاهدة) وكتاب: (النفس .. وصفها وتزكيتها) وهناك كتب لا عدّ لها ولا حدّ لها، قال: أنا أريد أن تختصر لنا الموضوع كله فى محاضرة واحدةٍ بسيطة، ولذا فسنحاول هنا أن نُقرّب الحقيقة ونبين ونعيد، ولكن يمكن أن يكون هذا آخر حديث لنا فى هذا الباب لأن الأحباب تشبعوا بهذا الباب، ونريد أن ننتقل إلى الأبواب الأعلى فى طريق الله ﷻ.

❁ تعريف النفس

النفْس هى جوهرةٌ نورانيّة ربانيّة من أمر الله ﷻ، عليها إدارة وتيسير هذا الجسد، تنظر فى طلباته من مأكل ومشرب ومن شهوة ومن غضب .... فكل طلبات هذا الجسد المُتولى سياستها وتدبير أمورها هى النفس، ولذلك النفس - وهذا ما يجعل كثيراً من الناس يتشكك فيما يسمعه عنها - قابلة للتفاوت وللتنويع، فمن الممكن أن تكون النفس مَلكاً وأعلى بأوصافها وبعُلو الهمّة وبالرقُىّ فى الأخلاق والأعمال والأحوال! فتنطبع عليها أحوال الملائكة وأعمالهم فتصير نفساً ملكوتيّة!، ومن الممكن أن تصبح النفس شيطاناً وأدنى، إذا اتصفت بأوصاف الشياطين كالخِسّة والدناءة والمكر والدهاء .... وما شابه ذلك من الأوصاف الإبليسيّة التى تجعل الإنسان كما قال الرحمن ﷻ:

﴿ شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ ﴾ [١١٢ الأنعام]

وربما تكون النفس حيواناً وأضّل إذا كان همّها كله فى الشهوات الحيوانيّة من مأكلٍ وملبسٍ ومشربٍ ومنكحٍ، وليس لها همٌ غير ذلك .. فبذلك تدخل فى قول الله ﷻ:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ ﴾ [١٧٩ الأعراف]

والإمام أبو العزائم ﷺله فى ذلك المقام قصيدةٌ بسيطةٌ فى الألفاظ، راقيةً فى المعانى يقول فيها:

بهجة النفس بالجمـــال العلـــىّ لا بمُلكٍ يفنى وحظٍ دنــــــــىّ
وابتهاج الشــيطان حســد وكبر بـفســـاد وفُـرقـة وبـغـى
وابتهاج الشـيطان أكل وشــرب ونكاح وذلك قصــد القصــى
وابتهــاج النفوس بعـد زكـاهـا رغبـة الفوز بـالمقـام الهنى
هى نفسٌ إن طهُرت وتزّكـت تـتـهـنّـى بـحُـظـوةٍ بـالـولـىّ
وهى إبليس إن أبـت وتعـالـت وتعامت عن ســرّها الآدمىّ
وهى حيوانٌ بل أضــّــل ســبيلاً إن تسلتّ عن حُسنها بالدنىّ
بين تلك النفوس بونٌ بعيــــــــدٌ فى خفاءٍ عن مدرك الألمعىّ

هذه القصيدة موجودة فى كتاب معارج المُقربين للإمام أبى العزائم ﷺ وأرضاه ، وهى تُبيّن أن النفوس تتفاوت، فمن الجائز أن يكون إنساناً؛ لكنّ صورته الباطنة المُهيمنة والمُسيطرة عليه ملّكٌ وأعلى لأنه دخل فى قول الله:

﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم]

ومن الجائز أن يكون إنساناً يتصف بأوصاف الشياطين أو طباع البهائم، فينزل عن درجته التى أكرمه بها الكريم:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ [٧٠ الإسراء]

إلى درجة دنيّة إن كانت حيوانيّة أو إبليسيّة، ويراه الناس فى صورة إنسان، لكن أهل البصائر يرونه فى صورة حيوان أو فى صورة شيطان والعياذ بالله ﷻ!!.. فالنفس قابلة للتنوّع وللتفاوت بحسب أوصافها وأحوالها وأعمالها.

❁ طرق تزكية النفس

كيف تكون تزكية النفس؟

بإختصارٍ شديد تزكية النفس أو مراقى النفس لها أنواع، فمن الممكن لكل واحدٍ أن يدخل فى نوعٍ من هذه الأنواع ويكتفى به، وإما أن يترقى - وهذا للأفراد - فى هذه الأنواع كلها، وهى أربعة أنواع.

تزكية النفس يكون إما عن طريق الصُحبة، أى صُحبة العارفين والصالحين والمُتقين والروحانيين، وهذا النوع من أسرع الطُرق فى تزكية النفس، لأن الإنسان سريع النقل ممن يجالسه .. حتى أن الإنسان إذا داوم الجلوس مع بعض الناس أو مع إنسان آخر تجده بعد مُدّة - طالت أو قصُرت - يتشبّه بهم فى الأقوال والأفعال حتى الحركات لأن العدوى تُصيبه وهو لا يشعر!! ولذلك أسرع طريق لتزكية النفس هو صُحبة الصالحين، وهذا هو ما قال الله فى كتابه(١١٩التوبة):

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾

هل يستطيع الإنسان أن يُزَّكى نفسه بنفسه ؟

لا يستطيع أى إنسان بنفسه أن يُجاهد نفسه، لأنه لا يعلم وسائل الجهاد ولا طُرق وميادين الجهاد، ولا عقبات الجهاد، ولا المراقى التى يترّقى فيها أثناء الجهاد، إن كانت معارك سيرقى فيها، أو مدارج والعياذ بالله سيهوى فيها، لا يعلمها إلاّ خبير علمّه البشير النذير وسلَّمه إذنٌ من العلىّ الكبير ﷻ.

فالميدان الأول فى تزكية النفس أو تطهيرها يكون بصّحبة الصالحين والمُتقين، أو بالسماع، كسماع القرآن الكريم من صوتٍ خاشعٍ، أو سماع العلم والمواعظ والخُطب من عالمٍ عامل مُتمكن أقامه الله ورسوله فى ذلك، ويساعد على ذلك قراءة سيَّر الأنبياء والمرسلين والوارثين والصالحين ... فهذا أيضاً يساعد على تزكية النفس لكن لا يُزكى بمفرده، أو سماع المواجيد النظميّة لأنها تهُزّ أرجاء النفس وتُبين لها اللبس والمعانى الكمالية والأكملية التى تحث النفس المُطّهرة القُدسيّة على الوصول إليها فى هذه الأطوار الكونيّة وفى حياتها السلّوكيّة.

ولذلك تجد المريد الذى يريد تزكية نفسه مشغولٌ بهؤلاء، إمّا فى صحبة شيخه، وإمّا فى سماع القرآن، وإمّا فى سماع مواعظ ودروس علمٍ توضّح له الطريق وتُقرّبه إلى الرحمن، وإمّا فى مطالعةٍ لسيَّر الصالحين والمتقين والنبيين والمرسلين.

الإمام الجُنيد ﷺ وأرضاه كان يقول:

(حكايات الصالحين تُثبّت المريدين، وتُقّوى جهاد السالكين)، فقالوا: وهل عندك من دليل؟

قال: نعم اقرأ معى قول الله ﷻ عندما أمر رسوله وقصّ عليه القصص: ﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ [١٢٠ هود] فقصّ الله على الحبيب قصص الأنبياء والمرسلين لتثبيت الفؤاد، وكذلك للمريدين يكون التثبيت أقوى }

وهذا باب فى تزكية النفس، وكل هذا الباب شحذ للعزيمة وتكسير للذات، ووضع الخُطّة لتزكية النفس وإصلاحها.

فإذا ألمَّ المريد بذلك يدخل بعزيمة صادقة على جهاد النفس، فى أى شئ يجاهد النفس؟ جهاد النفس فى قهرها على ترك الشهوات التى تطالب المرء بها فى كل الأوقات، فهى تحتاج إلى القهر، فلا ينفع معها اللين ولا ينفع معها السياسة، لابد من قهرها، لأن الشهوات هى التى تحرم الإنسان من سلوك طريق القرب إلى الله ﷻ ومن متابعة سيد السادات ﷺ .. فكيف يقهرها؟ لابد أن يمنعها من حظوظها وشهواتها، وسيَّر الصالحين مليئةٌ بالجهاد:

وخالف النفس والشيطان وإن هما محضّاك النُصح فاتهما

إذا كان حظّ النفس فى الأغانى .. أمنعها بالكليّة عن سماع الأغانى، أو شهوتها فى مشاهدة المُسلسلات .. أمنعها بالكلية من مشاهدة ومتابعة المسلسلات، أو شهوتها فى الحديث فى الغيبة والنميمة وكثرة الكلام .. لابد أن أمنعها منعاً باتّاً من شهوة الكلام - وسيَّر الصالحين مليئة بالجهاد فى هذا المضمار.

وكذلك لو شهوتها فى الظهور، فتحب فى أى مجلس تجلس فيه أن يقول الناس : فلان هذا عمل كذا وكذا .. لابد أن أعرّفها مكانتها وأجعلها فى عُبُوديتها لله ترضى بأمر الله لأن: (من كان يُحب الظهور فهو عبدٌ للظهور، ومن كان يُحب الخفاء فهو عبدٌ للخفاء، ومن كان عبداً لله فسواءٌ عليه أظهره أم أخفاه).

واستعان الصالحون فى قهر النفس بالتقليل من الطعام، والتقليل من الكلام، والتقليل من المنام، والتقليل من مخالطة الأنام.

فإذا قهرها عن شهواتها وحظوظها واستسلمت، يبدأ فى تقليل بعض المباحات التى يبيحها الشرع له:

فالشرع أباح له فى غير رمضان الفطر ... فلا بد أن يكون له بعض الأيام فى الصيام، الشرع أباح له النوم ليلاً ... لابد أن يوقظها فى جوف الليل الآخر والناس نيام، الشرع أباح له اللهو أحياناً ... فيجعل لهوه على ما كان عليه الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام .... إذاً يقلل من بعض المباحات التى أباحها له الشرع إلى أن يصل إلى درجة يكتفى بالضرورات، وهذا حال الصالحين، ويُسمّى هذا الطور بالجهاد، فلابد من الجهاد وكما قلنا:

(كل مريد لا يريد أن يجاهد نفسه فلا يطمع أن يجد ولو شمّة فى طريق الله ﷻ حتى ولو كان شيخه قُطب الوقت)

فلابد له من الجهاد على يد شيخ ذى بصيرة وإلهام وإمداد!.

إذا ارتقى عن ذلك وأراد الجهاد الأعلى والأرقى، فتأتيه إلهامات من الله نتيجة معايشته للصالحين من عباد الله تُعرّفه بحقيقته وبدايته ونهايته، يعرف علم البدء وعلم الميعاد، وهذا يكون قد ارتقى وشفًّا وصفا، فيجد نفسه إما من سلالةٍ من طين، وإما من ماءٍ مهين، وإما من تراب وإما فى قوله (١الإنسان):

﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ﴾

وهذا ليس كلام، ولكنه يعاين نفسه فى هذا المقام، ويرى أن كل ما فوق التراب هو جمالٌ تفضّل عليه به الكريم الوهاب ﷻ، ويعيش فى هذا الحال وتتنزل له الأسرار العالية والعلوم الراقية بسّر استدامته على هذا الحال، ويقول فيه الإمام أبو العزائم ﷺ ولمن وصل إلى هذا المقام:

عَلِمتُ نفسى أنّى كنتُ لا شئ فصرت لا شئ فى نفسى وفى كلىّ
به تنزّه صرت الآن موجوداً به وجودى وإمدادى به حولى
ومن أنا عدمٌ الله جمّلنى فصرت صورته العَليا بلا نيل

يقف عند مقام بدايته ويخاطب نفسه بما يَرِد عليه من إمداد عنايته، فيقول :

أيا أيها الإنسان من طين فخار	تكونــت كى ترأى مظــاهر
ومن نطفة أنشـــأت آياً جلية	فصرت بمحض الفضل حصن
أكنت بصيراً أو سميعاً وعالماً	ولكننى أحســنـت بـالمـدرار
تبصـــر فأنت الطين والماء	جمالى وأســرارى وســرى

فيشهد فى نفسه جمال ربه ﷻ ليذوق أنسه :

﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الذاريات]

وفى قراءة: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَه ﴾ حالٌ يُمَد به هؤلاء الأفراد بصدق الجهاد وصدق العزيمة فى نيل المراد، فيكونون فى هذا الحال على أعتاب الحقيقة والله ﷻ يكملهم بما يهبُه لهم من أنوار وأسرار الله ﷻ فى قرآنه وفى إلهامات وإمدادات نبيّه صلوات ربى وتسليماته عليه.

إذا صدق مع نفسه فى هذا الطور لا يغرّه ثناءٌ، ولا يريد من الخلق مديحاً ولا شكراً لأنه يعلم حقيقته، وكان الإمام علىّ فى هذا المقام عندما يمدحونه ويُثنون عليه يقول: (اللهم إنى أعلم بنفسى منهم، اللهم اجعلنى خيراً مما يظنون).

فإذا جاهد نفسه فى هذا الطور رقّاه الله وحباه وأدناه إلى مقام التلقّى، ومقام الترقّى لمداومة الجهاد للنفس، لأن الأمر كما قال الإمام أبو العزائم ﷺ: (لا ينتهى جهاد النفس حتى مع كمّل الأفراد حتى خروج النفس الأخير) فليس له جهادٌ لغاية وينتهى! لأن الجهاد لا ينتهى أبداً:

لا يزول الشوق منى أبداً والمُقَرّبُ فى الحقيقة كالقصىّ

فيرقّيه الله إلى مقام التلقّى، إمّا أن يتلقّى من العبد المُقام، وإمّا أن يتلقّى فى قلبه مباشرةً من الله ﷻ، أو من الحبيب عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، فيتلقّى فى كل نفَس أحوال لا تطيق أن تتحملها أعظم الجبال فى هذه الدنيا، ولذلك هذا لا يُحكم عليه ولا تحاول أن تحاسبه، لأنه لا يملك زمام نفسه، وإنّما كما يقول الله:

﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾ [مريم]

قد يكون فى حال عظيم بين الخلق، ويُلقى الله ﷻ فى فؤاده وروعه أن يهجر الخلق إلى الخلوات أو إلى الفلوات، ولابد له من التنفيذ، وإذا سألته لِمَ تفعل ذلك؟ لا يستطيع أن يجيب، لأنه يسمع من مكان قريب، وحاله فى نظر الآخرين عجيب، فكيف يُدلل على ما يفعل؟! لا يستطيع أن يُدلل بالأدلة والبراهين التى يريدون أن يسمعونها لأنه يتلقّى شفاهاً كفاحاً من حضرة الله أو من رسول الله أو من العبد القائم الذى أقامه مولاه جلّ فى عُلاه!!.

قد يكون فى الأسباب فيتلقى أمراً من الله ﷻ أن يترك الأسباب، أو قد يكون تاركاً للأسباب فيأتيه إذنٌ من الله فورى أن يدخل فى الأسباب ... فيتلقّى من الله، وهذا يستمر فى جهاد نفسه على حسب ما يُتلى عليه:

﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ﴾ [٢٧ الكهف]

على حسب ما يتلقى وعلى حسب ما يُلقى فى روعه، قد يكون إلقاءٌ فى الروع وهو أن روح القدس قذف فى روعه، وقد يكون إلهاماً من الله، أو إلقاءاً:

﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦ ﴾ [النمل]

ويدوم جهاده على حسب ما يَرِد عليه كما ذكرنا وكما بيّنا.

هذا إن شئت قلت أنواع جهاد النفس، وإن شئت قلت للأفراد وللكمل مراحل جهاد النفس، وهى تزكية النفس أو جهاد النفس أو معرفة الإنسان لنفسه وإقامته فى مقام التوحيد أو مقام التلقى كما أشرنا إليه وألمعنا إليه.

ميادين جهاد النفس

لكن ما هى الميادين التى يجاهد فيها الإنسان نفسه؟

ميادين جهاد النفس التى يجاهد فيها الإنسان نفسه ثلاثة وهو مطالب أيضاً بغيرها ... ولكنَّا نبسط هذه الثلاثة أسس وياهناء من جاء بها!!:

معانى صفات الربوبيّة التى يتنزل بها الله ﷻ وتظهر فى العُبوديّة:

والتى يحب الإنسان دائماً أن يظهر بها بين البرية وهى : الكِبر، الرياسة، العلم، الجاه، المنزلة، العِزّة، العظمة، الغِنى، الفخر، الخُيلاء .... وهذه كلها أوصاف لحضرة الربوبيّة، لكن الإنسان يريد دائماً أن يظهر بها ويلبس هذه الجلابيب، جلابيب حضرة الربوبيّة، ويظهر بها بين البريّة!! يريد أن يسمع من الناس: فلان هذا رجلٌ غنى، فلان هذا عظيم، فلان هذا وجيه ... وهذه كلها أوصاف الربوبيّة أو معانى الربوبيّة والتى يجب على الإنسان أن يجاهد فيها نفسه حتى لا تتصف بها ولا تنطبع بأوصاف أهلها .

كذلك مثلها أو أقل منها فى الدرجة أوصاف إبليس:

وهى الخداع، الدهاء، المكر، الحيلة، سوء الظن .... والإنسان يحب أن يظهر بذلك ويشتهر بذلك، فيحب أن يقول الناس عليه فلان هذا ماهر فى الخداع، فلان هذا عنده حيَل ولا كبار المهندسين حتى اليونانيين القدامى أو المحدثين ... فلابد أن يجاهد نفسه فى عدم الانطباع عليها.

كذلك مثلها طباع البهائم:

وهى الشَره، الحِرْص، الغفلة، شهوة الأكل، شهوة المنكح .... وغيرها من الأوصاف البهيميّة التى يجب على الإنسان أن يتنزّه عنها.

إذاً فيم يكون جهاد الإنسان لنفسه؟

- يجاهد نفسه فى التخلّى عن هذه الأوصاف التى ذكرناها.
- والتجّمل بأوصاف العبوديّة وهى التواضع، التطامن، الإخبات، الذّل لحضرة الله وليس لخلق الله، الشعور بالضعف بين يدى مولاه، ودائماً الإنسان يكون بين يدى مولاه شاعراً بالضعف.

فعندما سأل سيدى أبو يزيد البسطامى ربّه وقال: يارب بم يتقرّب إليك المتقربون؟ قال: بما ليس فىَّ، قال: وما الذى ليس فيك يارب؟ قال: الذُل، التطامن، التواضع، الفقر.

نستطيع أن نجمع ذاك على ذاك ونقول:

أن جهاد النفس جهادٌ مع الجسم، جهادٌ حسّى وجهادٌ معنوى.

فالجهاد الحِسّى الذى أشرنا إليه فى قهرها على ترك الشهوات، ثم بعد ذلك محاولة أن يجعلها تتخلى عن بعض المباحات حتى يصل بها فى غاية الأمر إلى أن تقتصر على الضرورات، لأن ذلك يقوى الروحانيات عند الإنسان.

والجهاد المعنوى فى التخلىّ عن منازعة الأوصاف الإلهيّة، والتخلىّ عن الأخلاق الإبليسيّة، والتخلىّ عن الطباع الحيوانيّة، والتجمّل بجمال العبُوديّة.

فإذا استطاع ذلك فإن ربه ﷻ يخلع عليه أوصافه القُدسيّة وهو مُتجمّل بثياب العبوديّة! وهنا يكون قد اكتمل فى مقام تزكية نفسه.

وإذا زكّيت نفسك أنست بربك ﷻ حيثما كنت وأينما توجهت وحيثما أقمت، وكان الله ﷻ معك بأوصافه وبمعانيه الحسان وبمعونته وبألطافه الظاهرة وبألطافه الخفيّة، وفتح الله ﷻ لك من الكنوز ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلمّ

الفصل العاشر

مقامات أحباب الصالحين[١١٤]

❁ طلاب المصالح و الحاجات

❁ المحبُّون المقصِّرون ❁ المحبُّون المتابعون

❁ الإستجابة شرطٌ للإجابة

❁ أتباع الصالحين الأولين

❁ نفسٌ مع الحيِّ حياةٌ للقلب

❁ روشتة الصالحين للفتح المبين!

❁ المداومة ❁ لا تُحَقِّر الصغائر ❁ ترك الفضول!

❁ قيام الليل ❁ رطِّب لسانك بذكر الله

❁ المرشد باب الفتح

❁ أحوال الرجال أهل الكمال!

❁ الأدب مع الرجال!

[١١٤] المعادى – الخميس ٢١من شوال ١٤٣١هـ ٢٠١٠/٩/٣٠م

قال ذو النون المصرى رضى الله عنه:

والله! مَا رَجَعَ مَنْ رَجَعَ إلا مِن الطريق، أمـَّـا من وَصَلَ فَلا يَرْجعُ

أبَدا...!!!!

الباب العاشر
درجات ومقامات أحباب الصالحين

أحباب الصالحين يتفاوتون فى الدرجات، ويتباينون فى المقامات على حسب اختلافهم فى النيات وفى الوجهات:

۞ طلاب المصالح و الحاجات

فمن الناس من يحب الصالحين رغبة فى حصول منفعة مادية ظاهرية من عندهم أو عن طريق أحد أحبابهم، وهذا يريح الصالحين فلا يحملون همه ولا يهتمون بشأنه، لأنه أحرص الناس على نفسه وعلى منفعته.

ومما يُروى فى ذلك أن الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه كان من المترددين عليه فى مدينة المنيا رجل يعمل موزعاً فى مخبز، يحمل الخبز على رأسه، ويركب دراجة، ويقوم بتوزيع الخبز على الزبائن، وأماكن توزيعه فى المدينة، وكان يتردد على الإمام أبى العزائم، فجاءه يوماً وقال: يا سيدى ادعوا الله ﷻ لى أن يفتح الله ﷻ علىَّ الدنيا ويصير لى مخبزاً، فدعا الإمام أبو العزائم له بما أراد، ثم قال له: أرحتنى يا بنى، وبعد انصرافه سأل الحاضرون: ممَّ أراحك هذا الرجل؟

فقال ﷺ: أراحنى لأنه طلب طلباً فانياً، فســـألت الله ﷻ أن يعطيه له وانتهى الأمر!، ولم يطلب طلباً باقياً فأحمل همه حتى يحقق الله ﷻ مراده، ..... وفعلاً استجاب الله ﷻ للإمام أبى العزائم، .....وفتح الله ﷻ على هذا الرجل فتحاً مادياً مالياً حتى اشــترى مخبزاً، ثم توَّســع فاشــترى آخر ... وغيره وغيره، وصـــار من كبار الأغنياء ،ولكنه انشغل بالفانية وترك الباقية فدخل فى قول الله:

﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡ ﴾[١٩الحشر]

هكذا طلاب المصالح أو المنافع، أو طلاب الدنيا، والرسول ﷺ يقول محذراً:
{ مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ طُمِسَ وَجْهُهُ، وَمُحِقَ ذِكْرُهُ، وَأُثْبِتَ اسْمُهُ فِي أَهْلِ النَّارِ }[١١٥]

فهلاء الذين يزورهم للمنافع والمصـــالح، ليس لهم ســهم معهم فى الآخرة لأنهم حققوا مناهم فى هذه الدنيا، وهؤلاء لنا جميعاً ليســـوا قدوة يُقتدى بهم حتى ولو برزوا وظهروا على السطح، وكانوا يخطبون أو يتحدثون، لأنه أهم ما يلفت النظر إليهم أنهم مجردين من الحياء وأدب الصـــالحين والأولياء، ويكفيهم ســوء ظنهم فى الصـــالحين، لأنهم يظنون أن الصالحين لا يكشفون خبيئة أمرهم،

١١٥ (طب) وأَبو نعيم والْجارود بن المعلَّىٰ رضَيَ اللَّهُ عنهُ، جامع المسانيد والمراسيل

وهذا هو عمى البصر والبصيرة، يظنون أنهم أذكياء ولا يوجد أحد مثلهم فى الحيل والدهاء، مع أن الصالحين بنور الله يكشف الله ﷻ لهم السرائر ويطلعون به ﷻ على البصائر، لكن لأن هؤلاء ليس لهم فتح فلا يُتعبون أنفسهم معهم، فلو أن طبيب عيون كان ماهراً وعالمى وذهب إليه أعمى يريد أن يعمل له عملية ليبصر وألحَّ فى طلبه، هل سيضحك عليه ويقول له سأعمل لك عملية؟! لا، ولكنه يناوره لأنه يعرف أن العملية لا تصلح معه، وهم كذلك عُمى البصائر، ولن تنفع معهم توجيهات الصالحين ولا علوم المقربين، لأن كل همهم المصالح التى ساقتهم إلى هذه المجالس، فإذا جاء أحدهم إلى المجلس لا يكون همه إلا المصلحة التى يريدها، ولا يسمع قليلاً ولا كثيراً! قال ﷺ:

{ حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي وَيُصِمُّ }[116]

وهؤلاء وإن اندسوا فى وسط الصالحين فلأنها سنَّة الله، فالمنافقين كانوا مع رسول الله، ويصلون معه ويصومون معه، ويخرجون للحرب معه، لكنهم كانوا معروفين، لكن علمنا الله الأدب، فلا نجرحهم ونقول لهم أنتم لستم منا، ولستم معنا، فهذا أدب النبوة الذى علمه لنا رسول الله ﷺ، وتوجيهاً للأحباب، لأن الأحباب لابد أن يستخدموا السرائر التى أعطاها لهم الوهاب ويرفعوا عنها الستائر والنقاب، ويروا بعين الله هذه الأشياء، فهذا صنف نسأل الله ﷻ لأن يقينا شرهم وفتنهم أجمعين، لكن لابد منهم ولا يخلو مجلس منهم إلى يوم القيامة.

---

[116] عن أَبِي الدَّرْدَاءِ سنن أبي داوود، ومسند أحمد ومسند الشاميين.

المحبُّون المقصِّرون

وهناك أحباب رزقهم الله ﷻ حبَّ الصـالحين، فيحبُّونهم ويجلُّونهم ويزورونهم، وربما يودونهم، ولكن نفوسهم تستعصى عليهم على الجهاد على ما عليه الصالحون، لا يستطيعون أن يجاهدوا فى الأحوال التى كلف الله ﷻ بها فى كتابه، وكان عليها النبى ﷺ مع الثلة المباركة من أصحابه لينالوا بها الفتوحات، ويرتفعوا بها فى الدرجات، ويصيروا من أهل المواهب العاليات، فلا يُصلون الفرائض إلا بمشقة بالغة، ولا يستطيعون القيام لصلاة الفجر مهما حدَّثتهم بالثواب والأجر، ويؤثرون النوم على القيام، وهم يحبون الصالحين ولكنهم لا يستطيعون أن يتابعونهم فى أعمالهم وأحوالهم التى صاروا بها صالحين، لا يقرأون كتاب الله إلا فى شهر رمضان، وإذا انتهى رمضان أعطوا لأنفسهم إجازة إلى أن يأتى رمضان التالى، ولا يستطيعون صلاة القيام، ولا يستطيعون إمساك ألسنتهم عن فضول الكلام، ولا يستطيعون إمساك شهوات بطونهم عند تناول الطعام، ولا يستطيعون أن يتابعوا أحوال الصالحين الواردة فى كتاب الله والتى كان عليها:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾[٢٩الفتح]

فهؤلاء وإن قصـروا فى نوافل البر، أو تكاسـلوا عن متابعة أحوال الصـالحين، فإن الله ﷻ يكرمهم فى الدار الآخرة بمحبة الصالحين فيأخذون بأيديهم ويدخلونهم جنة النعيم تطبيقاً لقول الحبيب ﷺ كما أخبر سيدنا أنس بن مالك:

{ أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ أَتَى النَّبيَّ فَقَال: يَا رَسُولَ اللهِ مَتَى السَّاعَةُ قَائِمَةً؟ قالَ: وَيْلَكَ، وَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟ قالَ: ما أَعْدَدْتُ لَهَا إلاَّ أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُـولَهُ. قالَ: إنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ. قالَ أنس: وَنَحْنُ كَذلِكَ؟ قالَ: نَعَمْ. فَفَرِحْنَا يَوْمَئِذٍ فَرَحاً شَـدِيداً }[117]، وقد روى سـيدنا أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال:

{ جاء رجل إلى رسـول الله ﷺ فقال: يا رسـول الله الرجل يحبُّ الرجل، ولا يسـتطيع أن يعمل كعمله فقال رسول الله ﷺ: المرءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ، فقال أنس: فما رأيت أصحاب رسول الله ﷺ فرحوا بشـيء قط إلا أن يكون الإسلام ما فرحوا بهذا من قول رسول الله ﷺ ، وزاد أنس: فنحن نحب رسـول الله ﷺ ولا نسـتطيع أن نعمل كعمله، فإذا كنا معه فحسـبنا }[118] وللشيخين : { فَأَنَا أُحِبُّ النَّبيَّ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بُحَبِّي إيَّاهُمْ }[119]

[117] الترغيب والترهيب عن أنس ﷺ
[118] عن أنس بن مالك، مسند الإمام أحمد وغيره
[119] الترغيب والترهيب.

فأغلب المحبين، ومن عندهم عقيدة فى الصـــالحين، لكن ليس عندهم قدرة أو همـة أو إرادة أو عزيمـة على متـابعـة الصـــالحين، ســـتنفعهم المحبـة فى الآخرة، فيحشـــرون مع الصـــالحين، لكنهم لا ينالون فتوحهم ولا مواهبهم ولا أنوارهم ولا أحوالهم العليَّة التى يُحْدِثها الله لهم، لأنها تســتلزم مجاهدة النفس والســير على منهاج القرب الذى بيَّنه الله ووضحه بصفاته وسلوكه وأحواله رسول الله، وعلى هذا الدرب سار الصالحون بجدٍ وعزم! إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها.

المحبُّون المتابعون

أما الصـــنف الثالث وهو الذى يعنينا الآن – وأعتقد والحمد لله أنكم جميعاً ما جئتم إلا من أجله، ولأن تكونوا من أهله، وأســأل الله أن يحقق لنا ولكم جميعاً ذلك إن شاء الله، فهؤلاء الذين يحبون الصالحين ثم يرزقهم الله المتابعة للصالحين.

فالمقصِّـرون رُزقوا الحب لكن لم يرزقوا المتابعة، فحرموا من العطايا الإلهية، والواردات الربـانيـة التى يُفرغهـا الله ﷻ على العـاملين: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾[٦٣يونس] ولذلك قال الله ﷻ لحبيبه ولنا فى ذاته ﷺ : ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [٣١آل عمران]

لم يقل (فأحبونى) ولكن قال: {فاتبعونى} فالمهم المتابعة، والمتابعة لمن أراد عناية الله وفتح الله جل فى علاه أولها وأهمها ومفتاح بابها أن يتخلص المرء من حظه وهواه، وأن يُمَلك نفسه للرجل الصالح يتصرف فيه وله على وفق شرع الله وعلى نهج حبيب الله ومصطفاه، ليس له فى نفسه شئ[٦٥النساء]:

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾

هذا هو الباب الذى يستطيع أى محب من الأحباب أن يقيس نفسه به، فيعرف مكانته ودرجته وقربه عند ربه، إن كنت تمشى بما تمليه عليك نفسك، وتنفذ ما يريده حظك، وتسعى إلى قضاء شهواتك، وتتمسك فى كل الاحوال بتقاليدك وعاداتك، فأنت ما زلت على الباب ولم يفتح لك الرحاب لتنضم إلى سلك الأحباب الذين خُصوا بعطايا هذا الجناب لله ﷻ .

الإستجابة شرط الإجابة

وإن ادعيت أنك صـــاحب حال، وتعللت عند أى شـــئ يطلبه منك شـــيخك بما تعطيه لك نفســـك من أنواع المقال والجدال، وتظن أنك على الحق، فنفســـك فى هذا الوقت تخدعك، وإذا اســـتمررت على هذا الحال فإن الرجل ربما يضـــطر إلى أن يخدعك، لأنه يجدك مصراً على هذا الحال، ولا تريد أن تغير من نفسك هذه الأحوال، وللحقيقة فإن الجم الكثير من الأحباب على هذا المنوال!! نُســـمعه فى أذنه لكنه جعل أذنه الباطنية لنفسه، ويسمع لحديث نفسه، ويلتمس العلل، ويلتمس المخارج فى خطاب شيخه ليحقق ما تشتهيه نفسه، فيمشى فى الحقيقة على حسب هواه، والذى يمشى على حسب هواه لا ينال أبداً من الله ﷻ مناه، انظر إلى أصحاب الحبيب ﷺ ورضوان الله ﷻ عليهم أجمعين، قال لهم الله:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾

[٢٤الأنفال]

النداء على من؟ على المؤمنين، وبم يناديهم الله؟ أن يســـتجيبوا لله وللرســـول، ومن الذى ينادى عليهم مباشرة؟ هو الرسول، فكأن نداء الرسول هو نداء الله:

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [٨٠النساء]

إذا اســـتجابوا تحققت لهم الحياة القلبيـة، ثم يســـتزيدون فتتحقق لهم الحياة الروحانية، ثم يســـتزيدون فتتحقق لهم الحياة القدســـية، وفى كل نواع من أنواع هذه الحيوات عطاءات ربانية تأتى مباشـرة نتيجة للإسـتجابة لنداء الحضـرة المحمدية، أو من يقوم مقامها من الصالحين المقامين من حضرته فى أى زمان ومكان.

۞ أتباع الصالحين الأولين

وقد يتعلل بعض المحبين الذين نراهم فى كل مكان وزمان بأنهم أتباع الرجل الصـــالح فلان المشـــهور وإن كان بيننا وبينه مئات الأعوام – وهم صـــالحون لا ننكر صلاحهم – لكن لو كان هؤلاء يربُّون فى برازخهم لكان الأولى بذلك رسول الله ﷺ!! لكنهم كانوا صـــــالحين ومربِّين فى زمانهم، ولمن عاش فى مدَّة حياتهم، ولكل زمان دولة ورجال، فلو كانت التربية مستمرة عندهم لكان الأولى أن نتربى على يد رسول الله مباشرة، لكن اقتضت حكمة الله كما قال إمامنا أبو العزائم ﷺ:

(الله حيٌّ قيوم ولا يصل إليه واصلٌ إلا بحيٍّ قائم)

لابد أن تواجهه ويعرف ما يدور فى نفســك، ويواجهك، ويصــف لك ما به حياتك، الحياة النورانية، أو الحياة القلبية، أو الحياة الروحية، أو الحياة القدســية .... على حسب العطيَّة التى تخرج لك من الحضرة الإلهية.

نفس مع الحى حياةٌ للقلب

ياإخوانى إن لكل قوم حياة: ﴿ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[٢٤الأنفال] لا حياة إلا بعد الاستجابة لرسول الله، وقبلها معيشة يستوى فيها كل خلق الله، ولذلك يقول الله جل فى علاه فى كتابه: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [١٢٤طه] لم يقل حياة ولكن معيشة يستوى فيها الجميع، لكن الحياة لمن استجاب لله ورسوله، وحياة القلب أن يضئ القلب بنور الله، وتتحرك الحواس الباطنية التى فيه فتتجول فى ملكوت الله، وتأتى للإنسان بما غاب عنه من طرائف الحكمة، ومن الأنوار الإهية،

ومن غيوب العطايا الربانية التى لا يستطيع أن يتناولها بأعضاءه الحسية، لكن تناولها يكون بالحواس الباطنية التى احتيت بعد الاستجابة، ثم فُتح لها باب الإجابة، ثم بدأت ترِد عليها عطايا حضرة النبى ﷺ والصحابة، ولذلك ورد أن سيدنا رسول الله ﷺ نادى على رجل كان

يتنفل فى مسجده، فواصل الرجل تنفله، ثم جاء إلى رسول الله فقال له ﷺ :

{ مَا مَنَعَكَ أَنْ تُجِيبَنِي؟ قال : كُنْتُ أُصَلِّي، قال: أَلَمْ يَقُلْ الله تَعَالَى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ }.[121]

إذاً إجابة الرسول بنص الكتاب فرضٌ يجبّ كل الفروض، ولذلك تعارف الصالحون السابقون والمعاصرون وغيرهم فى كل وقت وحين أن المريد والسالك والواصل يجتهد فى النوافل بعيداً عن حضرة المرشد، فإذا حضر إلى حضرة المرشد ترك نوافله وتفرَّغ للمرشد بالكليَّة:

أنتم حديثى وشغلى أنتم فروضى ونفلى
يا قبلتى فى صلاتى إذا وقفت أصلى

فمن إساءة الأدب أن يشتغل المريد فى حضرة مربِّيه بالنوافل، ففى حضرة المرشد الفرض – بعد الفريضة- الإقبال عليه كأمر الله جلَّ فى علاه.

١٢٠ عن أبي سَعِيدِ بنِ المُعَلَّى، سنن أبي داوود وغيرها، وتمام الحديث، قال له ﷺ: { لأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ مِنْ الْقُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ أُخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ، قال قُلْتُ: يَارَسُولَ الله قَوْلَكَ، قال: الْحَمدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي الّتي أُوْتِيتُ وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ }.

سيدى أحمد الدردير ﷺ وأرضاه – وكان من مشايخ الأزهر العظام – وأكرمه الله ﷻ بالتعرف على سيدى مصطفى البكرى – وكان وارثاً فى زمانه وأوانه – وكان فى هذا الحين يقيم فى بيت المقدس، والورثة ليس لهم مكان فيقيمون حيث يقيمهم الرحمن – فذهب لزيارته - وكان له وِرد من الليل - وفى ليلة قام إلى وِرده فى خلوته، فدعاه شيخه البكرى فى الصباح، فقال: يا أحمد طالما أنت عندنا فليس عليك نوافل، وفى ذلك قال إمامنا أبو العزائم ﷺ:

نَفَسٌ مع الحى حياة للقلب، ونَفَسٌ فى حياة القلب خير من حياة الفردوس، وله فى حكمة أخرى: نَفَسٌ مع العارف خير من عمل العُبَّاد والزُهاد لسنين طوال.

فكل الذى تحتاجه أن تتنفس نفساً بباطنك يوافق باطنه فتنتقل حياته إلى قلبك فيحيا، وإذا احتيا القلب فكل أنفاسه طاعات وقربات:

أنفاس أهل الصفا شكرٌ وإيمان وحالهم كشف سرِّ الكون إحسان

إذا احتيا القلب فإنه يعيش فى المشاهدات، ونَفَسٌ فى المشاهدة خير من آلاف السنين فى العبادات والمجاهدات، لأن الغاية من العبادات الوصول إلى المشاهدات، وهذه تحتاج إلى نَفَس:

نَفَسٌ بقلب سليم رفعة ورضا وألف عام بلا قلب كلحظات

نسأل الله أن يرزقنا جميعاً الأدب مع أهل هذا المقام حتى نصل إلى ما نصبو إليه، لأن الوصول إلى ذلك بالأدب وليس بالعبادات، ولا بالأموال والخدمات!!

فكان أصحاب رسول الله بعد ذلك لو سمعوا منادى رسول الله يتركون كل ما فى أيديهم ويلبون رسول الله، فإذا كان أحدهم نائماً ينهض قائماً فوراً ليلبى نداء رسول الله، وإذا كان صائماً وسوف يتناول أول طعام الإفطار يتركه ويلبى، كان أحدهم فى ليلة جنبا وغسلت له زوجه جانب رأسه فسمع منادى رسول الله ينادى للجهاد فترك غسله وخرج على حالته فى الحال ولم يتم غسله حتى لا يبطئ على إجابة رسول الله، خرج متلبساً بجنابته واستشهد! فقال ﷺ معلماً لأصحابه – حتى يكشف لهم عن هذه الأسرار والأحوال:

{ لقد رأيت الملائكة تغسِّله (فسُمِّي :غسيل الملائكة). فقال ﷺ لامرأة حنظَلَة: ما كان شانه؟ قالت: كان جُنُباً وغسَّلْت أحد شِقَّي رأسه، فلما سمع الهَيْعة (أى منادى الجهاد) خرج }[121].

وهذا حال الصالحين، إذا سمع النداء لابد أن يترك كل ما فى يده ويقبل على الله، لأن مقامك على قدر إقبالك، وقربك على قدر إجابتك لشيخك وإمامك، لأنه لا يطلبك لنفسه، وإنما لمنفعة لك، رأى فى هذه اللحظة فتح الله عليك، فإذا أبطأت فسوف يتأخر الفتح.

---

[121] عن هشام بن عُروة عن أبيه، الوافي بالوفيات

روشتة الصالحين للفتح المبين!

سألخص لهم حكاية بسيطة، المريض الذى يريد الشفاء من أى داء ماذا عليه؟ يذهب لطبيب، وبعد أن يكشف عليه الطبيب ويشخص الحالة يكتب له تذكرة دواء، ثم يصرف الدواء من الصيدلية، وبعد ذلك لابد من الالتزام الدقيق بتعاطى الدواء من حيث جرعاته وأوقاته وأنواعه إلى أن يتم الشفاء، وهذه هى نفس حكاية الصادقين مع الصالحين، فالصالحون أطباء رحماء علمهم سيد الرسل والأنبياء، وأعطاهم التخصص الدقيق للكشف عن الأدواء، ومعهم صيدلية القرآن والسُنة يستنبطون منها الدواء الذى يُشفى الداء، وكلها أدوية مستنبطة عصرية:

﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴾ [٨٣النساء]

المداومة

فلا تصلح أدوية القدماء، وعلى المريد الصادق إذا أراد الفتح الالتزام التام بتذكرة الدواء التى وضعها له الطبيب، ما الذى منع عن كثير منا الفتح؟ عدم الالتزام، صفة جوهرية أساسية لابد منها وهى الالتزام، وهى ما نسميه بمسمى أمير الرسل والأنبياء (المداومة):

{ أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى الله تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ }[122]

وكان ﷺ كما قالت عنه السيدة عائشة رضى الله عنها:

{ كانَ أَحَبُّ الأعمَالِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ الَّذِي يَدُومُ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ }[123]

وسأل الصحابى رضى الله عنهم أجمعين أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ، قَالَ:

{ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ كَيْفَ كَانَ عَمَلُ رَسُولِ اللهِ ؟ هَلْ كَانَ يَخصُّ شَيْئاً مِنَ الأَيَّامِ؟ قَالَتْ: لاَ. كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً }[124]

أى يديم عليه، لا يفرط فى صـــغيرة لأنه ربما يكون نظر الله عليه أثناء هذه الصـغيرة سيسـتوجب المقت فى الحال، ولا يسـتصـغر كبيرة لأنه ربما ينظر الله إليه عند فعلها فيستوجب المقت فى الحال:

{ لا كبيرة إن واجهك بفضله، ولا صغيرة إن واجهك بعدله }

❁ لا تحقِّر الصغائر

فإذا واجهك بالعدل فإنه سيحاسبك بالقسطاس المستقيم، وأى صـغيرة ستؤدى إلى الجحيم والعياذ بالله، ولو عاملك بالفضـــل والمغفرة والرحمة الإلهية فإن كل أعمالك ستتحول إلى حسنات بالمنن من ربِّ البرية ﷻ :

---

١٢٢ صحيح مسلم، عن عائشة ﵂.

١٢٣ صحيح ابن حبان عن عائشة ﵂.

١٢٤ صحيح مسلم، عن إبراهيم بن علقمة ﵁.

﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖ﴾ [٧٠الفرقان].

قال الإمام أبو العزائم ﷺ :

وإلى التوب بادرن أن تخالف	فى صغير وخلِّ عنك التوانى
كل ذنب وإن تراه صغيراً	فهو نارٌ إن لم تنل غفرانى
صَغَّر الذنب جاهلٌ بمقامى	وبفضلى وعزتى وحنانى
هفوة العارفين أكبر ذنب	فابذل النفس تُمنحن رضوانى

فليس عندهم صغائر لأنهم يرون كل هفوة فى حق أنفسهم عند الله ﷻ كبيرة، انظر إلى الإمام أبى العزائم ﷺ – وكان فى آخر حياته قد شلَّت رجلاه – وحملوه لإدخاله المرحاض، والذين حملوه انتابهم سهو فأدخلوه برجله اليمين أولاً، فهاج الإمام أبو العزائم وماج وصرخ فيهم: خالفت رسول الله ﷺ يا ويلتى، خالفت رسول الله ﷺ يا ويلتى!!! فهذا حال الصالحين، التزام تام بما ورد عن أحوال المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، لابد أن يكون عنده همة وعزيمة لا تلين فى العمل بما ورد عن النبى الرءوف الرحيم ﷺ .

ترك الفضول!

وحتى يؤهل الإنسان نفسه لفتح الله لابد أن يمحو من كل لوح قلبه كل ما يراه يبغض، أو يجعله يقع فى البغض عند حضرة الله، فالأنوار تتلألأ فى آفاق القلب، والعلوم الوهبية الغيبية تُكتب فى صفحات القلب، والمناظر البهية التى تسر العين التقية النقية تراها عين الفؤاد وعين القلب، إذاً لابد أن أطهر القلب من العيب حتى أؤهله للغيب، فلا يكون فيه حقد ولا حسد ولا غل ولا شح ولا أثرة ولا أنانية ولا كل الصفات التى نهى عنها الله فى آياته القرآنية أو حذر منها المصطفى خير البرية ﷺ ، لابد أن يكون القلب من البداية قلب سليم:

﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [٨٩الشعراء]

وحتى يكون القلب سليماً لابد للسان ألا يتحرك إلا على الصراط المستقيم، فيكون له أمران، الأمر الأول: قوله ﷺ:

{ مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيهِ } [١٢٥]

١٢٥ عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، موطأ مالك ، وكثير غيره .

لا يتدخل فيما لا يعنيه، والذى عنده فضـــول يعرف أنه ليس له نصـــيب فى الوصول، إلا إذا اجتث من نفسه ومن قلبه كل آلات الفضول، ولا يبقى عنده فضول إلا فى أحوال الصـــالحين، وفى رؤية ســـيد الأولين والآخرين، وفى المعانى العلية المبثوثة فى كتاب ربِّ العالمين..... لكن الفضـــول فيما فى أيدى الخلق، أو ما على أجساد الخلق، أو فيما يسكنه الخلق .... فلا شئ يدوم من ذلك..

ولذلك كان من أذكار كثير من الصالحين:(يا دائم) حتى لا تنظر عينه ولا تعلق، ولا يعلق قلبه إلا بشئ دائم، لأن كل شئ فانى، والكل منه يعانى!! فلماذا أنظر له وأبحث عنه؟!! إما أن تفارقه أو يفارقك!! عندما تنام لابد أن تخلع كل ما عليك من الملابس لتنام، وكذلك لابد أن تخلع كل ما سلمك الحق من عالم الأكوان حتى تنتقل إلى مكون الأكوان ﷻ ، وإذا أردت أن أكون وأنا فى الدنيا مع مكون الأكوان إذاً هذة الأشياء كلها لا تطرف عين:

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ ﴾

ولكن أبحث عن: ﴿ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [١٣١طه]

ورزق ربك هو العلوم الإلهية والمعارف الربانية والحكم القرآنية والمكاشـفات القدسية، هذه التى يتعلق بها القلب والفؤاد.

❁ قيام الليل

إذاً لابد أن أزيل كل العيوب وأجهز القلب لفتح حضـــرة علام الغيوب، ثم بعد ذلك الالتزام التام بما كان عليه الحبيب المصطفى والصالحون فى كل زمان ومكان، ســيدنا رســول الله بذاته يريد من الله أن يُعليه ويرقيه إلى مقامات محمودة عنده، هى كلها من فضل الله، لكن جعل الله لها أسباب، ماذا قال له الله؟

﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾

[٧٩الإسراء]

رغَّبه أولاً فى قيام الليل، ثم أراد المقام المحمود ففرض عليه قيام الليل:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [١-٢المزّمّل]

ثم نظر إلى من حوله ووجد أنهم يريدون أن يكونوا معه، فقال له الله:

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴾ [٢٠المزمل]

إذا أرادوا أن يكونوا معك لابد لهم من قيام الليل، إذاً لماذا نحن غير قادرين على قيام الليل؟ لأننا لم نمشـــى على المنهج الذى كان عليه الحبيب، فحتى أقوم الليل لابد أن أنام مبكراً، ولا أسـهر فيما يغضـب الله، وأتعشـى عشـاءاً خفيفاً ومبكراً، وإذا استطعت أن أستعين بالقيلولة فلا بأس:

{ اسْتَعِينُوا بالقَيْلُولَةِ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ }[126]

آخذ بالأسـباب، لكن إذا سـهرت وتعشـيت السـاعة الثانية عشـر، أى قيام الذى سأقومه؟!! سأعمل مثل الشباب فى أيام الصيف يصلون الصبح الساعة الحادية عشر صـباحاً، هؤلاء يجب أن يحمدون الله أنه لم يمسـخهم فى الصـباح، سـيدى أبو يزيد البسطامى ﷺ كان مع قيامه لليل ينام لحظات فى أول النهار، وعندما يستيقظ من نومه يمشـى بيده على وجهه، فسـألوه عن ذلك وقالوا له: لِمَ تمس وجهك بيدك؟ قال: أخشـى أن يحاسبنى الله ﷻ فيمسخنى قرداً أو خنزيراً!!

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾

[٤٥فاطر].

[126] رواه أبو داود وابن ماجة

❁ الذكر وعدم النوم بعد الفجر

كان سيدنا رسول الله يصلى الفجر ويمكث فى مصلاه إلى أن تطلع الشمس، وبعد شروق الشمس بثلث ساعة يصلى ثم يتناول فطوره ويتوجه إلى حيث يوجهه مولاه جلَّ فى علاه، وقس على هذه الشاكلة كل الصالحين، إذاً لابد من قيام الليل:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالرجال فلاح

{ من لم يكن له فى بدايته قومة لم يكن له فى نهايته جلسة }

مَن من الصالحين كان ينام بعد الفجر؟

لا يوجد، فكانوا يحيون هذا الوقت إلى ما بعد الشمس بثلث ساعة فى طاعة الله ﷻ.، وكان إمامنا أبو العزائم ﷺ وأرضاه على هذه الوتيرة على الدوام، فكان يستيقظ قبل الفجر بساعات ويصلى ما تيسر، ثم يؤذن للفجر، ثم يختم الصلاة بورد صلاة الصبح – وأنا محافظ عليه والحمد لله – لأن هذا هو سر الفتح الذى فتح الله علينا به فى هذا الوقت، من أراد الشهود فعليه بالوقت المشهود[٧٨الإسراء]:

﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾

وعليه التأسـى بالرجال أهل الشـهود ماذا كانوا يفعلون فى هذا الوقت مع الله، فكان إمامنا أبو العزائم يختم ختام صلاة الصبح، وقد جمع فيه ما ورد عن الحبيب من أذكار الصـباح، وما جاء فى كتاب الله من دعوات الأنبياء والمرسـلين التى اسـتجابها لهم الله جل فى علاه، ثم كان بعده يقطع الوقت إلى شـروق الشـمس إما فى تلاوة القرآن، أو تلاوة الصلوات، أو بالذكر، أو الفكر، أو درس علم

المهم يقطع الوقت فى طاعة الله ﷻ ، قد يقول بعضنا كيف أذهب إلى العمل؟ ما علاقة ذلك بالعمل؟!! أذكر أنى كنت فى الجامعة فى كلية دار العلوم، وكنت أسهر أستذكر حتى الساعة الثانية عشر، ثم أصلى على حضرة النبى ما يقرب من الساعة، وأنام وأستيقظ قبل الفجر بساعة، وأصلى ما يسره الله، ثم أصلى الفجر وأبدأ السفر ولا أرجع من القاهرة إلا الساعة الخامسة أو الثامنة مساءاً ولم تكن هناك أى مشكلة، إذا عزمت قواك الله وأعانك الله، لكن كل الموضوع أن النفس تسول للإنسان الأعذار، فيتخيل أنه سينام فى العمل ولن يستطيع أن يكمل اليوم ..... فتثبط الإنسان وتقعده، مع أن الشيخ قال لنا:

فهيا يا مريد الوصل ودع عنك التقاعد

فتجد أقل النوم يغنيك ويكفيك، لأنك لو نمت وأنت مشغول بالبدن والنفس، فإنك ستنام فى الدنيا ولن تستطيع النفس أن تحلق، ولا القلب أن ينظر، ولا تستطيع الروح أن تسموا، ويأتيك الخمدان والجمود والكسل، وإذا نمت فى حالة يقظة القلب وسمو الروح فيكون النوم كله فتوح،

ولحظة واحدة فى النوم تكفيك أسبوعاً ولا تحس بكسل ولا وخم ولا أى شئ؟، وذلك بسبب الفتح الذى جاءك من عند الله ﷻ ، وكان الإمام أبوالعزائم عندما ينام يقول:

نم هيكلى فالروح يقظى مشـــوقة   لأصــلها العالى ليســت من التّرب

لا تنام الروح ولا القلب أبداً إذا استيقظ اليقظة الإلهية التى تتحقق بعد الحياة القرآنية التى فيها استجابة لخير البرية ﷺ ، لابد للإنسان إذا أراد الفتح أن يحافظ على هذا المنهج، وسيدنا رسول الله ﷺ أعطانا مؤشر إذا حافظنا على هذا المنهج لمدة أربعين يوماً متصلاً، ماذا يحدث؟ قال:

{ مَنْ أَخْلَصَ لله أَرْبَعِينَ يَوْماً تَفَجَّرَتْ ينابيعُ الحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ }[١٢٧].

من تفجرت له الحكمة، ومن أخذ هذه العطايا هل ســـيغفل؟!! لا، لكن الذين تكاسلوا لماذا؟ هؤلاء مدعون قالوا:

{ والله ما رَجَعَ مَنْ رَجَعَ إلا من الطريق, وأما من وصل فلا يرجع أبداً }[١٢٨]

فكل من وجدته فى الخمود والجمود والكســل فاعلم أنه ليس معه شـــئ، لأنه لو أشرقت عليه الفتوحات سِنة (سِنة الوصل سَنة) فإنه سَيُحصل فيها سَنة من المعارف الإلهية والعلوم الربانية ولن يتركها أبداً:

---

١٢٧ أحمد في (الزُّهد) عن مكحول مرفوعاً مرســلاً . وروي بســندٍ ضــعيفٍ من حديث أَنس، قلتُ: وصــله أَبو نعيم في (الحلية) من طريق مكحول عن أَبـي أَيُّوب الأَنصاريّ، الدرر المنتثرة، وفى روايات عدة : جاءت : ظهرت بدلاً من تفجرت.

١٢٨ تفسير البحر المديد ، وفى الزهد الكبير للبيهقى وتعريف الأحياء بفضل الإحياء رواية عن ذى النون المصرى.

{ لو فتح قلب المريد قدر سَمِّ الخياط لم يلتفت عن الله نفساً وإن صبَّت عليه البليَّات }.

ولكنه نام لأنه لم يرى شئ، حيث ضحكت عليه نفسه وهو فى نصف الطريق فلم يرَ شيئاً، فكره أن يقول أنه ليس عنده شئ فيدَّعى أن معه شئ وأنه رأى وغير ذلك، وهو ليس معه شئ ولم يرَ شيئاً!! فالذى رأى لا يقول أنه رأى! لأن الذى رآه لا يستطيع أن يتحمله أحد من الحاضرين أو يتحمل سماعه، من الذى يستطيع أن يتحمل المشاهدات والمشافهات والمكافحات التى بين العبد وبين ربِّ البريات ﷻ وهو غير مؤهل لذلك؟!!

هذه من باب ذق تعرف، لكن هو نفسه لم يكل ولم يمل طرفة عين لأنه رأى، لكن الذى يتكاسل الذى كان يطمع وعندما لم يرَ شيئاً عاد للجمود والكسل والمماطلة والتسويف والتأخير والتمنى، والحبيب قال حتى فى الإيمان وليس الإحسان والإيقان:

{ لَيْسَ الإيمَانُ بِالتَّمَني وَلاَ بِالتَّحَلي، وَلكِنْ هُوَ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ وَصَدَّقَهُ الْفِعْلُ، الْعِلْمُ عِلْمَانِ: عِلْمٌ بِاللسَانِ، وَعِلْمٌ فِي الْقَلْبِ، فَأَمَّا عِلْمُ الْقَلْبِ فَالْعِلْمُ النَّافِعُ، وَعِلْمُ اللسَانِ حُجَّةُ اللَّهِ تَعَالَىٰ عَلَى ابْنِ آدَمَ }[129].

---

١٢٩ ابن النَّجَّار عن أَنسٍ رضَيَ اللَّهُ عنهُ، جامع المسانيد والمراسيل.

إذاً لابد من الالتزام والمتابعة، نهاره يكون فيه لســـانه ناطق بذكر الله، أو يتكلم ببعض كلمات يتمعن فيها قبل أن ينطق بها، فيها نصـــيحة أو فيها تخفيف أو فيها تحبيب لأى عبد من عباد الله، فالكلام الكثير دليل على الخواء، لكن الملئ بالإيمان والحكمة: ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِى ﴾ من كثرة ما أنزل فيه ربى ﷻ من الفتوحات والهبات: ﴿ وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى ﴾ [١٣الشعراء] .

وكان سيدنا علىّ يقول وهو يشير إلى صدره:

{ إنّ ههنا علوماً جمة لو وجدت لـها حملة }[١٣٠]

رطَب لسانك بذكر الله

لا يعطيها إلا لأهلها، فهذا حال أهل الفتح مع الله ﷻ لمن يريد الفتح، روشـــتة بسـيطة وضـعها رسـول الله، وقال فى أثناء النهار والليل واليقظة: {لا يزال لســانك رطباً بذكر الله ﷻ } إلى أن يحيا القلب، وإذا حيا القلب فلا يحتاج إلى اللسان،

١٣٠ إحياء علوم الدين، وأبجد العلوم للقنوجى.

فذكر اللسان أسرع وأكثر نورانية وأزيد فى الشفافية، ومعه البصيرة المضية، ومعه الأنوار العلية، فليس عنده وقت بكلمات تدركها البرية، لكن فى البداية اسـمع لحديث المصطفى ﷺ جاءه إعرابىٌ وقال له :

{ يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت عليَّ فأنبئني منها بأمر أتشبث به، قال: لاَ يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا بِذِكْرِ اللَّهِ }[131].

قال العلماء والحكماء والعرفاء:

{ إذا جلست فى حضرة العالم فأمسك لسانك ليرد عليك من علومه، وإذا جلست فى حضرة العارف فأمسك قلبك ليرد عليك من لطائفه، وإذا جلست فى حضرة الوارث فأمسك قلبك ولسانك ليرد عليك من إشاراته وينزل على قلبك من فتوحاته وعطاءاته وهباته }.

فهذه تحتاج إلى التوحيد والتجريد والتفريد.

المرشد باب الفتح

هذا الفتح لأهل الفتح فيه سرٌ من الأسرار نضطر لقوله أحياناً، ولكن نُخفيه عن الفجار لأنه لابد لكى يتم الفتح من استحضار صورة المرشد العبد القائم فى سريرتك عند أى عمل تتوجه به لحضرة الله، لأنه بابك إلى رسول الله ﷺ ،

[131] مصنف ابن أبي شيبة عن عبد الله بن بسر

وإذا ذكرت أو تذكرت أو عملت أى عمل بدون استحضاره تنتابك الوساوس وتكثر عليك الهواجس، قال فى ذلك الإمام أبو العزائم ﷺ:

{ صورة المرشد تمنع واردات الحسّ عن القلب، فيكون الحسُّ تحت سلطان القلب، والقلب يتلقَّى من الله ﷻ }

فهذه هى الطريقة التى فُتح لنا بها والحمد لله الطريق، والتى نهديها خبرة واضحة جلية لأى رفيق يريد أن يكون من أهل التحقيق.

إذا أردت أن تكون من الأحباب فكلنا من الأحباب، أما إذا أردت أن تكون من خواص الأحباب وتكون من أهل العطاءات لابد من: (سَلِّم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين)

أرونى فتىً ذكر الإله مُصَدِّقاً ولم يرَ نور الله فى كل وجهة

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾[٣٦الأحزاب]

كلَّم رسول الله أحد صحابته عن ابنته ليخطبها لفلان، فأخبر الرجل زوجته بذلك، فقالت: إنه رجل فقير وهوكذا وكذا، فسمعت البنت قول أمها، فقالت: يا أبتاه أرسول الله قال لك؟ قال: نعم: قالت: إذاً لا تخالف أمر رسول الله ﷺ.

الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه وضع المناهج التى جاء بها سيدنا رسول الله والصالحين واضحة جلية فى عصرنا لكل المريدين، وقال فى شأن الأسرار:

(نحن قوم نكتم أسرارنا عن الطالب حتى لا يكون له شهوة إلا فى الحق)

والذى يريد الأسرار الكلية لابد أن يبيع نفسه لرب البرية، إنما العطاء على قدر البيع، من أعطى الكل أخذ الكل، فالذى ما زال يمسك بحظه وهواه فليبقى مع دنياه المشغول بها، لكن كما قال لنا الإمام أبو العزائم:

ألا بعتموا لله مالاً وأنفساً بمدلول إن الله والذكر ناطق

الذى باع نفسه وماله لله لم يعد له تصرف فى نفسه، فيترك الأمور كلها للصالحين، والصالحين لا يريدون له إلا الفتح الإلهى والنور الربانى والعطاء المحمدى، ويريدون أن يوصلوه إلى بر الأمان، مثل الطبيب كل همه أن يُشفى المريض ويبرأ من الأسقام والعلل، فكذلك كل همهم أن يُشفوه من أمراض القلوب إلى أن يدخل فى قول علام الغيوب:

﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [٨٩الشعراء]

وهنا يأتيه الفتح من الفتاح العليم ﷻ

❁ أحوال الرجال أهل الكمال!

وللصالحين السابقين والمعاصرين أجمعين أحوال خاصة بهم!! حتى أن رجلاً منهم دخل على شيخه رضى الله عنه، وكان الشيخ فى حالة غيبة عن البشرية انشغالاً بما يتوارد على قلبه من المناظر الإلهية - والمشــايخ فى هذه الحضــرات لا يحتاجون إلى أن يُتحدث معهم، وهذه الساعة حتى رسول الله كان يقول فيها:

{ لي وقتٌ لا يَسعني فيه غير ربي }[١٣٢]

وورد أن السيدة عائشة رضى الله عنه وعن أبيها الصديق دخلت عليه فى هذه الساعة ذات مرة فقال: مَن؟ قالت: عائشة، قال: عائشة مَن؟ قالت: بنت أبى بكر، قال: أبوبكر مَن؟ قالت: الصديق، قال: الصديق مَن؟ قالت: فعلمت أنه فى حال جمع مع ربه ﷻ فخرجت وتركته.

والذى يسمع غير هذا ربما يحدث له أمر لا تحمد عقباه، ولذلك كان الصالحون إذا دخل أحدهم الخلوة لا يدخل عليه أحد إلا بإذن، وقد لا يخرجون من البيوت أياماً خشية على الخلق، لأنه ربما الخلق لا يتحملون هذه الأحوال فيزل أو يضل أو ينتكس، سيدى أحمد البدوى ﷺ قوى عليه النور – وكان النور فى وجهه – ووضع لثاماً على وجهه، فشفَّ النور من وراء اللثام، فوضع لثاماً آخر، فكان لا يمشى إلا وله لثامان!! لأنه لا يستطيع أحد أن يتحمل هذا النور.

[١٣٢] تفسير البحر المديد، المقاصد الحسنة للسخاوى،رسالة القشيرى رواية عن السيدة عائشة رضى الله عنها.

وحال سيدى أحمد البدوى هذا وراثة لسيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام عندما ذهب ليناجى ربه على طور سيناء، وكلمه ربه، فلمع فى وجهه الضياء، فكلما رآه رجل من بنى اسرائيل مات، حتى مات سبعون رجلاً، فسأل الله ﷻ ، فأمره أن يضع لثاماً على وجهه!! ولذلك اتهموه بعد ذلك بأن فى وجهه برص ولذلك لا يكشف عن وجهه، حتى كشف الله لهم الحال فى يوم السوق، حيث أمره أن يغتسل فى يوم سوق، وأن يخلع ملابسه ما عدا قميصه، والأنبياء لا يتجرَّدون نهائياً ولكن يغتسلون من فوق القميص، فاغتسل فى النيل ثم خرج – وكان وضع ثيابه على حجر – فأخذ الحجر الثياب وجرى، فانطلق موسى وراءه فى السوق، حتى يراه أهل السوق جميعاً ويعرفون أنه مبرَّأ مما قالوا:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴾ [٦٩الأحزاب]

وكذلك أحوال الصالحين، فإذا خلا المرء بربِّه وتواترت عليه الأنوار، وظهر عليه الأحوال، ولا يستطيع أن يتحملها من حوله من الرجال، ماذا يفعل؟ اشفاقاً بهم ورحمة عليهم وحنانة وعطفاً عليهم !! يختبئ منهم حتى تهدأ الأحوال، وتتوارى فى الجسد والظل والخيال، ثم يخرج بعد ذلك، مثل سيد الرسل والأنبياء، نوره وجماله يقول فيه ﷺ :

{ أُعْطِيَ يُوسُفُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ شَطْرَ الحُسْنِ } [١٣٣]

لكنه ﷺ أخذ الحسن كله، وإذا كانت النسوة عندما رأين يوسف لم يستطعن أن يمسكن السكاكين التى فى أيديهن، بل قطعن أيديهن وهن لا يشعرن لأنهن أخذن بجمال يوسف !!

فما بالك بمن يرى جمال رسول الله، ماذا يفعل؟! .. لكن جماله ﷺ سكن حتى توارى الحسن العالى فى هذا الجسد وهذا الخيال، فلا يراه إلا كُمَّل الرجال الذين اختصهم الله ﷻ بهذه الأحوال، ولذلك قال الله فى شأن الظالمين أجمعين:

﴿ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴾ [١٩٨الأعراف]

كمال كمَّله به الله ﷻ لأنه إمام أهل الكمال فى الدنيا والآخرة.

الأدب مع الرجال!

فأهل الأحوال فى مثل هذه الأحوال يحتاجون إلى كمال الأدب معهم، إذا وجدته لا يستطيع الحديث لا تثقل عليه ولا تلح عليه بالتحديث، الزم الأدب واسكت، يكفيك إذا جلست بجواره أن تتوارد عليك أحواله وأنواره، لأنه لو قال لك اسكت وهو فى حال غير حاله ربما سكتَّ إلى يوم القيامة.

---

١٣٣ مسند الإمام أحمد، عن أنس ﷺ.

أوصى رجلٌ من الصالحين من حوله ألا يُدخلوا عليه أحداً إلا بإذن، فدخلت عليه إحدى الجارات، وتركوها ولم ينهوها حتى دخلت عليه خلوته، فأرادت أن تحدثه فقال لها اقعدى، فأُقعدت فى الحال، ولم تستطع أن تنهض بعدها!

ولذلك يلزم كمال الأدب مع الرجال فى مثل هذه الأحوال، لأنها أحوال لا يعلم بها إلا الواحد المتعال ﷻ ، والتمس الأعذار، لأن آفة الآفات والتى تمنع وتحجب كل العطاءات الظن السئ إذا تسلل إلى قلب المريدين والمريدات.

فإياك ثم إياك أن تجعل للظن السئ موضعاً فى قلبك، لأنه أكبر الحجب التى تمنع عنك كل عطاء من ربك ﷻ قال ﷺ:

{ إِنَّ اللهَ يَقُولُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي } [١٣٤]

ولذلك قال لنا الإمام أبو العزائم رضى الله عنه:

سلم الارتقا وباب التدانى حسن ظن بالله فى كل شان

فلو طلب منك شيخك الذهاب إلى مكان ما، فتقول فى نفسك ألم يعلم أنى صائم اليوم والجو حار، فلماذا يريد أن يعذبنى؟!! الذى أمرك بالصيام أمرك ليعذبك أم ليمنحك؟!! قس هذا على هذا، فهذا حال الصالحين فى كل وقت وحين، يريدون الأفراد الذين يحسنون الظن بالله وبالأخيار وبالأطهار فى كل وقت وحين، فسوء الظن يمنع الإرسال الإلهى، ويحرق شبكة القلب، فلا تستقبل أى عطاءات من الله ولا أى امدادات من رسول الله ﷺ .

---

١٣٤ صحيح مسلم عن أبى هريرة ﷺ

إذاً الذى يريد أن يكون من الســـالكين والمحبين والعارفين ويأخذ المنح من الله لابد أولاً كما قلت فى البداية أن يتخلى عن نفســه وعن حظه وعن هواه، ويُمَلك نفســه لرجل من الصالحين وثق فيه، ويملك نفسه أى لا يكون له إرادة فى نفسه، كما وضحنا قبل ذلك مراراً وتكراراً فى قصــة الخضــر مع موســى، كانت ارادته أولاً: ﴿ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا ﴾ [٧٩الكهف] ثم تتحد الإرادة مع إرادة الله:

﴿ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرًا مِّنۡهُ زَكَوٰةً وَأَقۡرَبَ رُحۡمًا ﴾ [٨١الكهف]

ثم تموت إرادتك وتبقى إرادة الله [٨٢الكهف].:

﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾

إذا مشيت على هواك فنحن غير مسئولين عنك لا فى الدنيا ولا فى الآخرة!

والذى يمشى على هواه ماذا نفعل له؟!

وهو قد أخذ فى سجل فى الملفات الإلهية:

{ مَحْرُومٌ من مُنَاهُ لأنَّهُ اتَّبَعَ هَوَاه }.

من الذى يحيا بالنور؟

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ ﴾ إذاً شــــرط الحيـاة الموت أولاً، موت النفس والحظ والهوى، ثم بعد ذلك العطاءات ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ [١٢٢الأنعام] أولها الكشاف الذى يكشف له ما فى الصدور، والذى يبين له ما فى العيون، والذى يرى به الغيب المضــــنون، والذى به يحصــــل على عطايا المقربين والصـــــادقين والأولياء والمتقين فى كل وقت وحين، وقال الرجل الصالح الشيخ الشُشترى ﷺ [١٣٥] على لسان القدرة:

إن ترد وصـــلنا فموتك شـــرطٌ	لا ينال الوصال من فيه فضلـــــه
فـافن عن جملـة الوجود لتبقى	كل هاتيك يا فتى مضــمحلّـــــــه
واخلع عنـك يـا خليع غرامي	لا يكن لك غير وجهي قبلـــــــه

هذه شــــروط إلهية موجودة فى كتاب الفتوحات الربانية ... وهو كتاب الله ﷻ، ومشروحةٌ فى أحوال وسلوكيات خير البريَّة، والصالحين أولى العطيَّة إلى يومنا هذا وفى كل زمان ومكان.

فهل من متَّبع!!! ...

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

[١٣٥] سيدى أبو الحسن الششترى ﷺ،ورد فى النور السافر عن أخبار القرن العاشر للعيدروس وغيرها.

الباب الحادى عشر

فصل القول فى سرِّ القوم

- الأخلاق سرُّ الفتح
- هل الأخلاق تقبل التغيير؟
- جهاد العارفين فـــى الأخلاق
- كيف يعرف السالك عيوب نفسه؟

أولاً: زن نفسك بالصالحين!

ثانياً : إذهب للشــيخ المربِّى

ثالثاُ: استعمل مرآة الأخوة!

رابعاً : بماذا يصفك أعدائك؟

خامساً : الإعتبـــــــار بالخلق

❁ روشتة العارفين لإصلاح أخلاق المريدين

أولاَ: القلب هو المركز.

ثانياًَ: ادفن نفسك ودع الكبر

ثالثاً: الإمام الغزالى والتطبيق العملى

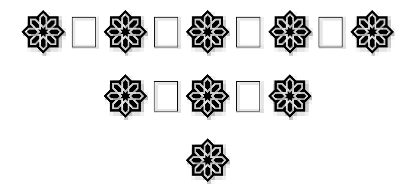
رابعاً: التخلص من سمات المنافقين

خامساً: الإستغاثة بالشيخ

سادساً: إقرأو الإحياء لتصيروا أحياء

سابعاً: علامة الوصول برؤية الرسول

ثامناً: بشرى هذا الزمان



الباب الحادى عشر

فصل القول فى سرِّ القوم[136]

إخوانى القراء الكرام ..

بعد أن طفت بكم ومعكم فى ميادين الفتح الإلهى، وفصَّلنا حيناً وأوجزنا حيناً آخر فى مناهج الواصلين لرب العالمين! كيف جازوا القفار !! وواجهوا الأخطار فى طريقهم للواحد الغفار ... أحدثكم فى هذا الفصل عن القول الفصل أو إن شئتم أن تسموه "خلاصة القول" فى سرِّ القوم أى الصالحين!.. ومفتاح السرِّ هو كلمة واحدة ... أجمع لكم فيها خلاصة تجارب الصالحين وكلام الناصحين وزبدة أفهام العارفين فى سر وصول القوم لربِّ العالمين فى كل وقت وحين ....

مفتاح السر هو عبادة جعل الله فيها السر لأهل الفتح أجمعين، وهى عبادة قد لا تخطر على قلوب الكثيرين من العابدين .. لماذا؟

لأن تنافس العابدين فى العبادات وفى النوافل المصاحبة أو المضاهية لها من جنسها.كالصلاة وما يشبهها من قيام الليل وصلاة الضحى وغيرها من انواع الصلاة النفلية .. والزكاة وما يشبهها من الصدقات .. وشهر رمضان وما يشبهه من من صيام الأيام المسنونة كالستة من شوال وكيومى الإثنين والخميس ويوم عرفة ويوم عاشوراء وغيرها .. والحج والعمرة وتكرارهما ..وكل هذه عبادة العبَّاد!!

---

[136] المعادى – الخميس ٢٠١٠/١١/٤م الموافق ٢٧ من ذو القعدة ١٤٣١هـ

لكن العبادة التى بها فتح القلوب، وبها يمن الله على العبد بفتح خزن الغيوب.. هى التى مدح الله عليها وبها سيدنا رسول الله ﷺ وقال له فى شأنها:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(٤القلم)

الأخلاق سرُّ الفتح

وهذا الأمر قلناه مراراً ورددناه تكراراً ياإخوانى الأحباب، ... ولكنَّا نريد تقريب الأمر على المريد السعيد ... ليفتح الله ﷻ عليه أبواب فتحه ويمده من حضرته بأنوار التوفيق والتأييد .... لأن جهاد العارفين والصالحين والمتمكنين والأفراد الوارثين فى هذا الباب .. فى الأخلاق.

فالجهاد فى الأخلاق يجعل الإنسان قريب الشبه من رسول الله ﷺ فى قول الله :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(٤القلم)، وهى أعلى الأعمال شأنا فى الدار الآخرة،

لقوله عليه أفضل الصلاة وأتم السلام فى الحديث الشريف المنيف:

{ مَا شيْءٌ أَثْقَلُ في مِيزَانِ المُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ فَإِنَّ الله تعالى لِيُبْغِضُ الفاحِشَ البَذِيءَ }[137]

فالخلق الحسن أثقل شيىء يوضع فى الميزان يوم القيامة، وأقرب الناس إلى الحبيب ﷺ يوم القيامة فى الدرجة والمنزلةوالتكريم فى الموقف العظيم من يقول فيهم :

{ إِنَّ أَقْرَبَكُمْ مِني مَنْزِلاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاَقَاً فِي الدُّنْيَا }[138]

ومن أحبنا إلى رسول الله؟ ومن أبغضنا إليه – أعاذنا الله بفضله من أن نكون منهم أو نتصف بببعض أوصافهم- نسأله ﷺ؛ فيجيبنا :

{ إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاَقَاً المُوَطِّئُونَ أَكْنَافاً الَّذِينَ يَأْلَفُونَ ويُؤْلَفُونَ، وَإِنَّ أَبْغضَكُمْ إِلَيَّ المَشَّاؤُونَ بِالنَّمِيمَةِ المُفَرِّقُونَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ المُلْتَمِسُونَ لِلْبُرَآءِ الْعَيْبَ- وفى رواية: العثرات }[139]

إذاً الأخلاق فيها أكمل التشبه برسول الله ﷺ ، وهى أثقل شيىء فى الميزان وبها ينال المرء أرفع درجة فى الدار الآخرة فى حظوة النبى العدنان، ولذلك سئل ﷺ:

{ أَيُّ المُؤْمِنِينَ أَكْمَلُهُمْ إِيماناً؟ قَالَ: أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً، قُلْتُ: فَأَيُّ المُسْلِمِينَ أَسْلَمُ، قَالَ: مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ }[140]

---

١٣٧ عن أَبي الدَّرْدَاءِ، سنن الترمذي، قال أبو عِيسَى حديث حسنٌ صحيحٌ وفي البابِ عن عَائِشَةَ وأَبي هُرَيْرَةَ وأَنَسٍ و ابنِ شَرِيكٍ.
١٣٨ (ابن عساكر) عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضيَ اللَّهُ عنهُ (ز)، جامع المسانيد والمراسيل
١٣٩ عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهرواه الطبراني في الصغير والأوسط، ورواه البزار من حديث بن مسعود باختصار ، الترغيب والترهيب
١٤٠ عن أَبي ذَرَ رضِي اللَّهُ عنْه: جامع المسانيد والمراسيل

فميزان الحسن والكمال هو ميزان الأخلاق والخصال، وهى الفارق بين الإنسان المؤمن وغير المؤمن؛ فالمؤمن ملتزمُ بأخلاق الإيمان، وطهَّر نفسه من أخلاق النفاق التى حذَّر منها القرآن ونبَّه عليها النبى العدنان، وبها يكرم المرء أو يهان فى الدنيا ويوم لقاء الملك الرحمن.ﷻ .

وبداية التخلق للتعلق أن يجاهد المرء نفسه أولا للتخلص من أوصاف المنافقين وقد أشرنا لذلك فى مواضع عدة لشدة أهميته، والنبى ﷺ حذَّرنا فقال:

{ آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ }، وفى رواية: { وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ } وفى أخرى: { وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ } [141].

هذه الأوصاف ! أوصاف من، أوصاف المنافقين! فلكى يكمل الإنسان فى الإيمان ويؤذن له بالسير إلى حضرة الرحمن فلابد أن يطهِّر نفسه من هذه الأوصاف بالكلية! فلا يليق به مثلاُ أن يقول: هذه كذبة بيضاء! أو كذب على سبيل المزاح! أو اللهو! أو أقصد بها نيَّة حسنة، لأن النبى ﷺ وهو من يؤتم به قال له أصحابه :

{ يا رسولَ الله إِنَّكَ تُدَاعِبُنا؟- أى تُمَازِحُنا- قالَ: إِنِّي لاَ أَقُولُ إِلاَّ حَقًّا } [142].

فمن يريد منازل الكمال لابد أن يُطَهِّر نفسه بالكليَّة من هذه الخصال!

---

١٤١ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، صحيح مسلم ، (ق،ت،ن) والثانية للشيخين عن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، والثالثة لمسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه.
١٤٢ عن أَبِي هُرَيْرَةَ، سنن الترمذي ، قال أبو عِيسَى: هذا حديثٌ حسنٌ.

هل الأخلاق تقبل التغيير؟

وهل الأخلاق فيها جهاد؟ قد تعلِّل النفس للبعض وتسوق مثل هذه الحجَّة كمبرر وتقول: جُبِل المرءُ على ما خُلِقَ عليه! أى لا سبيل له لتغيير خُلُقِه! .... وهذا كلامٌ محض إفتراء على الله ورسوله !!! ...، وهو حجة داحضة وباطلة تسوقها النفس،... ويُرَوِّج لها المنافقون ... ليبرروا لأنفسهم ماليس له مبررٌ عند ربِّ العالمين! ولا عند سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ.

ويزيدون الأمر بأن يضربوا مثلاً محسوساً فيقولون: هل يستطيع المرءُ أن يغير خلقته التى خلقه الله عليه؟ فكما لا يستطيع ذلك! لا يستطيع أيضاً أن يغير خُلُقَهُ الذى فطره الله عليه! هكذا يدعون! وهذه أيضاً حجة داحضة باطلة! كيف؟

الإنسان يُصفِّف شعره كما يريد ويطيله ويقصره! ويلبس جسده كما يشاء! فيبدو أحياناً بخلقَةٍ زاهية مشرقة وأحيانا بشكل قبيح غير مألوف ! وكلُّ ذلك من إجتهاد الإنسان وفعله، ومع تطور الدنيا فاليوم يجرون عمليات جراحية يغيرون بها الكثير من الشكل الظاهر! وأعجب من ذلك يفعلون!!

لكن الأخلاق لكى نعرفها جيداً؛ فهى صورة الإنسان الباقية التى يتعامل بها ويظهر بها أمام الآخرين .. فالصورة الظاهرة هى خلقة الله ﷻ والصورة الباطنة هى التى فيها العفو أو الغلظة، فيها التسامح أو الشدة، فيها الكرم أو البخل، فيها الشهامة أو الخسَّة! فيها الحياء أو الفجور والسفور! وفيها وفيها ..... وكلُّ ذلك يظهر فى الصورة الباطنة التى فى داخل الإنسان! ..

فالصورة الظاهرة قد نكون فيها قريبى الشبه من بعضنا البعض! ولكن الصورة الباطنة تختلف.. فمن الناس من تكون صورته الباطنة على هيئة حيوان! وهذا نلمسه فى المجتمع .. لا همَّ له إلا فى شهوته! لاهمَّ له إلا فى شهوة البطن! أو شهوة النكاح! أو شهوة المشروبات المحرَّمة .. أو الأمور التى نهى الله ﷻ عنها، فتجده كالحيوان لا عقل له يسوقه إلا شهوته! مهما قلت! ولذا قال فيهم الله ﷻ فى غير موضع فى كتابه كاشفاً بعض تلك الصور الباطنة:

﴿ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾(١٢محمد)

وهم لا يعقلون إلا شهواتهم ولا يبصرون ولا يسمعون ففى (١٧٩الأعراف):

﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُولَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾

ومن الناس من صورته الباطنة على صورة شيطان! فتجده يجيد الدهاء والمكر الخبيث والخطط السيئة للمسلمين والمسلمات، والكيد للمؤمنين والمؤمنات، والتدابير المحرمة التى لا يرضاها عقلٌ سويٌّ ولادين ولا خلق ولا تشريع إلهى ولا إنسانى؛ لأن صورته الباطنة صورة شيطان، وفيهم قال الرحمن فى محكم القرآن:

﴿ شَيَـٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ

﴾(١١٢الأنعام)

ومن الناس من صورته الباطنة صورة ملاك طاهر؛ تجد فيه النقاء والطهر والصفاء، وطيبة الخلق وحسن التعامل ولين الكلام وإنتقاء الألفاظ! لا يغضب منه إنسانٌ بسبب قالة قالها فيها نهرٌ أو زجرٌ أو غضبٌ لأنه لا يصدر منه إلا الكلام الطيب اللين، كأنه المعنى بقوله ﷻ فى كتابه الكريم (٢٤الحج):

﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾

أو كأنه ينفِّذ قول الله جلَّ فى علاه للمؤمنين من عباد الله :

﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا ﴾(٨٣البقرة)

وكلها صورٌ باطنةٌ، ولذلك عندما تحدَّث الله ﷻ عن المؤمنين، جعل أوصافهم الباطنية هى الممدوحة والمُثْنَى عليها فى كلام ربِّ العالمين ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾

ماصورتهم يارب؟ لم يتكلم الله عن صورتهم الظاهرة لأنها ليست فيها مزية تنسب إليهم ولا يمدحون بسببها! لأنها من صنع الله الذى أتقن كل شيى! لكن المزية للإنسان والتى بها يرفع فى درجات القرب من حضرة الرحمن هى صورته الباطنية فهو الذى يسويها ويصورها ويكونها ويجاهد نفسه حتى ينشأها على كتاب الله ﷻ أو على صورة حبيب الله ومصطفاه ﷺ .. ماصورتهم يارب؟

﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴾(١-٢المؤمنون)،لم يتحدث الله ﷻ

عن أعمال الظاهر! ولكن أعمال الباطن.. حتى فى الصلاة!﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ

مُّعۡرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ ﴾(المؤمنون)

وفروجهم أى جميع الفتحات الموجودة فى أجسامهم فهم يحفظون! وصلواتهم .. أى جميع صلاتهم إن كان صلة بالله أو بحبيب الله ومصطفاه أو بالصالحين من عباد الله، أو بالإخوان فى الله، أو بالجيران، أو بالمجتمع وأهله، أو حتى بالحيوان أو بنعم الله التى لهم بها صلة فى هذه الحياة! أمره الله ﷻ أن يحافظ على هذه الصلات جميعاً رغبة فى إرضاء الله ﷻ ..

فكلها أوصاف باطنية تخلقوا بها فاستحقوا مديح الله، ولذا قال الحكيم[١٤٣]:

قل للذي جدَّ في عزيمته يبغي من العلم أرفع الرتب
من قال في النائبات كان أبي يدعى من الناس فهو غير
«إن الفتى من قال ها أنا ذا» «ليس الفتى من قال كان

يعنى يفتخر بأوصافه وصفاته وأخلاقه التى بناها لنفسه، لا يفتخر بثروته و لا بنسبه ولا بعائلته و لا بجاهه؛ لأن كل ذلك فانٍ، ولكن يفتخر بأوصافه الباطنية التى جاهد حتى تخلَّق بها وأصبح قريب الشبه من سيدنا رسول الله ﷺ.

هذه الأوصاف التى قال فيها سيدنا أبويزيد البسطامى ﷺ :

١٤٣ كتاب عبد الحسين الحويزي

{ ليست الكرامة أن تطير فى الهواء فالطير يفعل ذلك! ولا أن تمشى على الماء فإن الأسماك تفعل ذلك! ولا أن تقطع ما بين المشرق والمغرب فى لحظة؛ لأن الشيطان يفعل ذلك!، ولكن الكرامة أن تغيِّر خُلُقَاً سيئاً فيك بِخُلُقٍ حسن!}.

لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير وهم يتعلَّلون بالحديث: { إن حدثت أن جبلا زال عن مكانه فصدق وإن حدثت أن رجلا زال عن خليقته فلا تصدق } فسنده منقطع[١٤٤]، وأسس الدين كلها تخالفه، ولو كان كذلك ما كان هناك معنى لأمر بمعروف أو نهى عن منكر! ولما طالبنا الله ﷻ بكظم الغيظ إذ قال تعالى: ﴿ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾(١٣٤آل عمران).

فإن كان الإنسان مفطوراً على كظم الغيظ فنعم! ولكن من لم يُفْطَرْ على كظم الغيظ فلما يطالبه الله بذلك إذا كان لا يستطيع أن يهذب أو يغير خلقه؟ وكلما طالبت أحداً أن يكون حسن الأخلاق يجيبك أنا خلقت هكذا! هل تستقيم الدنيا! أيعقل هذا! إذا كان الإنسان لا يستطيع العفو إلا إذا كان جُبِلَ على ذلك! فلماذا طالبنا الله ﷻ بالعفو؟ لماذا قال الله تعالى لحبيبه ﷺ: { صل من قطعك، واعط من حرمك، واعفو عمن ظلمك } فإذا كان الإنسان لا يستطيع أن يتخلَّق بذلك إلا إذا جُبِلَ أو وُلِدَ على ذلك! فلا أمل ولا رجا من وراء كل هذه الأوامر!

١٤٤ قال في المقاصد الحسنة للسخاوى "وهو منقطع إذ الزهري لم يدرك أبا الدرداء" ، كشف الخفاء

إدعاء هؤلاء قولٌ ليست له مصداقيةٌ من الدين ولا من الحقيقة العقلية! ولكن الأخلاق يستطيع الإنسان أن يهذبها ويغيِّرها ويسمو بها فى أعلى المقامات! ومن هنا جاء التفاوت الحاصل بين الصالحين والصالحات فى الدرجات التى بلغوها إذ كانت على قدر جهادهم فى التخلُّق بأخلاق القرآن والتخلُّق بأخلاق النبى العدنان، ثم الرتبة العظمى فى التخلُّق بأخلاق الرحمن فقد ورد عن السيدة عائشة لما سئلت عن خلقه ﷺ قالت: { كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ }[١٤٥] والقرآن كلام الرحمن فهو صفته، وفى الأثر: { إن لله تسعة وتسعون خلقاً، من تخلق بواحد منها دخل الجنة }.

جهاد العارفين فى الأخلاق

فجهاد العارفين فى هذه الأخلاق! كيف يطبعون أنفسهم على أخلاق القرآن، كيف يفطرون أنفسهم على أخلاق النبى العدنان، كيف يجاهدون أنفسهم وذواتهم حتى يكونوا على أخلاق حضرة الرحمن ﷻ .

هذا هو جهاد الكُمَّل من عباد الله ، وقد اختار الصالحون والصوفية هذا المسلك وجعلوه هو النموذج القويم الذى ينبى عليه التصوف فى كل زمان ومكان، ولذلك فنجد جلَّ تعريفات التصوف حول هذا المعنى، فقد قيل : { التَّصوُّف خُلُقٌ، فمن زاد عليك فى الخُلُق فقد زاد عليك فى الصفاء }، وقيل أيضاً فى موضعٍ آخر: { التَّصوُّف هو الأخلاق المرْضِيَّة، أو هو أخلاقٌ مرضيَّة }.

١٤٥ عن عائشة رضي الله عنها،جامع المسانيد والمراسيل.

وهذا هو الأساس الذى به يتفاوت الصالحون والصوفيَّة والصادقون، وكلُّ ما تحكيه كتب الطبقات عن الصالحين والروايات التى يجب أن نعتدَّ بها ونشيعها هى ما يتعلَّقُ بهذه الأخلاق العالية التى اكتسبوها من جهاد أنفسهم.

وأنتم تعلمون جميعا أن سيدنا رسول الله ﷺ كان يطبع أعزَّ أصحابه على ذلك، فهذا هو الصديق الأعظم ﷺ خرج مع رسول الله ﷺ متجهين إلى مكة فى حجة الوداع وقد وضع طعامه وطعام رسول الله على جملٍ واحدٍ وسلَّمه لغلام، وأمره أن يحفظ الجمل وحسب، فسها الولد فضاع الجمل بما عليه من الطعام، فعنَّفه أبوبكر وخرج منه لفظ لعنٍ له وإذا برسول الله ﷺ يمرُّ به ويسمعه فقال له:

{ لَعَّانِينَ وَصدِّيقِينَ؟ كَلاَّ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ } [١٤٦] { قالت السيدة عائشة: فَعَتَقَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ يَوْمَئِذٍ بَعْضَ رَقِيقِهِ. قالَ: ثُمَّ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ فَقَالَ: لا أَعُودُ }

لأن الصــــدِّيق لا يكون لعَّاناً، فلما أخطأ تاب واعتذر وكفَّر عن خطئه، وأخبر النبى ﷺ بذلك، فلا يلعن المؤمن إلا من لعن الله فى كتابه: لعنة الله على الظالمين! أو لعنة الله على الكافرين! وهى لعنةٌ عامة؛ فلا يلعن قوماً مخصوصين إلا إذا كان صدر فى حقهم قرار لعنٍ من ربِّ العالمين فى الكتاب المبين! ... فمهما رأى من أهل زمانه لا يصدر منه لعنٌ لأحدٍ منهم أبدا .

١٤٦ رواه البيهقي، عن عائشة، الترغيب والترهيب، ورواه مسلم والحاكم عن أبى هريرة بلفظ مختلف ونفس المعنى.

ولذلك ورد أن سيدنا أبو المواهب الشاذلى ﷺ وكان جاهد نفسه حتى اتصل بسيدنا رسول الله ﷺ، وأصبح سيدنا رسول الله ﷺ هو الذى يتولى توجيهه فى كل حركاته وسكناته، فجالس ﷺ جماعة من الفقهاء يتدارسون الفقه، وبعدها غاب عنه ﷺ ولم يأته وأبطأ عليه وكان ﷺ يكثر من زيارته، فتوجه إليه ﷺ بشيخه ليعود ﷺ إلى عادته معه! فرأى شيخه ومعه النبى ﷺ ولكنه لم يستطع أن يحقق فى وجهه الشريف؛ فقال له شيخه: هذا رسول الله ﷺ، فقال له: ألا يرانى؟ قال: نعم، قال: ولم حرمنى من رؤيته؟، فقال ﷺ: لأنك جالست من يخوضون فى الفقه!، قال: أليس الفقه علم أتيت به وأمرتنا بدراسته؟ قال: نعم ولكن تصحبه بالأدب، فلا يقولون الشافعى! ولكن يقولون الشافعى رضى الله عنه أو رحمه الله!

فرسول الله ﷺ يعلِّمه الأدب حتى فى دراسة الفقه، لماذا؟ لأن هذا الدين أساسه الأخلاق ومنها الأدب الجمُّ مع السادة السابقين والمعاصرين واللاحقين.

ووجده مرة جالساً مع قومٍ وقد تحدثوا بغِيبة أحد؛ قال: فرأيته ﷺ وأنا فى الأزهر وقد دخل علىَّ وقال : يامحمد! الغيبة حرام، ألم تسمع قول الله ﷻ ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾(١٢الحجرات)، لا تجلس مجلساً فيه غيبة أبداً، ثم قال: يامحمد وإن اضطررت إلى سماعها فلتقرأ الفاتحة والإخلاص والمعوِّذتين وتهبهم لمن إغتيب عندك؛ لعل ذلك يقوم بما حدث! – يعن تهديه من ثواب أعمالك، وورد:

{ جَعَلَ رجلٌ يَشْتِمُ أَبَا بكرٍ ﷺ، ورسولُ الله جالسٌ، فَجَعَلَ يَعْجَبُ وَيَتَبَسَّمُ، فلمَّا أَكْثَرَ ذلكَ رَدَّ عليهِ أبو بكرٍ بعضَ قَوْلِهِ، فَغَضِبَ رسولُ الله، وقامَ، فَلَحِقَهُ أبو بكرٍ ﷺ فقالَ: يا رسولَ الله كانَ يَشْتِمُنِي وأنتَ جالسٌ، فلمَّا رَدَدْتُ عليهِ بَعْضَ قولِهِ غَضِبْتَ وقُمْتَ، قالَ: فَإِنَّهُ كانَ مَعَكَ مَنْ يَرُدُّ عنكَ، فلمَّا رَدَدْتَ عليهِ قَعَدَ الشيطانُ، فَلَمْ أَكُنْ لأَقْعُدَ معَ الشيطانِ، ثم قالَ رسولُ الله: يَا أَبَا بكرٍ، مَا مِنْ عبدٍ ظُلِمَ مَظْلِمَةً فَيُغْضِي عَنْهَا لِلَّهِ ﷻ، إلاَّ أَعَزَّ الله ﷻ بِهَا نَصْرَهُ }[147]

كيف يعرف السالك عيوب نفسه؟

وأخبار الصالحين فى هذا الباب لاتعدُّ و لا تحدُّ، وكلهم يتسابقون فى تحمُّل الأذى والصبر فى معاملة الناس بالحسنى إذا أساءوا إليهم؛ لأنهم يعملون بقول الله:

﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾(٣٤فصلت).

---

١٤٧ السنن الكبرى للبيهقي عن أبي هريرةَ ، ورواهُ اللَّيْثُ بنُ سعدٍ عن سعيدٍ المَقْبُرِيِّ عن بشيرٍ عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ عن النبيِّ في قِصَّةِ أبي بكرٍ رضي الله عنه مرسلاً، دونَ مَا في آخِرِهِ من الترغيبِ في الإِغْضَاءِ

ورأس المال الذى يعتمدون عليه فى هذه الأمور كلها ولا غنى للسالك عنه هو تحسين الظنِّ بكل مسلمٍ فلا يسيئون الظنَّ بأحد أبداً؛ لأنهم رأوا أن سوء الظنِّ يصيب الإنسان بالكمد والهمِّ والغمِّ فى الدنيا، وقد يعرضه لما لا يستطيع تحمُّله من الحساب فى الدار الآخرة، أما حسن الظنِّ فلا يأتى إلا بخير فى الدنيا والآخرة؛ فعاهدوا أنفسهم على حسن الظنِّ بكل مسلم علهم يسلمون ويرتقون فى درجات القرب من ربِّ العالمين مع سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ.

أولاً: زن نفسك بالصالحين!

وأساس جهاد الإنسان فى هذا الميدان أن يشعر أولاً أنَّ به عيوبٌ فى نفسه، لأنه من لم يستشعر ذلك لا سبيل له إلى إصلاح! لأنه يرى أنه لا عيب فيه!، حتى لو دللته على عيبٍ فيه ربما يشمئز منك وأعرض﴿ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ (٧٩الأعراف)،

ولكن ليس هكذا السالك الصادق فى طريق الله، ولذا قالوا : { مقامُ العبد التقصير }، فالسالك فى طريق الله يشعر دائماً بالقصور والتقصير! كيف يزن نفسه بالصالحين أو الصحابة أو بسيد المرسلين؟! فليزن نفسه بصدق!؛ فإن فعل ذلك؛ رأى عيوب نفسه فيحاول إصلاحها! فإن لم يقدر أن يعرف عيوبه! فكيف يفعل؟

ثانياً : إذهب للشـــيخ المربِّى

عرض نفسه على شيخ أعطاه رسول الله ﷺ الأذن فى هذا المجال؛ على أن يعاهد نفسه على أن يتقبَّل نصحه! ... وهنا نقطة فارقة؛ لأن كثيراً من أصحاب وأتباع أو من ينسبون نفسهم للمشايخ فبمجرد أن يوجهه الشيخ إلى عيب عنده! ربما يغضب! وربما ينفر! وربما يفرُّ! ربما يشمئز! بل وقد يشنِّع على الشيخ لأن الشيخ يريد أن يهذِّبه ويرتقى به فى درجات القرب من الله ﷻ!، أمَّا المريد والسالك الصادق فيذهب إلى الشيخ وعينه على النصح، كما كان يفعل الصحابة:

{ جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من بين يديه فقال: يا رسول الله ما الدين؟ قال حسن الخلق " فأتاه من قبل يمينه فقال: ما الدين؟ قال حسن الخلق" ثم أتاه من قبل شماله فقال: ما الدين؟ فقال حسن الخلق" ثم أتاه من ورائه فقال يا رسول الله ما الدين؟ فالتفت إليه وقال أما تفقه؟ هو أن لا تغضب }[148]

عالج الغضب إلى أن تصل إلى أقلِّ الدرجات ﴿ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ ﴾، فإذا رقيت إلى الأعلى ﴿ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾ وإذا أكرمك الله بالأرقى ﴿ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾(١٣٤آل عمران)،

١٤٨ أخرجه المروزي في كتاب تعظيم قدر الصلاة من رواية أبي العلاء بن الشخير مرسلا، تخريج أحاديث الإحياء العراقي.

{ صِلْ مَنْ قَطَعَكَ وَأَحْسِنْ إلى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ، وَقُلِ الْحَقَّ وَلَوْ عَلَى نَفْسِكَ }[١٤٩]، وفى ذلك منازل الرجال أهل الكمال ... فكان ﷺ ينصح كل واحد منهم بما يصلح عيبه فيقول لأحدهم: { لاَ تَغْضَبْ وَلَكَ الْجَنَّةَ }، ويقول للثانى :{ لاَ تَسْأَلِ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكَ الْجَنَّةُ }، وللثالث يقول: { لاَ تَكْذِبْ، وَعَلَيْكَ بِالصِّدْقِ، فَإنْ ضَرَّكَ فِي الْعَاجِلِ كَانَ فَرَجاً فِي الآجِلِ }، ويقول للرابع:{ الصَّمْتُ حِكَمٌ وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ، وَمَنْ كَثُرَ كَلاَمُهُ فِيمَا لاَ يَعْنِيهِ كَثُرَتْ خَطَايَاهُ }، ويقول لآخر قال له أوصنى: { احْفَظْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، فَأَعَادَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، هَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي النَّارِ إلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ }[١٥٠]

ولذا فأول علاج للمريد الذى يريد أن يكون سعيد أن يمسك فاه ولا ينطق لسانه إلا بما يرضى حضرة الله جلَّ فى علاه.

ثالثاً: استعمل مرآة الأخوة!

فإن لم يجد شيخاً يدلُّه على عيبه، فليآخى آخاً له فى الله ويطبِّق حديث رسول الله { المؤمنُ مرآةُ أخِيه إذا رأى فيه عَيْباً أصْلَحَهُ }[١٥١]، فيطلب منه أن يبين له عيبه ليصلحه، وأظنُّ أن هذا صعبٌ فى زماننا .. من الذى يقبل أن يبين له أخوه عيبه؟ ويأخذ نفسه بالجدِّ ويسعى فى إزالة هذا العيب؟

---

١٤٩ ابن النَّجَّار عن عليَ رضيَ اللَّهُ عنهُ.، جامع المسانيد والمراسيل

١٥٠ حديث "الاتغضـب": (طب، طس) عن أبي الدرداء، حديث "الاتسـأل": (طب) عن عبد الرَّحمن بن دلهم، حديث "الاتكذب": إبن لال عن أنس، حديث" الصمت": الْعسكري عن أَبي الدَّرداءِ، حديث "مناخيرهم" عن معاذ، مسند البزار.

١٥١ روى له البُخاري في كتاب «الأدب»، عن عبد الله بن رافع، عن أبـي هريرة.

وقد كان يسألون إخوانهم: هل تستريبون منى شيئاً؟، أو من كان من أهل هذا المقام الكريم الذى يقول صاحبه وهو الإمام عمر ﷺ: { رحم الله رجلاً أهدى إلىَّ عيوبى }[١٥٢]، فجعل تبيين العيوب هدية تهديها له! فخير هدية لأخيك أن تبين له عيبه، ولكن لا تفضحه ولا تفعل ذلك أمام الخلق، ولكن بينكما وتستر عليه حتى يداوى عيبه.

ولذلك كان أصحاب رسول الله ﷺ يتخذ الواحد له أخاً أو صاحباً، وهذه هى الصداقة التى أمرنا بها الله ﷻ ليبين بعضنا لبعض ما خفى من عيوبه مما لا يراه بنفسه! فإذا أهدى أحدنا للآخر عيبه برفق ولين وطريقة سديدة رشيدة أتأسى فيها بخير الأنبياء والمرسلين لعله بذلك يلين ويحاول أن يغيِّر هذا الخلق وبالله يستعين.

رابعاً : بما يصفك أعدائك؟

فإذا لم يجد هذا الأخ الذى يبين له عيبه! فماذا يفعل؟ .. فلينظر فإن كان عنده شيىء من الحكمة فليسمع بما يصفه أعداؤه ومن لا يحبونه! بالطبع يوجد فى كلامهم إفتراءات .. ولكنه ربما وجد فيه أيضا المثالب والعيوب والأخلاق القبيحة التى يجدونها فيه وبها يصفونه! فهم حريصون على إظهار عيوبه! فلينظر بحكمة فى مقالهم! وليتبصَّر فيه! وليعمل على تصحيح نفسه وإصلاح عيبه.

---

١٥٢ الأمثال عن عمر بن عبد العزيز، وتفسير الرازى عن عمر.

خامساً : الإعتبار بالخلق

فإن لم يستطع إلى ذلك سبيلاً، فلينظر إلى الخلق نظر عبرة وعظة واعتبار! فإن رأى فيهم خلقاً غير مستحب وهو عنده عيب! فليبحث فى نفسه عنه حتى يقتلع من نفسه جذور هذا العيب، فيكون الناس بالنسبة له كسبورة تظهر فيها هذه العيوب فيعرفها ويحاول أن يزيلها من نفسه! تأسياً بسيدنا عيسى قيل له:

{ ياروح الله من أدبك؟ قال: ما أدبني أحد، رأيت جهل الجاهل فتجنبته } [153]

{ وقِيلَ لِلأَحْنَفِ: مِمَّنْ تَعَلَّمْت الْحِلْمَ؟ قَالَ: مِنْ نَفْسِي, قِيلَ لَهُ: وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ: كُنْت إذَا كَرِهْت شَيْئًا مِنْ غَيْرِي لَمْ أَفْعَلْ بِأَحَدٍ مِثْلَهُ }, وسئل حكيم: { ممن تعلّمت العقل؟ قال: ممن لا عقل له، كنت أرى الجاهل يفعل الشيء فيضرّه فأتجنبه فصرت عاقلاً وحكيماً }، وقال الرجل الحكيم نظماً :

إذا أعجبتك خِلالُ امرئ فكنهُ تكنْ مثلَ من يعجبك
وليس على المجد والْمَكْرُمَا ت إذا جئتها حاجبٌ يحجبك

روشتة العارفين لإصلاح أخلاق المريدين

إصلاح الإخلاق يا إخوانى هو الجهاد الأعظم الذى يدخل على حضرة الله ﷻ، فإن الإنسان بالعبادات تفتح له أبواب الجنان،

---

١٥٣ فيض القدير.

لكن بالأخلاق الكريمة تفتح له أبواب حضرة الرحمن التى لا يدخلها إلا إذا كان قريب الشبه برسول الله وحبيبه ومصطفاه، فإصلاح الأخلاق هو الجهاد الموصل لكنوز حضرة الخلاق لمن أراد أن يكون من الرفاق! وأحبَّ أن يكون من أهل هذه المقامات العالية والأحوال الراقية، ولذا قال الإمام أبو العزائم ﷺ :

هى الأخلاقُ أسرارُ المعالى تفـاضُ على أولى الهمم
هى الأخلاقُ نسبٌ وإتصالٌ إلى أوج التنزّل والمجـال

فالأخلاق أساس العمل كله، ولذا قال ﷺ فى قصيدة أخرى:

ليس الرقى إلى العليا ولا الوصـــول بـأقوالِ
ولا بعلمِ به تغوى ولا أملِ ولا جهـادٍ بـأبدان وأموال
خـلـق عـظـيـمِ وإيـقـانِ بالله ذى الفضـــل والإحســان

والأخلاق يا إخوانى أخلاقٌ مع الله، ومع حبيبه ومصطفاه، ومع الصالحين من عبادالله، وأخلاقٌ مع خلق الله، ومخلوقات الله وكل ما أبدع الله فى هذه الحياة، ولتفصيل ذلك يحتاج الإنسان أن ينزل مع هؤلاء الأفراد فى ميادين الجهاد ليحظى بالمراد! .. فكيف السبيل إلى معرفة هذا كله وخوض غماره؟ وتوقِّى أخطاره؟

أولاَ: القلب هو المركز

هذا إخوانى لا يكون بين الإنسان ونفسه!، وكم نبَّهنا إلى هذا مراراً وتكراراً ولكن يكون على أيدى الصالحين المأذونين بالتربية من سيد المرسلين؛

فهم الذين يأخذون بأيدى المريدين الصادقين من جاؤا بهمة وعزم طالبين الكشف عن عيوبهم والعمل بروشتة علاجهم من موانع أخلاقهم التى تحجبهم عن ربهم! ليكونوا من الواصلين، فإن صدقوا فيما عزموا من التسليم وكانوا مريدين فاعلين لا مستمعين، أمروا بالمجاهدات الازمة للتخلص من الأخلاق الحاجبة عن رب العالمين!

والعارفون مع أجهزة الآشعة المحمدية! وعنهم الكواشف القلبية! فهم يُرشُّ على قلوبهم رذاذٌ من بصيرة حضرة النبى ﷺ، فينظر الواحد منهم للإنسان فيعرف من شكله الأخلاق التى تحجبه وتمنعه من الوصول لحضرة الديان!...

وهنا نقول أن محل النظر هو القلب؛ لأن القلب هو محل تنزل الرب! فأين يتنزل مولاك فيك! وما البيت الذى تفرشه بأخلاق حبيبه ليجتبيك؟ إنه القلب!

إذاً فمتى يُفتح للإنسان باب العطاء؟ إذا جهز القلب واستعدَّ لهذا العطاء!.. فعندها يرفعون الغطاء فتهطل على القلب تنزلات القرب والهناء؛ إنَّهُ القلب مركز استقبال العطاء، ومركز الفتح، ومركز الصفاء، ومركز النور والجمال والبهاء.

إذا صفا القلب من وهم وشبهات يشاهد الغيب مسروداً بآيات

فالذى يحجب القلب عن استقبال هذا العطاء والنور والبهاء من الجمالات الإلهية، والإتحافات الربانية، والمنح المحمدية ... هو ما استكنَّ فيه من الأخلاق الإبليسية أو الجبروتية أو الحيوانية، أو غيرها مما يشغله من الأخلاق المانعة للأنوار العلية والتنزلات القدسية.

ثانياً: ادفن نفسك ودع الكبر

وأول ما يبدأ به الصالحون مع مريديهم هو السرُّ فى الحديث الشريف:

{ كان في عهد رســـول الله ﷺ رجل يُعجبنا تعبده واجتهاده، فذكرناه لرســـول الله ﷺ باسمه، فلم يعرفه، ووصفناه بصفته، فلم يعرفه، فبينا نحن نذكره إذ طلع الرجل، قلنا: ها هو ذا، قال: إنَّكُمْ لَتُخْبِرُونِي عَنْ رَجُلٍ إنَّ عَلى وَجْهِهِ سُفْعَةً مِنَ الشَّيْطَانِ – وفى رواية من النار- ، فأقبل حتى وقف عليهم، ولم يسلم فقال له رسول الله ﷺ :نَشَدْتُكَ بالله، هَلْ قُلْتَ حِينَ وَقَفْتَ عَلى المَجْلِسِ: مَا فِي القَوْمِ أَحَدٌ أَفْضَلُ مِنِّي؟ قال: اللهم نعم، ثم دخل يُصَلِّي} [١٥٤]

فهذه البداية! وأول ما يوجه الصالحون إليه أبنائهم الصادقين ومريديهم الطالبين لفتوحات رب العالمين، فكون المريد يرى نفسه أفضل من غيره فإنه لن يفلح فى طريق الله !متى ينمو النبات ويتم نتاجه؟ إذا كان على سطح الأرض أم تحت الأرض؟ من الجائز أن ينمو فوق سطح الأرض؛ ولكن لو جاءت ريح ستميله، الذى يتم نتاجه ويثمر! هو ما نبت تحت الأرض!، قال جعفر بن الفراء:

١٥٤ وعن أنس بن مالك، مجمع الزوائد ومسند أبى يعلى وسنن الدارقطنى

من أخمل النفس حيَّاها وروَّحها ولم يبت طاوياً منها على ضجر
إن الرياح إذا اشتدت عواصفها فليس ترمي سوى العالي من

وقال سيدى أحمد بن عطاء الله السكندرى ﷺ:{ ادفن نفسك فى أرض الخمول تشرق عليك أنوار الوصول }، لذلك كان الصالحون دائماً يكلفون المريدين فى البداية بالخدمة، فيكلف هذا بتقديم الطعام وهذا بالشاى أو الماء، وآخر يستعظم نفسه فيجلسه على الباب يأخذ أحذية إخوانه ويرتبها ثم يلبسها لهم عند خروجهم ... لماذا؟ لأنه يرى مرض الكبر عنده، هذا المرض الذى قال فيه الحبيب:

{ لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ }[١٥٥]

فمثقال ذرة من كبر كما أنها تمنع من دخول الجنة الآجلة، فهى تمنع أولاً من دخول الجنة العاجلة .. جنة المعارف وجنة الرقائق والحقائق! فمن الجائز أن يرى الإنسان فى نفسه أنه شيخٌ كبير، لكن هذا الكبر يحرمه من عطاءات الله ومن نور الله! لأنه لم يمش على منهج رسول الله ولا استجاب للطبيب الربانى الذى يعطيه الدواء الذى يعالجه من هذا الداء، ولذا اسمعوا ماذا كانوا ﷺ يفعلون:

{ مَرَّ عبدالله بن سلام في السُّوقِ وعليهِ حُزْمَةٍ مِنْ حَطَبٍ فقيلَ له: ما يَحْمِلُكَ عَلَى هَذَا وقَدْ أَغْناكَ الله عَنْ هذا؟ قالَ: أَرَدْتُ أَنْ أَدْمَغَ الكِبْرَ، سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: لا يَدْخُلُ الجنّةَ مَنْ في قلبهِ خَرْدَلَةً مِنْ كِبْرٍ }[١٥٦]

---

١٥٥ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ صحيح مسلم ومسند الإمام أحمد
١٥٦ رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن، مجمع الزوائد

ودواء الكبر ليس فى قيام الليل ولا صيام النهار، فهذه الأدوية لمن عنده جمود، أى نفس جمادية فيأمرونه بقيام الليل، أو نفس شهوانية فيأمرونه بصيام النهار حتى يقلل الشهوة ... ولكن هذه العبادات ربما زادت من رؤية العبد لعمله فيزيد كبره ويرى نفسه فوق إخوانه، كما ورد فى حديث الرجل الذى على وجهه سفعة من الشيطان أعاذنا الله، ولذا فلابد من الطبيب الربانى الخبير الرحمانى ليصف العلاج الناجع ليكون الشفاء القاطع.

ولأنى رأيت هذا المرض من أشدها عصيانا على الشفاء لأن الكبر الخفى يجعل من سلكوا السنين الطوال إذا سمعوا المقال؛ قالوا ليس لنا بحال! هذا لأهل البداية قد جزنا هذه الحكاية! وإن أكثرهم لم يبرحوا مكانهم عند خط البداية ولم يبدؤا بعد أول فصل من الرواية, وأنفسهم تسوِّل لهم أنهم بلغوا أو شارفوا النهاية!

ولذا أقصُّ عليكم شيئاً من سيرة الإمام الغزالى ﵁ لتعرفوا كيف عالجه شيخه من مرض الكبر! حتى أبرأه الله فجاز وفاز!! وزنوا أنفسكم تسعدوا!!

ثالثاً: الإمام الغزالى والتطبيق العملى

الشيخ الغزالى ﷺ كان أكبر علماء عصره، فكان يحضر مجلس علمه فى بغداد حوالى عشرة آلاف نفس، وكان فيهم ما لا يقل عن مائة من الأمراء والوجهاء، وما لا يقل عن ثمانين من العلماء الأجلاء، ولكن كان له إكرام عند الكريم، وإنعام عند حضرة المنعم، يقول ﷺ: ... ابتدأت فحصَّلتُ كل العلوم، ثم وجدت أن الصوفية أفضل الناس فقرأت كل كتبهم، ثم علمت أن أحوالهم وأنوارهم لا تُنال بالقراءة! فبحثت عن شيخ ليعالجنى حتى تُفتح البصيرة وهى لا تفتح إلا إذا كان القلب ليس فيه شئ لغير الله:

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ ﴾(٢٤التوبة)

ففى هذه الحالة لا تصلح لطريق الله! إذاً لابد ألا يكون فى القلب غير الله ورسوله، أما إن كان هناك شئ من هذا كله فإذاً بينك وبين الوصول وبينك وبين الشهود وبينك وبين العطاءات بَوْن بعيد! لأن الله ﷻ لا يقبل فى القلب سواه، لأنه سبحانه يغار على أوليائه أن ينشغلوا بالشئون عمَّن أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، ...

حتى إذا انشغلت بالجنَّة يحرمك من المنَّة، يخاطب الله ﷻ أحدَ العارفين ويبين له المنزل الراقى فيقول له: { عجبت لمن رآنى دون مكوناتى، فقال: سبحانك تنزهت، من الذى يراك دون مكوناتك؟ قال: من اتخذنى وسيلة إلى جناتى فقد رآنى دون مكوناتى}.

فالذى يعبد الله لابدَّ أن يعبده لذاته: (اعبدنه لذاته أفردنه)، وقيل فى الزابور أو أوحى الله إلى داوود ﵇ : { من أظلم ممن عبدنى لجنة أو نار! لو لم أخلق جنة أو ناراً! أفلم أكن أهلاً لأن أعبد! }، وفى الأثر المعتبر: { مرّ سيدنا عيسى ﵇ على طائفة من العباد قد نحلوا،! فقالوا: نخاف النار ونرجو الجنَّة فقال لهم: مخلوقاً خفتم ومخلوقاً رجوتم!، ومرَّ بقوم آخرين كذلك فقالوا: نعبده حبَّاً له وتعظيماً لجلاله؛ فقال: أنتم أولياء الله حقاً معكم أمرت أن أقيم }.[١٥٧]

سيدنا إبراهيم دخل النار ولم ينشغل إلا بالواحد القهار، ونزل عليه أمين السماء والوحى جبريل وعرض عليه خدماته فرفضها، لأنه لا يريد إلا الله فجعلها له برداً وسلاما فكان فى بقعة من الجنة بداخل النار لأنه ليس فى قلبه إلا الواحد القهار، وبعد مرور ثمانين عاماً رزقه الله الولد، فدخل فى قلبه شئٌ من محبته، فأمره الله أن يلقيه هو وأمه فى صحراء لا فيها زرع ولا ضرع ولا ماء! حتى لا يبقى فى قلبه إلا ذات الله، وبعد فترة زاره حيث تركه فوجده قد شبَّ فأُعجب به، فدخل فى قلبه شئ من المحبة له، فأمره الله أن يذبحه

١٥٧ "من أظلم": العهود المحمدية للشعرانى، وإحياء علوم الدين، وفى حكاية سيدنا عيسى فى الإحياء.

فلا يبقى فى قلبه إلا الله: ﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴾(١٠٣الصافات) أسلم القلب لله ولم يعد فيه غير مولاه، فهنا جاءت:﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(١٠٥الصافات) ...فكل من يريد مقام الإحسان يطهر القلب من كل ما فى الأكوان ولا يجعل فيه موضعاً وإن قلَّ لغير حضرة الرحمن عز وجل، وهذا جهاد أهل المشاهدات وأهل الفتوحات.

فلما وجد شيخ الإمام الغزالى أن الغزالى عنده مرض الكبر! قال له: أتريد الفتح الذى عندنا؟ قال: نعم، قال: فاخلع ملابسك والبس ملابس سقاء، وتحمَّل قربة على ظهرك، وتدور فى الأسواق تُسقى الناس لوجه الله، وإياك أن تقبل من أحد شيئاً، ووزعه على الأسواق حسب الأيام!! ... من يقبل ذلك؟!! الذى يريد الفتح، لأن ذلك علاج لمرض الكبر:

ألا من يكن فى قلبه بعض ذرة من الكبر والأحقاد ما هو ذائق
إلى أن فتح عليه الفتاح ﷻ، وكذا حدث لغيره من العارفين .

رابعاً: التخلُّص من ســـمات المنافقين

فدواوين الصالحين مملوءة بمثل هذه النماذج الطيبة، لماذا؟ .....

حتى يتعالج المريد الصادق المسلِّم نفسه لشيخه من الأمراض التى عنده إلى أن يتحقق بقول الله ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾(٨٩الشعراء)، وعندها تُفتح له كلُّ كنوز الفضل الإلهى من حضرة الله ﷻ، لأنه لم يبقَ فى القلب سوى الله جلَّ فى علاه.

لو كان القلب به شعبةٌ لحبِّ الظهور، و(حبُّ الظهور يقطم الظهور!)، إذاً كيف ينال النور! وهو ما زال يتعشَّق الظهور! ويحلم بالظهور فى النور!!

النور محظور على أهل الهوى بادر نعطك الأقداح

لو كان لديك هوى لأولادك أو أقاربك وأعطوك العلوم الإلهية، هل ستخصُّ بها هؤلاء وتترك أهلها والمستحقين لها؟!! أو هل ستطلب الدنيا بسببها؟!! أو هل ستطلب بها الجاه عند الناس؟!! إمامنا أبو العزائم ﷺ قال عن الصالحين:

{ نحن قوم نكتم أسرارنا عن الطالب حتى لا يكون له شهوة إلا فى الحق }

فإذا كان يشتهى الأكل والشرب، أو يشتهى السيجارة، أو يشتهى حديث الناس عنه فليبقَ فى شهوته، أما إذا لم يعد له شئ إلا رضاء الله، ولا يريد من الله إلا الله فياهناه، وهذا هو الذى يتحقق له مناه.

فأنت تجاهد حتى تزيل كل الشهوات الخفية الساكنة فى القلب وتمنعك من العطاءات الربانية، كيف تعرف هذه الشهوات الخفية؟ لابد من خبير إذا أردت:

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ﴾(٥٩الفرقان)

فتعالَ لنا!، أما إذا لم ترد هذه الأشياء فأنت حرٌ!، وإن كنت غنياً فالله أغنى!

أنـاسٌ أعرضـــوا عنـا بــلا جـرم ولا مـعـنــى
وخلّونــا ولو شـــاءوا فـهـلا أحســـنوا الـظـنَّ
فــإن كــانوا لنــا كنــا وإن عــادوا لــنــا عـدنــا
وإن كانوا قد اســتغنوا فــإنــا عـنــهـمـو أغـنــى

إذاً لابد للإنسان أن يتخلص من شهواته الخفيَّة، بعد التخلص من شهواته الظاهرة الجليَّة، ويصبح من الصادقين، ظاهره كباطنه، وباطنه كظاهره، إذا كان أمام الناس بوجه وفى القلب بوجه آخر فهذا منافقٌ فما له وما لأحوال الرجال!!

فأول شئ يجب على المريد أن يتخلص من سمات المنافقين بالكلية، والتى ذكرها الله، وبينها ووضحها رسول الله، فإذا بقى فيه سمة من سمات المنافقين فما زال لم يدخل فى درجة الإيمان الكامل، إذاً لابد اولاً أن تتحق بكمال الإيمان، متى؟

إذا تطهرت من كل أوصاف المنافقين بالكلية الظاهرة والخفية، فإذا تخلص من هذه وأراد أن يتخلص من الشهوات الخفية فإن الصالحين يدلونه على الأحوال التى يتخلص بها من هذه الأوصاف حتى يبلغ مقامات الرجال أهل الكمال، ويصبح فتى فى طريق الله، يدخل فى قول الله:

﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾(١٣الكهف)،

﴿ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾(٦٠الأنبياء).

سيدنا أبو العباس المرسى ﷺفى شرحه لهذه الآية قال:{ إنما سُمى فتىً لأنه كسَّر الأصنام، وكل من كسَّر أصنامه المعنوية يُسمى فتى }.

ما هى أصنامك المعنوية؟ .. هى الكبر والحرص والطمع والشهوة وحب الظهور .... وغيرها من هذه الأصنام التى لابد أن يُكسرها حتى يكون فتى فى طريق الله، وينال مقام الفتوح.

إذا كان الأنبياء والمرسلون مجتبين، الله اصطفاهم وجُبلوا على هذه الصفات الإلهية، ومع ذلك يتولاهم الله ﷻ فى كل أحوالهم، ويحاسبهم على كل أنفاسهم ،قال لسيدنا يعقوب: أتدرى لِمَ أبعدت عنك يوسف؟ قال: لا يارب، قال: لأنك خفت أن يأكله الذئب، ألم تعلم أنه فى عنايتى:

﴿ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴾ (١٣يوسف)

كلمة حاسبه عليها الحسيب ﷻ ..وأخذه منه .. حتى ابيضَّت عيناه من الحزن على الذنب الذى فعله.

بعث الله ﷻ روح قارون بعد أن خسف الله به الأرض إلى سيدنا يونس بعد أن سقط فى اليم وابتلعه الحوت، وقال له:{ يا يونس لا تلجأ إلا إلى الله من أول وهلة، قال: لِمَ؟ قال: لأنى ناديت ابن الخالة ولم أنادى الله ﷻ فخسف الله ﷻ بى الأرض }، كيف؟ لأنه عندما خسف الله ﷻ بقارون الأرض قال لموسى: تبت يا ابن الخالة سبعين مرة ويقول سيدنا موسى فى كل مرة: يا أرض خذيه، فعاتبه الله على ذلك وقال له: يا موسى يستغيث بك سبعين مرة فلا تغثه، وعزتى وجلالى لو استغاث بى مرة واحدة لأغثته!! فلذلك بعثه الله إلى سيدنا يونس حتى لا يستغيث إلا بالله، ولذلك قال وهو فى قاع الحوت ، قال تعالى فى (٨٧الأنبياء):

﴿ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾

فلم ألقاه الله فى قلب الحوت مع عنايته به سبحانه؟ لأنه يئس! ولا يجوز اليأس مع الأنبياء والمرسلين! فلما يأس وتركهم وخرج ألقاه الله فى بطن الحوت.

فإذا كان الله ﷻ مع الأطهار الأخيار الأبرار الذين جُبلوا على الأوصاف الإلهية النورانية يربيهم الله ﷻ لهذه التربية الزكية الربانية، لكننا نحتاج إلى أن نغير من أنفسنا أطواراً: ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ (١٤نوح) فتغيِّر الطور الذى أنت فيه إلى أن تُصبح إنساناً ربانياً تسير على الخُلق القرآنى، وتتأسى بالحبيب ﷺ فى كل حال.

فكيف أعمل فى تلك الأطوار؟

لابد للإنسان الواعى أن يعرض نفسه على العارفين ويجالس الصالحين، لأنَّ مجالستهم هى البلسم الشافى لهذه الأدواء، وهى التى تُنقِّى الإنسان من هذه الأدواء ومن تلك البلاءات ومن هذه الأمراض بشرط:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ ﴾(٢٤الأنفال).

فيظل الإنسان يجاهد إلى أن يصفو القلب ولا يبقى فيه غير وجه مولاه، ولا يصبح له هم ولا وتر ولا إرب ولا شغل إلا بحضرة الله، وعندها يحقق الله له مناه.

خامساً: الإستغاثة بالشيخ

وفى خلال هذه الأدوار وتلك الأطوار .. وأثناء سلوك ذلك المضمار يلوح فى الأفق سؤال، هو من الكثيرين على بال: لما كان الشيخ هو باب دخولى لتلك المجاهدات، وهو الذى يكشف له الله عن مكنون نفسى ليرى بنور بصيرته المحمدية ما بى من الأمراض والأدواء والأخلاق المردية! فهل يمكن الإستغاثة بالشيخ فى جميع تلك الأمور والأحوال، وذلك لقربه من الواحد المتعال؟

وأنا أبين وأقول ليس الشيخ المربى هو باب الفتح للمريد الصادق وفقط! بل إنه هو بابه القريب من رسول الله ومن حضرة الله جلَّ فى علاه، وللمريد أن يستغيث بشيخه فى الشدائد التى يقع فيها، فإذا وقع فى أى شدة فى الدنيا يستغيث بالشيخ، وإذا وقع فى أى شدة فى الآخرة يستغيث بالشيخ، والملائكة تُبلغه وتقول له: فلان فى موطن كذا يستغيث بك، فيسأل الله فيه فيشفعه فيه، حتى فى جهنم لو نادى؛ تُبلغه الملائكة وتقول له: فلان يستغيث بك فى مكان كذا، فيسأل فيه الله فيشفعه الله، وهذا فى الأمور المدلهمة، وكان الصالحون يشيرون إلى ذلك دوماً بأنهم لهم جاه عند الله، ومن استغاث بهم فى أى زمان أو مكان أغاثه مولاه لقربهم من حضرة الله جل فى علاه، ومكانتهم عند سيدنا رسول الله ﷺ.

لكن فى الفتح والوصول فالمريد يحتاج إلى العبد الموصول، فيأخذ بيده خطوة خطوة ولا بد له من السير على الأصول، فلا يصح أن يجلس المريد ويستغيث بشيخه ويسأله النظرة والمدد، ولا يحرك ساكناً معه ولا يستجيب لنصحه ويقول بالفضل ياسيدى من غير مجهود! إذ لا بد حتماً له لبلوغ المراد من خوض نار الجهاد ليخرج من جحيم البعاد، والجهاد على الأصول، فلابد للمريد أن يجاهد ليشاهد! ولابد له من قطع المراحل وولوج المَشَاهد!! وليس السامع كالشَّاهد!

سادساً: إقرأو الإحياء لتصيروا أحياء

وهنا وقبل أن أنتهى من الموضوع أعرف أن كل السالكين والراغبين، دائما ما يقولون: فماذا نقرأ إذاً من كتب القوم عند إبتداء السلوك لملك الملوك؟

فأنصح إخوانى أجمعين، والمسلمين الراغبين فى نوال هذا الفضل من رب العالمين، ويريدون أن يسلكوا سبيل الفتح المبين، أنصحهم أن يطلعوا ويقرأوا كتاب: (إحياء علوم الدين) للإمام الغزالى، وهناك مختصر له، لأنه كتاب شامل للعقيدة والأحكام الشرعية والأخلاق والمعاملات والأحوال، ويعتبر أشمل كتاب فى دين الله جلَّ فى علاه، فلابد لنا منه حتى نقف أولاً على أرضية صلبة من العلم بالله جلَّ فى علاه.

وهذا الكتاب ألَّفه الإمام الغزالى بعد الفتح فى القرن الثالث الهجرى، ولذلك فكل علوم الصوفية قبله موجودة فيه، ككتاب (قوت القلوب فى معاملة المحبوب) لأبى طالب المكى، و(رسالة القشيرى) وغيرها، وكذلك اشتمل أحوال الصالحين من عصر التابعين إلى عصره، إلى جانب العلوم الشرعية التى لا غنى عنها للإنسان، وقديماً قيل: من لم يقرأ الإحياء فليس من الأحياء!..

وبالنسبة للحديث الشريف فقد قيض الله له إماماً فى علم الحديث وهو الشيخ العراقى فخرج أحاديثه كلها، فيجب أن نراعى الأحاديث الصحيحة ولا نلقى بالاً للأحاديث الموضوعة، لكن لا غنى عنه حتى تعرف كيف تسير، ففيه الآداب المطلوبة لك، وفيه الصلاة والصيام والزكاة والحج والعقيدة، وفيه آداب تلاوة القرآن، وآداب المعاملة مع الجيران، والإستئذان، وكل الآداب المطلوبة موجودة، وفيه كل ما تطلبه من المقامات، من أول التوبة إلى الرضا عن الله ﷻ، كتابٌ شاملٌ فلنقرأه حتى نكون على بصيرة علم من أمرنا، ونبدأ بسلوك الطريق إلى الله ﷻ فى صحبة الشيخ المربى عساه سبحانه أن يرفع شأننا، ويبلغنا مرادنا.

سابعاً: علامة الوصول برؤية الرسول

وأخيراً لا أترككم حتى أكشف لكم عن علامة صفاء القلب، فالناس فى أيام الحج تهيم فى السفر إلى روضة الحبيب ﷺ، لكن الصالحين يتمتعون بالرسول فى كل وقت وحين، كيف ذلك يا أحباب؟ وما علامة القرب من هذا الجناب؟

علامة صفاء القلب هى الفتح الإلهى، فمتى أعرف أن قلبى صفا؟ .. إذا فُتحت لى كنوز أهل الصفا والوفا، أما إذا لم تُفتح الكنوز إذاً ما زال عندى شئ من الجفا، ويجب أن أعالج الجفا حتى أفوز بالصفا.

متى أعرف أنى من كُمَّل المؤمنين؟ إذا جاءنى وبشرنى سيد الأولين والآخرين، علامة كمال الإيمان رؤية سيدنا رسول الله، لأن الله قال له: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٤٧الأحزاب)، فمن الذى تأتيه لتبشره يا رسول الله؟ قال:

{لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يكونَ الله ورسُولُهُ أحَبَّ إليهِ مما سِواهُما، وَحَتّى يُقْذَفَ في النارِ أحَبَّ إلَيْهِ مِنْ أَنْ يَعُودَ في الكُفْرِ بَعْدَ أنْ نَجَّاهُ الله مِنْهُ، ولا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتّى أكونَ أَحَبَّ إلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ والنّاسِ أجْمَعِينَ }

لأنه بالفعل اصطلى بنار الجهاد حتى أخرجه الله من أخلاق البعاد، وتخلَّق بأخلاق القرب والوداد! فعندما يصل إلى هذه الغاية يأتيه رسول الله ويبشره بالفتح والعناية !... ، أما إذا لم يأتى رسول الله؟ إذاً ما زال فىَّ شئ من الأغراض أو الأعراض أو الأمراض التى ذكرها رسول الله، وهنا يجب أن أعالج نفسى حتى يأتينى رسول الله ويبشرنى، لأن هذه هى أحوال الصالحين.

فإذا جاءت البشرى هنَّؤه، ثم إلى مرحلة أخرى نقلوه، وإلى باب آخر أدخلوه، ويظل الرجل الصادق فى حضن أحباب الله الصالحين ينتقل من درجة إلى أعلى ومن حال إلى أرقى حتى إذا استوى سلَّموه لسيد الأولين والآخرين وأدخلوه ليتولى بذاته ﷺ سياسة أمره ومتابعة شأنه وإرشاده وتوجيهه فى كل وقت وحين مناماً ثم يقظة، وهذا هو حال رسول الله مع الصالحين السابقين واللاحقين.

سيدى إبراهيم المتبولى ﷺ رأى سيدنا رسول الله فى المنام فذهب إلى أمه يزف لها البشرى – وكانت من الصالحات- فقالت له: يابنى لا تتم رجوليتك حتى ترى رسول الله ﷺ فى اليقظة؛ لأنها تريده أن يبلغ المقام الأرقى، فظل يجاهد حتى صفا ووفا ورأى الحبيب المصطفى بعد زوال الجفا جهاراً عياناً!! وكان على هذه الشاكلة كثيرٌ من عباد الله الصالحين.

ومنهم رجل يسمى خليفة بن موسى النهرملكى، كان من الصالحين فى بلاد العراق، يحكى أن سيدنا رسول الله جاءه فى إحدى الليالى سبعة عشر مرة، ثم قال له فى الختام: يا خليفة لا تضجر من كثرة رؤيتى فإن كثيراً من الأولياء ماتوا بحسرة رؤيتى ولو مرة واحدة![١٥٨] .. ولمَّا جاءه الموت قال لمن حوله أرى رسول الله ﷺ وصحبه الكرام يبشرونى بنعمة من الله ورضوان، ثم قال: أرى الملائكة تبشرنى بفتح الله ﷻ، ثم خرجت روحه إلى بارئها سبحانه وتعالى

١٥٨ من أراد المزيد عن رؤية رسول الله ﷺ والسبيل لها فليقرأ كتابنا" الصوفية فى القرآن والسنة" ط٢، ص٢٢٥-٢٥٤

وعلى هذا كان كُمَّل الصالحين فى كل زمان ومكان إلى يوم الدين.

ثامناً: بشرى هذا الزمان

وإياك ثم إياك أن تقول أن هذا الزمان يخلو من هذه الأصناف، كأن تقول نحن فى آخر الزمان ولا يوجد مثل هؤلاء!! مَنْ أكثر الأنبياء عطاءاً ونوراً وفتحاً؟ الأول أم الأخير؟ سيدنا رسول الله ﷺ هو الأخير وهو أعظمهم فتحاً وأكثرهم خيراً وبركة صلوات ربى وتسليماته عليه.

وكلما زاد الجفاء زاد العطاء لأهل العطاء حتى يستطيعون مواجهة الجفاء بالنور الذى وضعه الله فى قلوبهم من عنده ﷻ، كلما تزيد الظلمة كلما يزيد فى قلوب الصالحين النور ... فهذا الزمان فيه كل شئ، والعطاءات تزيد من الحميد المجيد، ولكن الفتح يحتاج إلى أهلية، ورجل عنده عطيه ...

فأنت عليك الأهلية أى تؤهل نفسك، فإذا وُجد صاحب الفتح وتأهلت أمدك الله ﷻ من عنده بالعطاء لأن هذه هى سُنة الله ﷻ التى لا تتخلف، لكن وُجد صاحب الفتح وأنت لم تتأهل فكيف تنتفع بالعطاء؟!! .. وخذوا مثالاً واضحاً الكهرباء فى العمارة كلها، ولكن الشقة التى تمتلكها فى العمارة لم تركب فيها أدوات الكهرباء التى بها يدخل النور فى الشقة ! إذاً كيف تدخل الكهرباء فيها؟! إذاً أنت عليك أن تصلح الشبكة الداخلية وتستعين بهم، وهم سيمدوك ويعينوك عل تحقيق هذه الأمنية.. فلابد أن تبدأ لأن:

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ ﴾(٤٦فصلت)

حكم الله الذى جعله على الأولين والآخرين:

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾

(٦٩العنكبوت)

ما مدى الجهاد؟ ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ ﴾ حتى تدخل فى دائرة:

﴿ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ ﴾(٧٨الحج).، والجهاد ليس كلام، ولا أوهام وأحلام!!

كثير ممن يدعى السلوك يعيش فى الأوهام، ويتهيأ له أن هذه الأوهام فتح من الله!! أول فتح تعرف أن الله فتح به عليك أن يعرفك الله بنفسك! فيفتح لك أرجاء مملكتك التى فيك، وتشاهد ما فيك جهاراً من أنوار خالقك وباريك ﷻ::

﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾(٢١الذاريات)

وتبصرك فبما فيك يكفيك، فإذا كانت لك أنيَّة وأوصاف تتمسك بها ولا تريد أن تتخلَّى عنها فـ"أنت" الحجاب، لو رُفعت الـ"أنــا" ومت فيه، وعشت فيه ...لكُشف لك الحجاب ... ولصرت من الأحباب:

انــفــى أنــا واثــبــت أنــا   تــلــقَ الــمســــرَّة والــهــنــا
تشــــهـد جـمــالاً ظـاهـراً   بــالــحســــن يــا مــن أمَّــنــا

الأخلاق ....

الأخــلاق .....

الأخــــلاق ......

هذا هو المنهج السهل المبسط اليسير..

لابد لك من الجهاد للتخلق بالأخــلاق!...

وأى عطاء ليس له ثمن من الأعمال الصالحة فى هذه الحياة، لكن اعمل ولا تشهد أنك تعمل بنفسك وإنما تعمل بمعونة ربك وبتوفيق إلهك، واعلم أن هذا العمل لو خلا من الزلل والعلل لا يساوى قليلاً ولا كثيراً فى ملكوت الله ونور الله وأسماء الله وصفات الله جل فى علاه، وإذا تفضل عليك المتفضل بفضل فهو فضل من عنده جلَّ فى علاه، لا بعمل عملته، لكن العمل تحقيقاً لما ورد فى الكتاب ومتابعة للنبى الأواب، وسيراً على منهج الأصحاب حتى ندخل فى وراثة الكتاب:

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾(٣٢فاطر).

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وصيَّـــــــة

إخوانى الأحباب .بارك الله ﷻ فيكم أجمعين ...

بعد أن أكرمنا الله بتمام كتابنا هذا الذى أرجوه سبحانه أن يكون لبنة فى بيان منهاج الواصلين، ...

ولما كنا قد تحدثنا وتناولا فى غير موضع منه عن أحوال ومقامات الواصلين والأولياء والصالحين، وبينَّا شيئاً من كراماتهم وآيات تأييد الله لحبيبه ولدينه فى أشخاصهم بما أفاض عليهم ﷻ من البصيرة المضيَّة والإلهامات النبويَّة والرؤى البهيَّة والمكاشفات الوهبيَّة والتوفيق فى الإرشاد والإشارة وإستجابة الدعاء والرجاء وإصابة العبارة! فقد رأيت أن من واجبى أن أختمه بهذه الوصية الأبويَّة حرصاً على سلامة عقيدة وقلوب أبنائى وإخوانى وأحبابى والمسلمين أجمعين:

أوصى أبنائى وإخوانى وأحبابى والمسلمين أجمعين:

أولاً:

أن يعلَّوا هممهم وعزائمهم فى طريق الله فيسيروا فيه لله؛ لا لسواه، لا لعطية ولا لفتح ولا كشف ولا كرامة، وأن يتحلُّوا بكمال الإعتقاد بأن الإستقامة على شرع الله هى الكرامة الحقيقية الدائمة والتى هى خيرٌ من ألف كرامة.

ثانياً:

إننى والحمد لله لا آلو جهداً أن يكون نصحى وقولى من بعد عملى مطابقاً للكتاب والسنة وعمل السادة الأئمة، فأنصحهم جميعاً إن وجد أحدٌ شيئاً مما ينسب إلى غير ذلك؛ فليقف فوراً وليستوثق من القول والفهم ليستبين له الحق!.

ثمَّ فليأخذ بما وافق الشرع، وليسأل الله لنا المغفرة إن أخطأنا فى إجتهادنا، فإن تكرَّم وراجعنا؛ فله الشكر منَّا والأجر من الله، فإن فوق كل ذى علم عليم.

ثالثاً:

إننا والحمدلله نطلب من كل مسلمٍ، ولا ندخر وسعاً لكى نؤكد لكل من قصدنا ونحثهم بكل السبل :

على الأخذ بالأسباب الشرعية والأساليب التقنية والوسائل العلمية التى سنَّها الله تعالى فى هذه الدنيا لإنجاز الأعمال وقضاء المصالح كالتوظف والعلاج أو الزواج والإنجاب أو أى أمل فى الحياة! فنطلب من الجميع أن يقصدوا أولاً المختصِّين من أهل العلم والخبرة وأن يطرقوا جميع الأبواب الشرعية كما أمر الله تعالى وسنَّ رسوله ﷺ، الذى قال فى الحديث الشريف الجامع فى الأخذ بالأسباب :

{ ثَلاَثَةٌ لاَ يُجِيبُهُمْ رَبُّكَ عَزَّ وَجَلَّ: رَجُلٌ نَزَلَ بَيْتاً خَرِباً، وَرَجُلٌ نَزَلَ عَلَى طَرِيقِ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ أَرْسَلَ دَابَّتَهُ ثُمَّ جَعَلَ يَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَحْبِسَهَا }[159]

١٥٩ (طب) عن عبد الرَّحمٰن بن عائذ الثمالي رضي الله عنه، جامع المسانيد والمراسيل.

أى لا يستجيب دعائهم ولا يبلغون غايتهم وقصدهم، فالأول نزل مكانا مهجورا لا يأمن فيه الضرر على نفسه ويقضى ليله متضرعاً لله ليحميه ويحرسه! فلن يجيبه الله! لأنه لم يأخذ بأسباب الأمن والنجاة، وخالف النبى ﷺ الذى كانت جنود الله كلها تحرسه! ولكنه مع ذلك وأدباً مع مولاه واتباعاً لنظام وقانون الحياة كان يوقف حارساً على بابه عملاً بأسباب الحفظ و الأمان، حتى أنزل الله قوله:

﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾(٦٧المائدة) فصرف الحارس.

والثانى لم يأخذ بأسباب الكرامة والسلامة ولم يرع حق الطريق فجلس حيث يسير الناس والسيارات والدواب فعرض سلامته للضرر، وكرامته للإمتهان، وأضر بمصالح الناس بتضييق الطريق عليهم! ويريد إحترام الناس ويدعو الله ألا يؤذيه أحد وأن يحفظ عرضه! فلن يستجيب له مولاه لأنه استخفَّ بقوانين الحياة!

أما الثالث ترك أسباب الوقاية والرعاية وبلوغ الغاية! فلا يلومنَّ إلا نفسه ! وكلنا يذكر الحديث الشريف :

{ قال رَجُلٌ للنبيِّ: أُرْسِلُ نَاقَتِي وَأَتَوَكَّلُ؟ قالَ: اعْقِلْها وَتَوَكَّلْ }[١٦٠]

فأوصى كل من أراد أن يستنير برأى الصالحين وبصيرتهم بأن يسألوا أهل الخبرة قبل أن يأتوا الصالحين! فيعطوا الطب حقه و يتركوا الكسل و التراخى والتواكل فى الأخذ بالأسباب! لأن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة!..

فليستشيروا أهل العلم وليأخذوا بالأسباب!

ولكن لا تأتى الرجل الصالح تسأله وأنت لم تدرس الأمر، وتريد من الشيخ أن يكون مكتباً لدراسة الجدوى وبيت خبرة فى الطب والهندسة والإستثمار .. وغيرها!!! وأنت تكسل أو على نفسك تبخل! و تأتى الرجل وأنت خامل كسلان وفى ضميرك أن يريحك من الطب أو العمل والسعى والسؤال والبحث! ويدعو لك فينجح المشروع بلا جهد! أوتتزوج البنت ويعمل الولد بلا سعى! ويشفى المريض بلا طب! فهذا تواكلٌ لا يحبُّه الصالحون لأنهم أشبه الخلق برسول الله ﷺ الذى علَّم أصحابه والدنيا بأسرها من بعدهم لما سألته الإعراب:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ عَلَيْنَا جُنَاحٌ أَنْ لاَ نَتَدَاوَى؟ قَالَ: تَدَاوَوْا عِبَادَ اللَّهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ، لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلاَّ وَضَعَ مَعَهُ شِفَاءً }[١٦١].

---

١٦٠ عن جعفر بنِ عمرو بن أمية عن أبيه، صحيح ابن حبان، وسنن الترمذى عن أنس ﷺ.
١٦١ سنن ابن ماجه وكثير غيرها، عن أسامة بن شريك.

وورد فى الأثر أن موسى عليه السلام اعتلَّ فعرف بعض بني إسرائيل علَّته فقالوا: تداوَ بكذا تبرأ؛ فقال: لا حتى يعافيني بلا دواء! فطالت علَّتُه فأوحى له الله:

{ ياموسى أردت أن تبطل حكمتي في خلقي بتوكلك عليَّ! لا أبرأتك حتى تتداوى بما ذكروه لك!، من أودع فى العقاقير المنافع غيري؟[١٦٢]

رابعاً:

ثم أنصح إخوانى أجمعين وكل من استجاب وأخذ بالأسباب أن يعلى عقيدته فى مولاه فيعلم أن الفاعل على الحقيقة هو الله وأنه ﷻ مسبِّب الأسباب، فلا يكون إعتماد المؤمن الصادق علي الأسباب؛ بل نعمل بها اتباعاً لسنة نبيينا وحفظاً لقانون حياتنا؛ ثم نتوكل على الله ونعتمد عليه لا على فعلنا! فالله إن شاء عطَّلَ الأشياء، أو أتى للأسباب بتصاريف عجاب فتتوقف الأسباب ويظلُّ العبد فى تعب وعذاب! ولذا نحتاج لرفع الأكف بالدعاء، ولبركات الصالحين والأولياء وإكرامات الله لأهل الرجاء فتعمل الأشياء ويحصل التوفيق بلا مزيد عناء، أو يأتى الفرج فى الخفاء ويكفى الله عبده الإبتلاء.

وقد ورد أن موسى ﷺ مرض فأمره الله أن يتداوى بنبتة فبرأ، ثم عاد المرض فأخذ النبتة فلم يبرأ! فتعجَّب فقال له الله: يا موسى! ليس الشفاء فى الشجرة وإنما الشفاء فى كلامى! أى أنى أودعت الدواء فى الشجرة، أما الشفاء فلا يأتى إلا بإذنى بأن يفعل الدواء، فالأشياء لا تعمل بما أودعه الله فيها إلا بإذن باريها، وهذا الفرق بين المؤمن والكافر، كيف \لك؟

١٦٢ (طب عن ابن مسعود) قال السخاوي: للحديث طرق بألفاظ، وفي الباب أبو هريرة وأسامة وجابر وغيرهم، فيض القدير

هذا لأن الأخير يمرض ويتعالج ويشفى أو يموت ولا يدرى إلا الظاهر كبَعِيرٍ أُمْسِكَ ثمَّ أُطْلِقَ ولا يدرى لم؟، أما المؤمن فيرى السبب الظاهر أنه أهمل الوقاية فمرض، ويدرى السرَّ الباطن أن الله يُطَهِّره أو يرفع درجته أو ينبِّهَه!، فيذهب ليتعالج سائلاً الله الشفاء مع أخذ الدواء وشكر النعم والآلاء! فأنصحكم أن تعملوا بإخلاصٍ وهمَّة؛ وكُلٌ واضعٌ أمله فى الله لا فيما أدَّاه، فيوفِّقه مولاه فيصيب بالعمل مناه! ويحفظه تعالى بفضله مما خفى من تصاريف الحياة!..

فإذا أخذ تم بالأسباب وأتيتم الصالحين نلتم من بركاتهم ودعائهم فكنتم متأدبين بأدب النبى الذى لما أراد الحرب أستعدَّ؛ فلما تقاتلوا قام يدعو الله ويلحُّ! فمع الجدِّ والعمل يدعو الصالحون ويتضرعون لتعمل الأسباب عملها، ويبارك الله فى نتاجها، ويحمى من الشرور والآفات ثمارها؛ ببركة دعائهم وقربهم من ربهم.

خامساً:

أوصى إخوانى وأحبابى وأنصحهم دائما باستشارة أهلهم وزوجاتهم وأزواجهم وأبنائهم وبناتهم، وأحثهم جميعاً على تدريب من يعولون على الرأى والمشاورة وإعمال الفهم والفكر وتدبر الأمور؛ لأنه هكذا كان ﷺ مع أهله وصحبه الكرام بالرغم من تأييد السماء له، وغناه عن كل رأى بعد توفيق الله.

سادساً:

كما أوصيكم إخوانى بالإستخارة الشرعية مع الأخذ بالأسباب العملية، وأن تعلِّموا ذلك لأهليكم وأن تقووا عقيدتهم أن الله الفعَّال هو العالم بالنفع فى الحال والمآل، فعند اللزوم نستخيره مفوِّضين وندعوه أن يوفقنا لنستبين، فإن لم نهتدِ فلنخلِّص النوايا ولنكرر بيقين مع لزوم التسليم للعليم المبين، فإن غُمَّ علينا أو صرنا حيارى؛ فلنلجأ للإستنارة والإستشارة بصدق العرض والعبارة.

سابعاً:

وأنصح إخوانى الأحباب والمسلمين والمسلمات وأصحاب الحاجات أن يُرَشِّدُوا العقائد ويصَحِّحوا المفاهيم أن البنات لم تتزوجْن والنساء لم يطلَّقْن أو لم ينجبن! أو لم يُكْرَهْن! والأزواج لم يتعطلوا ليس بسبب الأعمال ولا السحر ولا الجن ولا الغيرة والحسد! ولا تلك الأمور التى ذكرها الشرع فى أضيق الحدود!.. لكننا لمَّا استشرى الجهل والضعف؛ جعلناها أساس مشاكلنا الزوجية والإجتماعية! بل ونصبناها شمَّاعة هائلة لكل عيوبنا التربوية وأخطائنا الإجتماعية وجهالاتنا العلمية والدينية! فأستمر إستسلامنا وخضوعنا لموروثات وعادات ليست من الدين! ولم يكن هكذا نبينا ولا الصحابة والتابعين.

فدعوا الضعف والخوف والذل والرجاء لغير الله إخوتى! وخذوا بالأسباب مع اللجوء للربِّ المعين! وإياكم والسحرة والدجالين وأهل الإرتياب، اتقوا الله واقيموا شرعه كما فى الكتاب؛ ثم انصبوا الأكف بالدعاء وقفوا بالباب لتعمل الأسباب، ويأتى خفىُّ لطف الله ونجدته وفضله وإسعافه بلا بطء ولا احتساب.

وأنصحكم هنا إخوانى الأحباب ألا تخجلوا من اللجوء للطب النفسى أو الأسرى عند اللزوم! وألا نحرجوا من ذلك! لأننا يعيبنا أن نذهب للطبيب النفسى ونعتبر ذلك مرادفاً للجنون، ونرفض طبِّ العلاقات الأسريَّة ونقول هذه بليَّة! فنلجأ للدجالين! أونهرب للأولياء والصالحين ونعتقد أن استشارتهم ودعوتهم أو حضور مجالسهم وفقط سيأتينا بالبركة وستحل مشاكلنا ونكون أرحنا أنفسنا من الطب والأطباء والتحاليل والمستشفيات أجمعين! كيف ذلك!

فالطب النفسى صار اليوم ضرورة لأن الأمراض النفسية استشرت فى عصرنا بسبب الضغوط الهائلة التى يتعرض لها الناس أفراداً وجماعات من جميع الإتجاهات مما يسبب العديد منها ويضعها على قدم مع القلب والضغط والسكرى والسمنة، بل وأخطر لأنها صارت سبيلاًً لباقى الأمراض، و نحتاج اليوم أيضاً لطبِّ العلاقات الأسريَّة أو الزوجية لأن الشباب زادت مشاكلهم الجنسية بسبب التطورات التكنولوجية وتراجع التربية الدينية وغياب الرقابة والتوجيهات الأبوية، وإنتشار العادات المؤذية، وتفشِّى الرذيلة وتقليد مظاهر الحياة الغربية.

ثامناً:

كما أنصح إخوانى الأحباب والمسلمين أيضاً بتصحيح مفاهيم ما يسمُّونه العلاج بالقرآن أو الرُقْيَة أو التداوى بالأعشاب أو الحجامة وأن يعلموا أن له ضوابطاً علمية وحدوداً شرعية!! وأحذركم أجمعين من الدجالين والأفاقين والمشعوذين الذين يأكلون الدنيا بالدين ويستغلون سذاجة المتدينين حتى يصدق بعض السذج أن العسل يشفى مرض السكر وكل داء!، أو أن ما عجز عنه الطبُّ تشفيه سور مخصوصة أو أسماء الله الحسنى مع الحبة السوداء!..، فلا غنى عن العلاج بالطب المعلوم والثابت! والأدوية والعقاقير المعتمدة، وكثير منها مستخلصٌ من نباتات بواسطة العلماء والهيئات، مع عقيدتنا أن الشافى هو الله مع الأخذ بالمسببات، وعندها تنفع الدعوات وتفيد البركات، فمن يأتوننى لطلب دعوة شفاء أو تحقيق رجاء أو للنصح والإفتاء! ظانِّين أنى ساقول لهم خذوا كذا أو إقرأوا كيت كما عودهم بعض المشايخ! أنصحهم جميعاً أن الدين هنا هو فى الأخذ بالطب المعلوم الثابت يقيناًً مما علمه الله للأطباء والمختصين والعلماء.

ونحن ياإخوانى مع الأخذ بالأسباب ندعو الله ونتضرع إليه أن يمنَّ عليهم بالشفاء وأن يرحمهم بفضله من كل ابتلاء ببركة سيد الرسل والأنبياء؛ فيوفق سبحانه معهم الأطباء فى تشخيص الداء، فيصيب معهم الدواء، ويبعد عنهم ببركة الصالحين ما خفى من الأدواء والأنواء، ويسبل الله عليهم ستره ويكشف البلاء.

تاسعاً:

وأنصحكم جميعاً ياإخوانى أن نقف صفَّاً كالبنيان المرصرص مع كل الجادين المخلصين ضد كل من يجعل التصوف باباً للسلبية أو التواكل أو التنطع أو الكسل أو ترك الأسباب أو أكل الدنيا بالدين! أنصحكم بتقوى الله ما استطتعتم مع أخذكم بأسباب العلم والعمل لأن الغرب لما أتقن العمل والأسباب فتح الله لهم فى الدنيا الأبواب، وكذا يعاملنا الله إن فعلنا مثلهم، ولكنه سبحانه يزيدنا أهل الإيمان عليهم فوق الرزق بالأسباب؛ بأن يرزقنا أيضاً من وراء الأسباب رزقاً بالفضل من غير حساب ولا احتساب! بشرط التقوى ياأولى الألباب!

والتقوى هى الأخذ بالسنة والكتاب بلا تواكل ولا تنطع! ولا كسل ولا تسكع! وبها يفتح الله بركات الأرض والسماء! وينتفع الناس بالصالحين! وبمشورة العارفين فتصيب النظرات! وتستجاب الدعوات فيأتى توفيق الله ويصير القليل أبرك من الكثير، ويتعطَّف الله إكراماً لأحبابه بفضله وخفى لطفه وبره فتزول الشدائد ويقلب مقلب القلوب قلوب عباده، فيحنن من شاء على من شاء استجابة لدعاء الأولياء، فتتنزل العطايا تترى فى كل وقت وحين على المجدين الذين اتقوا الله وأخذوا بالشرع المبين! و ليس على الكسالى ولا البطالين! ولا من يضيعون العلم والدنيا والدين! ولا المدَّعين المستبيحين لأعراض المسلمين! ولا من يعطلون الشرع المتين! وأتباعهم من الغافلين يرونهم مبروكين!! ..

أنصحكم أبنائى وإخوانى وأحبابى والمسلمين بالعمل بكل ماسبق!....

وفقنى الله وإياكم للعمل بما نسمع! ورزقنا الصدق والتوفيق فيما نعمل!......

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا......

تمَّ بحمد اللَّه تعالى

مفتاح رموز كتب الحديث كما ورد بالجامع الصغير (نقلاً عن كنز العمال):

(خ) للبخاري، (م) لمسلم، (ق) لهما، (د) لأبي داود، (ت) للترمذي، (ن) للنسائي، (ه) لابن ماجة، (٤) لهؤلاء الأربعة، (٣) لهم إلا ابن ماجه، (حم) لأحمد في مسنده، (عم) لابنه في زوائده، (ك) للحاكم في مستدركه وإلا فمبين، (خد) للبخاري في الأدب، (تخ) له في التاريخ، (حب) لابن حبان في صحيحه، (طب) للطبراني في الكبير، (طس) له في الأوسط، (طص) له في الصغير، (ص) لسعيد ابن منصور في سننه، (ش) لابن أبي شيبة، (عب)لعبد الرزاق في الجامع، (ع) لأبي يعلى في مسنده، (قط) للدارقطني في السنن وإلا فمبين، (فر)للديلمي في مسند الفردوس، (حل) لأبي نعيم في الحلية، (هب) للبيهقي في شعب الإيمان، (هق) له في السنن، (عد) لابن عدي في الكامل، (عق)للعقيلي في الضعفاء، (خط)للخطيب في التاريخ وإلا فمبين.(إنتهى).

الفهرست

مقدمة ٣
هذا فضل الله ٩
البداية ١٥
البحث عن العارف ١٦
معرفة الإمام أبى العزائم ﷺ ١٩
البحث عن المعرفة ٢٠
العثور على الرجل الحي ٢٣
البداية الصحيحة للسير إلى الله ٢٧
فى صحبة الشيخ ﷺ ٣١
استلام الراية ٣٣
إكمال المسيرة والفتح الوهبى فى الدعوة ٣٥
من علامات تأييد الله وتوفيقه سبحانه ٣٩
التأييد بالرؤيا الصالحة ٤٢
التأييد بإجابة مكنون الصدور ٤٦
تأييد الله تعالى فى الإستشارة أو التوجيه ٥١
التأييد بإجابة الدعاء وتحقيق الرجاء ٥٥
التأييد باستجابة الأفراد لنا وتبديل السير والسلوك ٥٧
الدعوة والهدف ٦٢

الباب الأول تصحيح النيةً ٦٤
حكمة العارفين ٦٦
❁ تصحيح النيَّة ٦٧
❁ صفاء الطوية ٧٠
❁ إصلاح القلوب ٧١
❁ علامة الصلاح ٧٧
أسرار الرُقِى فى الدرجات ٨٥
❁ مفتاح الصلاح ٨٩
الباب الثانى تصفية القلب ٩٢
❁ تصفية القـــــلب ٩٤
❁ جهاد النفس ٩٥
❁صفـــــاءُ القلب ١٠١
❁ جهاد السالك لتنوير القلب الحالك ١٠٥
❁ من أبواب النفاق العملى ١٠٦
البابُ الثالث التسليم للصالحين ١٢٨
❁ وقت الصالحين كلُّه لله ١٣٠
❁ كيف يتمُّ التسليم للصالحين؟ ١٣١
❁ فلتبدأ من جديد! ١٣٢
❁ إفهم ونفِّذ إشارة الشيخ ١٣٦
❁ إن الله يحبُّ العبد التقى الخفى ١٣٨
❁ العقل الموهوب ١٤٠

الباب الرابع ١٤٢
فقه الطهارة ١٤٢
❁ الطهارة سرُّ القبول ١٤٤
❁ طهارة الجوارح ١٤٥
❁ طهارة النفس ١٤٧
❁ طهارة القلب ١٤٨
❁ طهارة الروح ١٥٢
❁ تمام الطهارة ١٥٣
الباب الخامس العناية الإلهية ١٥٦
❁ ليست الكرامة هى العلامة! ١٥٨
❁ الاستقــامة ١٦١
❁ تنزل الملائكــة ١٦٣
❁ التوفــــيق ١٦٦
❁ المكاشفة الربانية ١٦٨
❁ اليقــــين ١٦٩
❁ الراسخون فى العلم ١٧٣
❁ قصد الرجال ١٧٥
الباب السادس صيام العارفين وإكراماتهم ١٨١
❁ رمضان طوال العام يا كرام! ١٨٤
❁ أبواب النيران فى الإنسان ١٨٦
❁ أبواب الجنان فى بنى الإنسان ١٨٩
❁ إكرامات الصالحين ١٩٢

الباب السابع درجات الكشف ٢٠٧
❁ كشف الحجاب ٢٠٩
الطريق إلى كشف الغيوب ٢١٢
❁ كشف العيوب ٢١٧
❁ كشف الجمال ٢٢٣
❁ كشف مساتير الغيوب ٢٢٤
الباب الثامن المنهاج القويم للمريدين ٢٢٦
❁ مريدو هذا الزمان!! ٢٢٨
❁ طريق أهل الصدق واليقين ٢٣١
❁ الكلُّ فى النهاية سيصل للغاية ٢٣٤
الباب التاسع الموجز الأنفس فى تزكية الأنفس ٢٣٧
❁ تعريف النفس ٢٤٠
❁ طرق تزكية النفس ٢٤٢
❁ ميادين جهاد النفس ٢٥٠
الفصل العاشر مقامات أحباب الصالحين ٢٥٣
❁ طلاب المصالح و الحاجات ٢٥٥
❁ المحبُّون المقصِّرون ٢٥٨
❁ المحبُّون المتابعون ٢٦٠
❁ الإستجابة شرط الإجابة ٢٦٢
❁ أتباع الصالحين الأولين ٢٦٣
❁نفس مع الحى حياةٌ للقلب ٢٦٤
❁روشتة الصالحين للفتح المبين! ٢٦٨

❁المداومة ٢٦٨
❁لا تحقِّر الصغائر ٢٦٩
❁ترك الفضول! ٢٧١
❁قيام الليل.. ٢٧٣
❁الذكر وعدم النوم بعد الفجر ٢٧٥
❁ رطِّب لسانك بذكر الله ٢٧٩
❁المرشد باب الفتح ٢٨٠
❁ أحوال الرجال أهل الكمال! ٢٨٣
❁الأدب مع الرجال! ٢٨٥
الباب الحادى عشر فصل القول فى سرِّ القوم ٢٨٩
الأخلاق سرُّ الفتح.. ٢٩٢
هل الأخلاق تقبل التغيير؟ ٢٩٥
كيف يعرف السالك عيوب نفسه؟ ٣٠٤
روشتة العارفين لإصلاح أخلاق المريدين ٣٠٩
وصيَّـــــــة ٣٣٢
الفهرست ٣٤٤
قائمة مؤلفات الشيخ ﷺ ٣٤٩
أين تجد مؤلفات فضيلة العارف باللَّه ٣٥٢
الشيخ فوزى محمد أبوزيد ٣٥٢

قائمة مؤلفات الشيخ ﷺ

أولا : من أعلام الصوفية

١- الإمام أبو العزائم المجدد الصوفى(٢ط) ٢- الشيخ محمد على سلامه سيرة وسريرة.، ٣- المربى الربانى السيد أحمد البدوى.٤- شيخ الإسلام السيد إبراهيم الدسوقى.، ٥- الشيخ الكامل السيد أبو الحسن الشاذلى

ثانيا : الدين والحياة

٦و٧- نفحات من نور القرآن ج١و٢. ٨- مائدة المسلم بين الدين و العلم. ٩- نور الجواب على أسئلة الشباب. ١٠- فتاوى جامعة للشباب. ١١- مفاتح الفرج (٧ط) (ترجم للأندونسية).١٢- تربية القرآن لجيل الإيمان (ترجم للإنجليزية والأندونسية). ١٣- إصلاح الأفراد و المجتمعات فى الإسلام.١٤- كيف يحبُّك الله (يترجم للأندونيسية).١٥-كونوا قرآنا يمشى بين الناس (يترجم للأندونيسية).١٦- المؤمنات القانتات ١٧- فتاوى جامعة للنساء. ١٨- قضايا الشباب المعاصر. ١٩- زاد الحاج و المعتمر (٢ط)

الخطب الإلهامية: مج١: المناسبات الدينية : طبعة أجزاء، وطبعة مجلد

٢٠- ج١: المولد النبوى. ٢١- ج٢: الإسراء و المعراج. ٢٢- ج٣ : شهر شعبان و ليلة الغفران، ٢٣-ج٤: شهر رمضان و عيد الفطر المبارك. ٢٤- ج٥ : الحج و عيد الأضحى المبارك. ٢٥- ج٦ : الهجرة و يوم عاشوراء. ٢٦- الخطب الإلهامية :مج١:المناسبات الدينية ط٢،كتاب واحد

ثالثا : الحقيقة المحمدية:

٢٧- حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق (٣ط). ٢٨- الرحمة المهداة. ٢٩-٣٠ إشراقات الإسراء:ج١(٢ط)، ج٢. ٣١- الكمالات المحمدية. ٣٢- واجب المسلمين المعاصرين نحو الرسول (ترجم للإنجليزية).٣٣-السراج المنير.

رابعا : الطريق إلى الله:

٣٤- أذكار الأبرار ٣٥- المجاهدة للصفاء و المشاهدة ٣٦- علامات التوفيق لأهل التحقيق ٣٧- رسالة الصالحين ٣٨- مراقى الصالحين ٣٩- طريق المحبوبين و أذواقهم ٤٠- كيف تكون داعياً على بصيرة ٤١- نيل التهانى بالورد القرآنى.٤٢- تحفة المحبين ومنحة المسترشدين (فى عاشوراء) للقاوقجى (تحقيق)، ٤٣- طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين(ترجم أندونسي). ٤٤- نوافل المقربين.

خامسا: دراسات صوفية معاصرة:

٤٥- الصوفية و الحياة المعاصرة ٤٦- الصفاء والأصفياء.٤٧- أبواب القرب و منازل التقريب ٤٨- الصوفية فى القرآن والسنة (٢ط) (ترجم إنجليزي). ٤٩- المنهج الصوفى والحياة العصرية ٥٠- الولاية والأولياء ٥١- موازين الصادقين ٥٢- الفتح العرفانى ٥٣- النفس، وصفها وتزكيتها. ٥٤- سياحة العارفين ٥٥- منهاج الواصلين.

سادساً: سلسلة شفاء الصدور:

٥٦- مختصر مفاتح الفرج (٣ط). ٥٧- أذكار الأبرار (٢ط).٥٨- أوراد الأخيار (تخريج وشرح) (٢ط)، ٥٩- علاج الرزاق لعلل الأرزاق (٢ط).٦٠- بشائر المؤمن عند الموت.٦١ - أسرار العبد الصالح وموسى عليه السلام،٦٢- مختصر زاد الحاج والمعتمر.٦٣- بشريات المؤمن فى الآخرة.

سابعاً: تحت الطبع للمؤلف :

١- نسمات القرب ٢- أحسن القول ٣- طريق الصديقين إلى رضوان ربِّ العالمين (ط٢)

٤- أسرار العبد الصالح وموسى (ط٢)، ٥- حقائق التصوُّف النقيّ.

تطلب جميع المؤلفات من المكتبات الكبرى بالقاهرة والأقاليم، ودور توزيع الأهرام والأخبار ودار الشعب ودار المعارف والهيئة المصرية العامة للكتاب، كما يمكن تنزيل الكتب من WWW.askzad.com، أو تطلب من الناشر:

دار الإيمان والحياة، ١١٤ ش ١٠٥ المعادي بالقاهرة، ت: ٠٠٢٠٢٢٥٢٥٢١٤٠

أين تجد مؤلفات فضيلة العارف بالله

الشيخ فوزى محمد أبوزيد

إسم المكتبة	رقم الهاتف	القاهرة
المجلد العربي	٢٥٩١٢٥٢٤	١١٦ ش جوهر القائد الأزهر
مكتبة الجندي	٢٥٩٠١٥١٨	سوق أم الغلام ميدان الحسين
دار المقطم	٢٧٩٥٨٢١٥	٥٢ ش الشيخ ريحان،عابدين
دار الأحمدي للنشر	٢٥٧٤٠٥٠٣	٤٠ طلعت حرب أمام سينما مترو
جوامع الكلم	٢٥٨٩٨٠٢٩	١٧ الشيخ صالح الجعفرى الدراسة
نفيسة العلم	٢٥١٠٤٤٤١	٩ ميدان السيدة نفيسة .
المكتب المصري الحديث	٢٣٩٣٤١٢٧	عمارة اللواء ٢ ش شريف
دار الإنسان	٣٣٣٥٠٠٣٣	١٠٩ ش التحرير، ميدان الدقي
مكتبة مدبولى	٢٥٧٥٦٤٢١	٦ ميدان طلعت حرب
مدبولى مدينة نصر	٢٤٠١٥٦٠٢	طيبة ٢٠٠٠، ش النصر مدينة نصر
النهضة المصرية	٢٣٩١٠٩٩٤	٩ ش عدلى جوار السنترال
هلا للنشر والتوزيع	٣٣٤٤٩١٣٩	٦ ش دحجازي، خلف نادي الترسانة
المكتبة الفاطمية	٠١٨٥٢٠٠٨٤٦	ميدان الأزهر أمام الباب العباسي
أم القرى	٢٥٨٩٨٢٥٣	١٢٨ ش جوهر القائد الأزهر
الأدبية الحديثة	٢٥٩٣٤٨٨٢	٩ ش الصنادقية بالأزهر
الروضة الشريفة	٢٦٤٤٤٦٩٩	٢١ش د.أحمد أمين، مصر الجديدة
مكتبة عبادة	٠٥٥٢٣٢٦٠٢٠	الزقازيق – ش نور الدين

		الإســـــكندرية
كشك سونا	٠١٢٤٦٠٩٠٨٢	محطة الرمل، أمام مطعم جاد
معرض الكتاب السكندرى	٠١٠١٢٣٢٦٩٨	محطة الرمل، صفية زغلول
كشك محمد سعيد موسى	٠١١٤١١٤٣٠٠	٦٦ شارع النبى دانيال، محطـة مصر
مكتبة الصياد	٠٣-٣٩٢٨٥٤٩	٤ ش النبى دانيال، محطة مصر
مكتبة سيبويه	٠٣-٥٤٦٢٥٣٩	٢٣ المشيرأحمد إسماعيل، سيدى جابر
		الأقـــــــاليم
كشك عبدالحافظ محمد عبدالحافظ	--------	الزقازيق، بجوار مدرسة عبد العزيز على
مكتبة عبادة	٠٥٥-٢٣٢٦٠٢٠	الزقازيق – شارع نور الدين
مكتبة تاج	٠٤٠-٣٣٣٤٦٥١	طنطا أمام السيد البدوى
مكتبة قربة	٠٤٠-٣٣٢٣٤٩٥	طنطا، ٩ ش سعيد مع شارع المعتصم - أمام كلية التجارة
مكتبة الإيمان	--------	فايد- الحاج أحمد غزالى بربرى
كشك الصحافة	---------	السويس- شارع الشهداء، الحاج حسن محمد خيرى
أولاد عبدالفتاح السمان	٢٣٢٧٥٩٩-٠٩٣-	سوهاج- ش احمد عرابي، أمام التكوين المهنى
كشك أبو الحسن	٠١٦٩٥١٨٦١٦	قنا - أمام مسجد سيدي عبد الرحيم القناوى
دار الأحمدي للنشر	٠٦٨٢٣٤٧٨٠٢-	المنيا، أبراج الجامعة، أمام الشبان المسلمين

أيضاً بدور الأهرام والجمهورية والأخبار للتوزيع و دار الشعب والدور القومية للتوزيع والنشر ومن المكتبات الكبرى الأخرى بالقاهرة والجيزة والأسكندرية والمحافظات. ، ويمكن الإطلاع إليكترونيا على نبذة مختصرة عن المؤلفات مع المقدمة والفهرست على أكبر موقع علمى للكتاب العربى على الإنترنت

www.askzad.com

كما يمكن تنزيل الكتب إليكترونيا بشروط الموقع.

للملاحظات

وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين